



أولاً: البحوث والدراسات



ما يجوز لغةً ولم يُقرأ به

دراسة تأصيلية

د. فيصل بن جميل الغزوي*

إمام المسجد الحرام والأستاذ المساعد ووكيل كلية الدعوة لشؤون الطلاب بجامعة أم القرى

* من مواليد عام ١٣٨٥ هـ بمدينة مكة المكرمة.

- تخرج في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤٠٩ هـ.
- ثم نال شهادة الماجستير من قسم الكتاب والسنة كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤١٧ هـ بأطروحته: "التوضيح بشرح الجامع الصحيح لابن الملقن : من باب إذا تصدق على غني وهو لا يعلم إلى نهاية كتاب الزكاة: تحقيق ودراسة"، كما نال منه أيضاً شهادة الدكتوراه عام ١٤٢٣ هـ بأطروحته: "منهج ابن عطية في عرض القراءات وأثر ذلك في تفسيره".

• من بحوثه المحكمة المنشورة: "تحريف القراءات لفظاً ومعنى".

• البريد الشبكي: fgalghazawi@hotmail.com

الملخص

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد :
فهذا بحث موسوم بـ«ما يجوز لغةً ولم يُقرأ به: دراسة تأصيلية» ، يهدف إلى بيان ما يُذكر في بعض الكتب من قراءات جائزة في اللغة ، سائغةً عربيةً ، إلا أنه لم يُقرأ بها ، ولم تُردِّدْ بها الرواية .

وغالباً ما تذكر هذه الجائزات في كتب معاني القرآن وإعرابه التي غلب على أصحابها الاهتمام باللغة وكانوا من علمائها ؛ فكان من اهتمامهم توجيه القراءات مستعملها وشاذها، بل تجاوزوا ذلك إلى إعراب وتوجيه ما قد تُقرأ به اللفظة القرآنية من وجوه متعددة توافق العربية وتصح لغةً بغض النظر عن كونها واردة أم لا .

وعند التأمل في هذا الصنيع والنظر في الأسباب الداعية إليه قد تظهر بعض المبررات التي يمكن أن تكون عذراً لأصحابها ، خاصةً أنهم علماء لهم مقاصد شريفة وأهداف سامية فيما يكتبون ويوردون من مسائل .

ومن نظر لهذا الأمر بمنظار آخر وأنه تجشُّم لما لا فائدة فيه ، وأنه فتح لباب الاجتهاد ؛ إذ قد يُفهم منه أن كل ما يصح لغةً يجوز القراءة به ويقبل ، فعندئذٍ يُستقبح هذا الفعل ، ويشنَّع على أصحابه .

لهذا كله كان لزاماً أن يُبيِّن الصواب في هذه المسألة مع مراعاة الاعتذار لمن سلك هذا المسلك ، والتنبيه على خطورة ما قد يُفهم خطأً ، ولم يكن مراداً لهم .

المقدمة

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على خير خلقه ، نبينا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ، وسار على نهجه .

أما بعد : فعندما تقرأ في كتب معاني القرآن وإعرابه التي اهتم أصحابها بإيراد القراءات الواردة في الآيات ، تجدهم يتبعون ذلك بما يمكن أن تقرأ به ألفاظ القراءة من حيث اللغة بغض النظر عن كونها وردت قراءة أم لا .

ولكون بعضهم قد أكثر من إيراد عبارات مختلفة في هذا الباب كقولهم : ولو قرأ قارئ كذا لجاز ، وقولهم : ولو قرأ قارئ كذا لكان صواباً في العربية ، وقولهم : ويجوز في النحو كذا ، وقولهم : ويجوز كذا ولا أحفظه قراءةً .

لكون هؤلاء أكثروا من إيراد ذلك في كتبهم ، ولم أجد - حسب علمي - من تكلم في هذه المسألة باستفاضة ، وجمع أقوال أهل العلم فيها ، فقد رأيت أن أبحث هذا الموضوع من جوانبه المختلفة ، وأدرسه دراسة تأصيلية خاصة وقد وجدت من يتعنى ذكر ذلك عند توجيه القراءات الواردة، وإرادة بيان معنى الآية .

ولتحقيق ذلك فقد قمت بتتبع الأمثلة المتعلقة بما يجوز لغة ولم يقرأ به في مظانها ، وانتقيت منها جملةً صالحةً للاستشهاد على الموضوع، وتأملت في تعليقات العلماء عليها، وصنفتها بحسب ما تدل عليه ، ثم كانت نتيجة البحث .

فجاءت الدراسة تنتظم المباحث التالية :

- ١ - معنى ما يجوز من القراءة .
- ٢ - مظان ما يجوز لغة ولم يقرأ به .
- ٣ - أسباب ذكر ما يجوز لغة ولم يقرأ به .
- ٤ - محاذير ذكر ما يجوز لغة ولم يقرأ به .

- ٥- علاقة ما يجوز لغةً بالقراءات الصحيحة .
- ٦- حكم القراءة بما يجوز لغةً .
- ولعلي بهذا أُجِّلُ مفهوم هذا المصطلح المستعمل عند بعض العلماء ، وأُبيِّنُ ما قد يفيد المتخصصين في هذا الموضوع .
- وما توفيقني إلا بالله . هو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على نبينا محمد ، وآله وصحبه أجمعين .

المبحث الأول

معنى ما يجوز من القراءة

الجائز اسم فاعل من جاز يجوز وأصله من جوز وأصله في اللغة من قولهم جزت الطريق وجاز الموضوع أي سار فيه وسلكه ثم استعمل مصطلحاً لما يجوز ويصح فيه . قال الفيومي : «وجاز العقد وغيره : نفذ ومضى على الصحة ، وأجزتُ العقد : جعلته جائزاً نافذاً»^(١).

وهناك لفظ آخر قريب منه وهو من (أجزأ) من مادة الجيم والزاي والهمزة، وأجزأه بمعنى كفاه وأغنى عنه .

جاء في التهذيب للأزهري : «أهل اللغة يقولون : أجزأ بالهمز ، وهو عندهم بمعنى : كفى ، قال الأصمعي : «أجزأني الشيء إجزاءً مهموز، معناه: كفاني» (٢) . وقال ابن سيده : «والجَزء : الاستغناء بالشيء عن الشيء ، وكأنه الاستغناء بالأقل عن الأكثر ، فهو راجع إلى معنى الجُزء ... وأجزأ عنه مجزأه ، ومجزأته ، ومُجزأه ، ومُجزأته : أغنى عنه مُغناه»^(٣).

عليه ، فيمكن تحديد مفهوم الجائز من القراءة بأنه : ما تحتمله الكلمة القرآنية من أوجه إعرابية تجوز لغةً وتصحُّ عريباً ، وتشبه في صورتها القراءات الواردة المقررة بها وليست منها .

وعلى ذلك ، فسيكون موضوع بحثنا متعلقاً بما يمكن أن تقرأ به الألفاظ

(١) المصباح المنير (١/١١٤) (جوز) ، وانظر لسان العرب (٢/٤١٦) (جوز) .

(٢) التهذيب (١١/١٤٤) (جزى) .

(٣) المحكم (٧/٣٣٤) (جزأ) .

القرآنية من وجوه متعددة جائزة في اللغة ، سائغة عربية ، وهي التي سماها بعض العلماء بالجائزات ، كما ورد في كلام ابن عطية رحمته الله حيث قال: «وكثر مكّي في هذه الآية بذكر جائزات لم يُقرأ بها...»^(١) .

(١) المحرر الوجيز (١/٣٢) .

المبحث الثاني

مضان ما يجوز لغة ولم يقرأ به

من خلال التتبع والأمثلة التي ذكرت للجائز من القراءة نجد أن مواضع إيراد العلماء لها، أو نقلها عن غيرهم يكون عند تعرضهم لإعراب القراءات الواردة في الآية وتوجيهها من حيث اللغة .

ولذلك نجد مظان الجائز من القراءة في بعض كتب معاني القرآن وإعرابه ، كمعاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن للأخفش، ومعاني القرآن للزجاج ، وإعراب القرآن للنحاس ، وقد يتعرض لهذا النوع أيضاً أصحاب كتب النحو كسيبويه في الكتاب ، والمبرد في المقتضب ، وابن السراج في الأصول .

وإليك جملة مختارة من الأمثلة منقولة من كتب معاني القرآن :

قال الفراء عند قوله تعالى : ﴿ وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] : «فلو قرأ قارئ : (وأجنيبي وبنيي) لأصاب ، ولم أسمع من قارئ»^(١) .

وقال الأخفش : «وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلْقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩] فهو يجوز فيه الرفع ، وهي اللغة الكثيرة ، غير أن الجماعة اجتمعوا على النصب ، وربما اجتمعوا على الشيء كذلك مما يجوز والأصل غيره»^(٢) .

وقال الزجاج عند قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨] : «... ويجوز (إِلَّا وَجْهَهُ) بالرفع ، ولكن لا ينبغي أن يُقرأ بها...»^(٣) .

(١) معاني القرآن (٧٨/٢) .

(٢) معاني القرآن (٨٤-٨٥/١) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٧٨/٢) .

وقال أيضاً عند قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ﴾ [المائدة: ٣] الآية: «ولو كان بعض المرفوعات نصباً على المعنى لجاز في غير القرآن، لو قلت: حُرِّمَتْ عَلَى النَّاسِ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ، ويحمله على معنى: وحرم الله الدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ لجاز ذلك، فأما القرآن فخطأ فيه أن تقرأ بما لم يقرأ به من هو قدوة في القرآن؛ لأن القراءة سنة لا تتجاوز»^(١).

وقال النحاس عند قوله تعالى ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ [النمل: ٥٦]:
«ويجوز رفع ﴿جَوَابَ﴾ فجعله اسم كان، والخبر ﴿أَنْ قَالُوا﴾»^(٢).

وقال ابن خالويه: «فلو قرأ قارئ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ [الطارق: ٥] بكسر اللام لكان سائغاً في العربية غير أنه لا يقرأ به إذا لم يتقدم له إمام، والقراءة سنة يأخذها آخر عن أول، ولا تُحْمَلُ عَلَى قِيَاسِ الْعَرَبِيَّةِ»^(٣).

وقال مكِّي بن أبي طالب: «قوله: ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ﴾ ابتداء، والخبر محذوف، تقديره: (فَعَلَيْكُمْ إِمْسَاكٌ)، ومثله: ﴿أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنِ﴾، ولو نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ لَجَازٌ»^(٤).

ومن أمثلة ما يجوز لغةً ولم يُقرأ به الموجودة في كتب النحو:

- قال سيبويه في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]:

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/١٤٧).

(٢) إعراب القرآن (٣/٢٥٣).

(٣) إعراب ثلاثين سورة ص (٤٢).

(٤) مشكل إعراب القرآن (١/١٣٠).

- «ولو قرئ: (وإنَّ المساجدَ لله) كان حسناً»^(١).
- وقال المبرد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ [طه: ١١٩]:
«ويجوز ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾^(٢) على القطع والابتداء»^(٣).
- وقال ابن هشام في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾
[الحجر: ٥٦]: «ولو قرئ (إِلَّا الضَّالِّينَ) بالنصب على الاستثناء لجاز، ولكن
القراءة سنة متبعة»^(٤).
- وهكذا لو تتبعنا الأمثلة الموجودة في كتب معاني القرآن وإعرابه، وبعض كتب
اللغة لوجدناها من مظان ما يجوز لغة ولم يقرأ به.

(١) الكتاب (٣/١٢٧).

(٢) وهي قراءة متواترة، قرأ نافع وشعبة بكسر الهمزة والباقون بفتحها. انظر: النشر (٢/٥٩٧)، والبدور
الزاهرة ص (٢٠٨).

(٣) المقتضب (٢/٣٤٢).

(٤) شرح قطر الندى ص (٢٧٤)، وانظر: شرح شذور الذهب ص (٢٨٨).

المبحث الثالث

أسباب ذكر ما يجوز لغةً ولم يُقرأ به

عند التأمل في الأسباب التي دعت بعض العلماء إلى ذكر أمثلة مما يجوز لغةً ولم يُقرأ به ، والدوافع التي جعلت بعضهم يتعنى ذكرها بعد إيراد ما ورد في الآية من القراءات ، يمكن حصرها في التالي :

- ١ - الاهتمام البالغ ببيان الأوجه الإعرابية لألفاظ القرآن الكريم .
- ٢ - الحرص على حماية القرآن العظيم أن يقرأ بغير ما قرئ به .
- ٣ - تأييد وجه من بَلَّغَتْهُ قراءة وصحت عنده .
- ٤ - ذكر ذلك على سبيل النقل والحكاية .

وإليك تفصيل هذه الأسباب :

١ - الاهتمام البالغ ببيان الأوجه الإعرابية لألفاظ القرآن الكريم :

فهؤلاء العلماء لتَضَلُّعِهِمْ في اللغة وتمكنهم منها وتشبعهم بها صار عندهم اهتمام بالغ باستخراج الأوجه الإعرابية للألفاظ القرآنية بغية بيان معنى الآية . لذا فلا يستغرب أن يستخلصوا كل ما يمكن أن تحتمله الكلمة القرآنية من الأوجه الإعرابية وما يسوغ أن توجه به لغةً .

عليه فقد يورد أحدهم وجه ما قرئ به وضح ، ثم يذكر ما ورد من القراءات شاذاً ، ويوجهه أيضاً بحيث لا يقتصر على ذلك ، ولا يقف عند ما يحفظه من المستعمل وغير المستعمل من القراءات ، بل يتعداه ليستوعب كل ما يمكن أن تحتمله القراءة لغةً ، ويوافق العربية من وجوه .

فهو هنا يُقدِّر من باب الافتراض أن لو قُدِّر ورود القراءة بوجه آخر مما يسوغ لغةً لأمكن أن يُقرأ بها ، أو لو وُجِّهت القراءة بوجه آخر تحتمله اللغة لجاز في غير

القرآن .

ولعل هذا الصنيع منهم يشبه ما اعتاده أهل اللغة من ذكرهم الأوجه الجائزة لغةً عند شرحهم لشواهد القواعد اللغوية التي يؤصّلون لها ويقعدون . وقد سلك العلماء هذا المسلك في توجيه ألفاظ الحديث أيضاً؛ فلو تأملنا على سبيل المثال طريقة أبي البقاء العكبري في إعراب ما يُشكل من الألفاظ الواقعة في الأحاديث لوجدناها هي ذات الطريقة التي انتهجت في إعراب القراءات الواقعة في الآيات .

وإليك بعض الأمثلة التي ذكرها :

أ- عند توجيه قول النبي ﷺ لأبي ذر : «يا أبا ذر كيف تصنع إذا خرجت من المدينة؟» ، حيث جاء في الحديث : «أو خير من ذلك؟» . قال رحمته : «ولو نُصب على تقدير : تصنع خيراً من ذلك جاز»^(١) .

ب- عند توجيه حديث : «ضرب لنا رسول الله ﷺ أمثالاً» . قال رحمته : «واحدٌ وما بعده بالرفع، وتقديره: هي واحد، ولو نصب جاز على أن يكون بدلاً من أمثال»^(٢) .

ج- عند توجيه حديث معاذ بن جبل في علامات الساعة : «وأن يعطى الرجل ألف دينار فيتسخطها» . قال رحمته : «الجيد نصب، فيتسخطها عطفاً على يعطى ، ويجوز الرفع على تقدير : فهو يتسخطها»^(٣) .

يُلاحظ من خلال هذه الأمثلة أن توجيه هذه الألفاظ المشكّلة في الأحاديث قد

(١) إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي ص (٥٨) .

(٢) المصدر السابق ص (٧٥) .

(٣) إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي ص (١٧٤) .

استعمل فيها المصنف نفس المنهج المتبع في بيان الأوجه الإعرابية المختلفة والتي تحتملها القراءة .

وكذلك نجد الإمام ابن مالك اتبع نفس المنهج في كتابه "شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح" ، وذلك عند إعراب الألفاظ المشككة من صحيح البخاري .

وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك :

أ- عند توجيه قول أم عطية رضي الله عنها: «أمرنا أن نُخْرِجَ الْحَيْضَ يَوْمَ الْعِيدِ» قال رحمته: «في هذا الحديث توحيد (اليوم) المضاف إلى (العيدين)، وهو في المعنى مثني ، ولو رُوي بلفظ التثنية على الأصل ، ولفظ الجمع لأمن اللبس لجاز...»^(١).

ب- عند توجيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «اجتنبوا الموبقات : الشرك بالله والسحر...» قال رحمته: «... ويجوز رفع الشرك والسحر على تقدير: منهن الشرك بالله والسحر...»^(٢).

ج- عند توجيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ» قال رحمته: «ويجوز في (خير) و(غنم) رفع أحدهما على أنه اسم (يكون) ، ونصب الآخر على أنه خبره ، ويجوز رفعهما على أنها مبتدأ وخبر في موضع نصبٍ خبراً لـ (يكون) ، واسمه ضمير الشأن؛ لأنه كلام تَضَمَّنَ تحذيراً وتعظيماً لما يُتَوَقَّعُ، وتقديم ضمير الشأن عليه مؤكِّد لمعناه»^(٣).

(١) شواهد التوضيح والتصحيح ص (٦٠) .

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح ص (١١٣) .

(٣) المصدر السابق ص (١٤٥) .

٢- الحرص على حماية القرآن العظيم أن يقرأ بغير ما قرئ به :

هذا السبب يمكن استنتاجه من عدة معطيات تظهر من خلال سياق كلام العلماء عند إيرادهم لهذه الجائزات ، ويمكن الاستدلال على صحة هذا السبب بالأمور التالية:

أ- أن موردي هذه الجائزات هم من العلماء الذين أفنوا أعمارهم في خدمة الدين، و صرفوا أوقاتهم في الدفاع عنه والنصح له ، فلا يُظن بهم إلا خيراً ، ولا يُفسر صنيعهم هذا إلا بإرادة الحق ، ولا يُحمل إلا على أحسن المحامل ، وهو الحرص على الذب عن كتاب الله وصيانته عن التحريف والتبديل .

ب- من المقرر أن القرآن الكريم يحمل على أحسن الوجوه مما يستدعي أن تكون الأوجه الإعرابية للقراءات القرآنية متوافقة مع ما يسوغ لغةً ويجوز في العربية .

لذا، فقد يُستشكّل وجهُ بعض القراءات التي قرئ بها ، ويُعزى ذلك بأن يكون ما قرأ به القارئ قد أخذه من غير متقن ، فيذكر الأوجه الإعرابية الأخرى التي تحتملها القراءة والتي قد يكون قرئ بها ولم تبلغه ، وهي موافقة وجه الصواب في اللغة .

ج- ما يذكره أكثر هؤلاء العلماء من التعقيب بعد إيرادهم لهذه الوجوه والمتضمن تارة التحذير من القراءة بذلك لأنه لم يقرأ بها ، وتارة نفي العلم بأنه قرئ بها .

ومن أمثلة ذلك : ما ذكره الزجاج عند قوله تعالى : ﴿يَا أُوحِيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف:٣] ، قال : «أي : بوحينا إليك هذا القرآن، القراءة نصب القرآن، ويجوز الجر والرفع جميعاً ، الجر والرفع جميعاً ، ولا أعلم أحداً قرأ بها .

فأما الجر فعلى البدل من قوله: ﴿يَمَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، فيكون المعنى: نحن نقص عليك أحسن القصص بهذا القرآن، ولا تقرأن بها.

والرفع على ترجمة ما أوحينا إليك، كأن قائلاً قال: ما هو؟ وما هذا؟، فقيل: هذا القرآن، ولا تقرأن بها أيضاً^(١).

ومن الأمثلة أيضاً قول الفراء عند قوله تعالى: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾: «فلو قرأ قارئ: (وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ) لأصاب، ولم أسمع من قارئ»^(٢).

ومن الأمثلة كذلك قول سيبويه: «ولو قرؤوها: ﴿وَلِإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المؤمنون: ٥٢] كان جيداً، وقد قرئ»^(٣).

فهذه الأمثلة الثلاثة تدل بوضوح أن العلماء قد يعقبون على القراءة بما يفيد الحكم عليها، ففي تعقيب الزجاج على وجه الجر والرفع في ﴿الْقُرْآنَ﴾ في الآية بأنه لا يعلم أحداً قرأ بهما، ثم تكريره التحذير من القراءة بهما يدل على عدم رضاه بقراءتها دون أن يكون لها رواية صحيحة.

وقول الفراء: «ولم أسمع من قارئ» يدل على أن العمدة عنده على المسموع المقروء به، لا مجرد الموافقة للغة.

وهكذا تعقيب سيبويه على تجويزه لقراءة الكسر، وإفادته أنه من المقروء به، وليس الاعتماد على جواز ذلك في العربية.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٨٨/٣).

(٢) معاني القرآن (٧٨/٢).

(٣) الكتاب (١٢٧/٣). وكسر الهمزة هو قراءة الكوفيين، وأما الباقيون فقرأوا بفتحها. انظر: النشر

(٢/٦٠٢)، والبدور الزاهرة (٢١٩).

فهذا - والله أعلم - يدل على حرصهم على ألا يقرأ أحد إلا بما ورد وثبت وإن كان له وجه سائق في العربية .

فكأنهم بهذا يؤكدون على أن القراء لا يقرؤون بكل ما جاز في العربية ، بل بما توفرت فيه الشروط الأخرى .

ويمكن أن يشبه صنيعهم هذا بالمحترزات التي تخرج عن القاعدة والأصل ، فعندما يبين أحدهم أولاً ما يُقرأ به من الوجوه المتفقة مع الرواية في اللفظة القرآنية المشتملة على قراءات مختلفة موجّهاً لها وموضّحاً لمعناها = يشرع في ذكر ما قد يتفق معها في الصورة ، ويختلف عنها من حيث القراءة بها ، وذلك من باب الاحتراز عنها ، وعدم قبولها قراءةً ، والتمييز بينها وبين الكلمات القرآنية حتى لا يدخل في القرآن ما ليس منه .

فهذا التعقيب من قبل هؤلاء يدلنا بوضوح أن من دوافع ذكر هذه الجائزات هو الحرص على حماية القرآن والذب عنه ، وصيانته أن يدخل فيه ما ليس منه .

٣- تأييد وجه من بلغته قراءة وصحت عنده :

من خلال تأمل الأمثلة التي ذكرها العلماء للجائزات التي لم يُقرأ بها نجد لذلك فائدة دقيقة ، وهي تأييد وجه من وافقت قراءته هذه الجائزات لغةً ، وكأن المورد لها يقول : من قرأ بذلك ، وصحت عنده الرواية ، واتصل سنده في القراءة بها فإنه على صواب ، وقراءته موافقة لوجه من الأوجه الإعرابية ، فليقرّ عيناً بما يقرأ وليطب نفساً بما يتلو ، فقد قرأ بما يوافق شروط الصحة .

ومن أمثلة ذلك :

١- قول الفراء في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ﴾

[الأنبياء: ٤٧]: «ولو رفع المثقال كما قال (وإن كان ذو عسرة فنظرة) كان صواباً»^(١).
 ٢- قول الأخفش في قوله تعالى: ﴿فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤] «ولو قرئت ﴿فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾ بثقل النون كان جيداً ولم أسمع، كأن النون أدغمت، وحذفت الياء كما تحذف من رؤوس الآي نحو: ﴿بَلْ لَمَّا يَدُوُّوا عَذَابٍ﴾ [ص: ٨] يريد: عذابي»^(٢).

٣- قول الزجاج عند قوله عز وجل: ﴿قَوْلِكَ الْحَقِّ﴾ [مريم: ٣٤] «بالرفع، ويجوز (قول الحق) بالنصب، فمن رفع فالمعنى: هو قول الحق، ومن نصب: فالمعنى: أقول قول الحق الذي فيه يمترون أي: يشكون»^(٣).

٤- ذكر ذلك على سبيل النقل والحكاية :

قد يُقلد بعض أصحاب كتب معاني القرآن من سبقهم من العلماء في ذكر ما يجوز لغةً ولم يُقرأ به؛ لأنه يرى أن هؤلاء السابقين أئمة أعلام يُتخذى طريقهم ويُنهج نهجهم في ذلك.

ومن خلال النظر في بعض الأمثلة المذكورة نجد أن أصحابها نصوا على أن فلاناً من العلماء هو الذي ذكرها ووجهها، وإليك أمثلة على ذلك :

أ- قال الزجاج عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣]: «القراءة بالرفع في ﴿نَفْخَةٌ﴾ على ما لم يُسمَّ فاعله، وذكر الأخفش (نفخةً واحدةً) بالنصب، ولم يذكر قُرئ بها أم لا، وهي في العربية جائزة على أن قولك: ﴿في﴾

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٠٥).

(٢) معاني القرآن (١/ ٢٥٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٩).

أَصُورٌ ﴿يَقُومُ مَقَامَ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ... الخ﴾^(١).

ب- قال أبو جعفر النحاس: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتِ﴾ [النور: ٤١] عطفاً على ﴿مَنْ﴾، قال

أبو إسحاق: ويجوز (وَالطَّيْرُ) بمعنى مع الطير، ولم يُقرأ به^(٢).

ف نجد هنا أن النحاس قد حكى ما ذكره الزجاج في معاني القرآن، ولم يعقب عليه

بشيء، فهو مجرد نقل لما ذكره غيره.

ج- جاء في الأصول لابن السراج: «قال^(٣): وسألت الخليل عن قوله: ﴿وَأَنَّ هَذِهِ

أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، فقال: إنها هو على حذف اللام، قال:

ولو قرأها قارئ ﴿وَلَيْنَ﴾ كان جيِّداً^(٤).

د- قال قوام السنة في إعراب القرآن: «أجاز الفراء الرفع في ﴿الْكَوَاكِبِ﴾^(٥) مع تنوين

﴿زِينَةٍ﴾ على أن تكون الكواكب هي الزينة للسماء، قال: يريد زينها بتزيينها

الكواكب^(٦).

وقد ينقل بعض العلماء شيئاً من تلك الأمثلة في كتبهم دون أن ينسبها أو ينصوا على

أنها منقولة، كما هو الشأن في تبني بعض المعاني، والفوائد، والاستنباطات التي ينقلونها

من غير إسناد لأصحابها، وهذا شائع واضح في كتب العلماء.

(١) معاني القرآن (٢١٦/٥).

(٢) إعراب القرآن (١٤١/٣).

(٣) أي سيبويه.

(٤) الأصول في النحو (٢٧١/١)، وقد قرأها الكوفيون كما في البدور الزاهرة ص (٢١٩).

(٥) من قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنًا أَلْمَاءَ الدُّنْيَا زِينَةَ الْكَوَاكِبِ﴾ (الصفات: ٦).

(٦) إعراب القرآن لقوام السنة ص (٣٣٥).

المبحث الرابع

محاذير ذكر ما يجوز لغةً ولم يُقرأ به

اتفقت أقوال العلماء على أن هذه الجائزات من القراءة ليست من القراءات التي يقرأ بها، وأنَّ عدم ورود ما يعضدها من الأثر مما صحَّ قراءة منعها أن تلحق بالألفاظ القرآنية فضلاً عن أن يقرأ بها، وإنما امتازت هذه الألفاظ بمشابهتها لما يقرأ به في كونها متجهة الإعراب .

وبالرغم من الفوائد التي يمكن أن تستفاد من ذكر الجائزات كما سبق في المبحث الثالث، إلا أن هناك بعض المحاذير التي تقع بسبب ما قد يُفهم من ذلك ويحصل من اللبس، ويمكن أن يُجمل ذلك في النقاط التالية :

١ - قد يفهم بعضهم - بسبب جهله - أنَّ قبول القراءة متوقف على استقامة وجهها في العربية فقط، ولا يشترط صحة السند - فضلاً عن أن تكون متواترة - ولا موافقة لفظها لخط المصحف، فيخرج القرآن بذلك عن كونه توقيفياً لا يجوز فيه الاجتهاد .

وهذا محذور عظيم، ومزلق خطير، قد يقع فيه بعضهم بسبب ما يلتبس عليه من جرَّاء الاحتفاء بمثل هذه الجائزات، والاهتمام بحكايتها، وتجلية معانيها .

٢ - قد يفتح هذا الصنيع باب القياس، ويكون سبباً في إلحاق بعض الألفاظ بالقرآن وليست منه، ويكون أيضاً مدخلاً لأعداء الدين بأن يطعنوا في القرآن، ويلجؤوا من هذه الثغرة، ويجدوا فيها ما يمكنهم من تحقيق مبتغاهم، وتأييد زعمهم بأن هذه القراءات الثابتة خاضعة لآراء العلماء واجتهادهم؛ ليكون لها معنى مقبول كما ادَّعى ذلك جولد تسهير في كتابه .

ولسنا بصدد الرد على مثل هذه الشبهة الواهية ؛ فقد ردَّ عليها العلماء ، وبينوا بطلانها في كتبهم ، إنما مرادنا هنا أن نشير إلى أن منهج بعض المفسرين في الإكثار من ذكر الجائزات من القراءة مسلك قد يستغل من قِبَل ضعفاء النفوس ، ويتخذونه حجة في الوصول إلى أهدافهم في النيل من القرآن الكريم محتجين بأقوال هؤلاء العلماء، خاصة وأن هناك أمثلة متعددة مما ذكره لم يعقبوا عليها بكونها لم يُقرأ بها .

٣- يعد بعض العلماء إيراد هذه الجائزات وتعني ذكرها تجشماً لما لا فائدة فيه، وحكايته في كتب التفسير لا قيمة له ولا غناء ، يقول ابن عطية رحمته تعليقاً على قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٦] : «وكثُرَ مكِّيٌّ في هذه الآية بذكر جائزات لم يُقرأ بها، وحكاية مثل هذا في كتب التفسير عناء»^(١) .

وكتب التفسير التي لم تذكر هذه الجائزات ولم يتعنَّ أصحابها إيراد ما تحتمله القراءات من الأوجه الإعرابية لم يكن ذلك مما يُعاب ويُنتقد ، أو خطأً يُستدرك على أصحابها ، أو نقصاً يؤخذون عليه .

(١) المحرر الوجيز (١/٣٢) .

المبحث الخامس

علاقة ما يجوز لغةً بالقراءات الصحيحة

من المعلوم عند العلماء أن هناك شروطاً لقبول القراءة ، وهي :

- ١- موافقتها لوجه من أوجه اللغة العربية ، سواء كان أفصح أم فصيحاً ، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه مع قوته^(١) .
- ٢- موافقتها لرسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً^(٢) .
- ٣- صحة السند، وذهب بعضهم إلى اشتراط التواتر فيه معللاً ذلك أنه قرآن، والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر^(٣) .

وبهذه الشروط التي اشترطها العلماء نجد أن الجائز من القراءة قد افتقد الشرط الأساسي من شروط القبول ، وهو صحة الإسناد أو التواتر . يقول إسماعيل الهروي: «السنة أن تؤخذ القراءة إذا اتصلت روايتها نقلاً وقراءةً ولفظاً، ولم يوجد طعن على أحد من رواتها»^(٤) .

ويقول ابن الصلاح رحمته: «يشترط أن يكون المقروء به قد تواتر نقله عن رسول الله ﷺ قرآناً ، أو استفاض نقله كذلك ، وتلقته الأمة بالقبول...»^(٥) .

ويقول ابن الجزري رحمته في شأن ما وافق الرسم ولم يأت به النقل: «وبقي قسم مردود أيضاً ، وهو ما وافق العربية والرسم ولم ينقل البتة ؛ فهذا ردُّه أحق ، ومنعه

(١) انظر هذا الشرط بتوسع في النشر (١٠/١) ، إتحاف فضلاء البشر ص (٧) ، مناهل العرفان (١/٤٢٢) .

(٢) انظر هذا الشرط بتوسع في النشر (١٢/١-١٣) .

(٣) وانظر حجة القائلين بشرط التواتر في : شرح الطيبة للنويري (١/١١٩) ، غيث النفع ص (٦) ، مناهل العرفان (١/٤٣١-٤٣٤) .

(٤) انظر : البرهان في علوم القرآن (١/٣٣٠) .

(٥) انظر : النشر (١/٣٨) .

أشد ، ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر. وقد ذكر جواز ذلك عن أبي بكر محمد بن الحسن بن مِقْسَمِ البغدادي المقرئ النحوي، وكان بعد الثلثمائة^(١).

وهذا الذي جَوَّزه ابن مِقْسَمِ شذوذ ، ومخالف لما عليه العلماء .

قال القاضي أبو بكر ابن الباقلاني : «وقال قوم من المتكلمين : إنه يسوغ إعمال الرأي والاجتهاد في إثبات قراءة وأوجه وأحرف إذا كانت تلك الأوجه صواباً في العربية ، وإن لم يثبت أن النبي ﷺ قرأ بها، وأبى ذلك أهل الحق، وأنكروه، وخطَّروا من قال به»^(٢).

ومن الدعاوى المعاصرة والتي تطعن في الشروط التي ارتضاها العلماء ما ذهب إليه طه حسين من القول بأن مصدر القراءات القرآنية هو اللهجات ، وقرر ذلك بقوله : «وهنا وقف لا بد منها : ذلك أن قوماً من رجال الدين فهموا أن هذه القراءات السبع متواترة عن النبي نزل بها جبريل على قلبه ، فمنكرها كافر من غير شك ولا ريبة، ولم يُوقَّفوا للدليل يستدلون به على ما يقولون سوى ما رُوي في الصحيح من قوله عليه الصلاة والسلام : «أنزل القرآن على سبعة أحرف»^(٣).

والحق أن ليست هذه القراءات السبع من الوحي في قليل ولا كثير ، وليس منكرها كافراً ولا فاسقاً ولا مغتمزاً في دينه ، وإنما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها...»^(٤).

(١) النشر (١٧/١) .

(٢) الانتصار للقرآن (٦٩/١) .

(٣) أخرجه البخاري في باب أنزل القرآن على سبعة أحرف برقم (٤٩٩٢) ، ومسلم في باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه برقم (٨١٨) .

(٤) في الأدب الجاهلي لطفه حسين ص (٩٥) .

وهذه الدعوى الفاسدة ، والفرية الخبيثة لا شك في بطلانها ومخالفتها للحق ، ولا تستحق أن يلتفت إليها ، لكن من باب إيضاح الأمر لمن قد يحصل عنده شك بسبب إثارة هذه الشبهة يقال :

١ - إن العلماء على أن القراءات أبعاض القرآن وجزء منه ، والقرآن كله بقراءاته الصحيحة من عند الله ، ولا دخل لأحد فيه ، والآيات القرآنية الدالة على ذلك كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقَرَأَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ ﴾ [يونس: ١٥] ، وقوله عز وجل : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٥] وقوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ ۗ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۗ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۗ (٤٦) ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦].

٢ - الطعن في استدلال العلماء على تواتر القراءات السبع بحديث الأحرف السبعة أمر مردود ؛ فهذا الحديث له روايات متعددة مشهورة تدل بمجموعها على أن القراءات منزلة من عند الله ، وموحى بها إلى النبي ﷺ ، وأن الصحابة - رضوان الله عليهم - تلقوها من معلمهم رسول الله ﷺ ، وتلقاها عنهم التابعون ومن بعدهم حتى وصلت إلينا بالتواتر ، مما لا يدع مجالاً لمطعن طاعن ، أو تشكيك مشكك في كونها تنزيلاً من حكيم حميد .

٣ - سلمنا أن هذه القراءات مصدرها اللهجات ، فما يقال في القراءات التي لا دخل للهجة فيها؟ مثل : ﴿ يَخْدَعُونَ ﴾ و ﴿ يُخْدِعُونَ ﴾ ، ﴿ فَازَلَهُمَا ﴾ و ﴿ فَازَّالَهُمَا ﴾ ، ﴿ قَسِيَّةٌ ﴾ و ﴿ قَسِيَّةٌ ﴾ ، ﴿ لَنْبُؤْتَنَّهُمْ ﴾ و ﴿ لَنْبُؤَيْنَهُمْ ﴾ ، ﴿ بِظَنِينٍ ﴾ و ﴿ بِظَنِينٍ ﴾ ، وغيرها من القراءات التي تدل على معانٍ شتى ، ويختلف تفسيرها ، ولا يمكن أبداً أن يُعزى اختلافها للهجات ، بل يقال دون ريب

وبكل ثقة: ليس كل القراءات لهجات حتى يُدعى أن مصدرها اللهجات المختلفة، ولو جاز لأحد أن يأتي بما شاء من الألفاظ ليلحقه بالقراءات لبطلت قرآنية القرآن، وأنه منزل من عند الله .

٤- هذه الدعوى الأئمة تقرير لفتح باب الرأي والاجتهاد في القراءة، ومدخل كبير للقياس بما يعني أن كل كلمة في القرآن يمكن أن تقرأ بوجه آخر موافق للغة العربية فهي مقبولة بغض النظر عن صحة سندها، فضلاً عن تواترها . وهذا - لعمر الله - هو ما ينشده أعداء الدين من الطعن والتشكيك في مصدر التشريع، ومحاولة إظهاره بصورة تجعله متناقضاً لا يُوثق فيه، ولا يُطمأن إليه .

وأنى لهم هذا وقد تكفل الله بحفظه^(١) ؟ .

وقد أحسن الشاطبي رحمه الله إذ يقول :

وَمَا لِقِيَاسٍ فِي الْقِرَاءَةِ مَدْخُلٌ فَدُونَكَ مَا فِيهِ الرِّضَا مُتَكَفِّلاً^(٢)

(١) انظر رد هذه الشبهة بتوسع في القراءات وأحكامها ومصدرها ص (١٥١-١٥٤)، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ص (٩٦،٩٧)، جيرة الجراحات في حجية القراءات (٣٩-٥١) .
(٢) حرز الأمانى ووجه التهاني في باب مذاهبهم في الرءاء، رقم البيت (٣٥٤) .

المبحث السادس

حكم القراءة بما يجوز لغةً

مما لا خلاف فيه أن القرآن يؤخذ بالتلقي والسماع ، وأن ألفاظه محفوظة منقولة ليس لأحد أن يزيد فيها حرفاً ، ولا ينقص ، ولا أن يثبت منها شيئاً برأيه ، ولا أن يجعل للقياس في ذلك مدخلاً .

يقول الإمام ابن الجزري رحمته : «ومن ثمَّ امتنعت القراءة بالقياس المطلق ، وهو الذي ليس له أصل في القراءة يُرجع إليه ، ولا ركن وثيق في الأداء يُعتمد عليه ، كما رُوينا عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما من الصحابة وعن ابن المنكدر وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وعامر الشعبي من التابعين أنهم قالوا : القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول ، فاقروا كما علّمتموه ، ولذلك كان الكثير من أئمة القراءة كنافع وأبي عمرو يقول : لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قرأت لقرأتُ حرف كذا كذا ، وحرف كذا كذا»^(١) .

ويقول أيضاً رحمته : «يقرأ الإنسان بما تعلم ، وليس برأيه ولا بالقياس»^(٢) .

إذا علم ذلك وتبين لنا مكانة الجائزات من القراءات من قبل ، فإن الجائزات من القراءة والتي ذكرها بعض العلماء لا يجوز القراءة بها إطلاقاً ؛ إذ إنها ليست من الألفاظ القرآنية ، ولا من قراءاته الصحيحة في شيء ، وإنما هي كلمات مشابهة للقراءات في صحتها لغةً ، وجوازها عربيةً فقط ، وفقدت شرطي صحة السند وموافقة المصحف .

(١) النشر (١/١٧) .

(٢) التمهيد ص (٢١١) .

وإليك جملةً من أقوال العلماء في بيان منع القراءة بذلك وحرمة: قال الفراء رحمته: «والقراء لا تقرأ بكل ما يجوز في العربية، فلا يقبحنَّ عندك تشنيع مما لم يقرأه القراء مما يجوز»^(١).

وقال الزجاج رحمته: «فأما القرآن فخطأ فيه أن تقرأ بما لم يقرأ به من هو قدوة في القرآن؛ لأن القراءة سنة لا تتجاوز»^(٢).

وقال ابن مجاهد رحمته في سياق كلامه عن تفاضل حملة القرآن: «... فربما دعاه بصره بالإعراب إلى أن يقرأ بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من الماضين، فيكون بذلك مبتدعاً...»^(٣).

وقال أبو علي الفارسي رحمته عند ذكره لما يصرف وما لا يصرف في ثمود: «إلا أنه لا ينبغي أن يخرج عما قرأت به القراء؛ لأن القراءة سنة، فلا ينبغي أن تحمل على ما نُجوزُه العربية حتى ينضم إلى ذلك الأثر من قراءة القراء»^(٤).

(١) معاني القرآن (١/٢٢٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/١٤٧).

(٣) السبعة ص (٤٦).

(٤) الحجة (٢/٤٠٧).

الخاتمة

بعد دراسة هذا الموضوع وجمع مادته؛ توصلت إلى النتائج التالية:

- ١- إن أصحاب كتب معاني القرآن هم أكثر الناس اهتماماً بذكر الجائزات من القراءة طبيعياً لمجال تخصصهم ، وتعمقهم في اللغة ، وتبحرهم في فنونها .
- ٢- إن الاعتماد على ما صح لغةً ، وساغ عربيةً من القراءة دون أن يكون له رواية خطأ فاحش ، ومنهج مردودٌ مخالفٌ لما عليه عمل العلماء .
- ٣- ما نسب إلى القراء أنهم يُجوزون القراءة لمجرد موافقتها للغة ، وأن لهم اجتهاداً فيها دعوى كاذبة ، واتهام باطل ؛ إذ لم يثبت أن أحداً منهم قرأ إلا بما تلقاه وأخذه من المشايخ الثقات ، فكانت قراءتهم سنةً متبعةً .
- ٤- هناك مقاصد سامية ، وتوجيهات سديدة مبررة لذكر الجائزات من القراءة ، منها: الحرص على حماية القرآن ، والذب عنه ، وبيان الأوجه التي لم يُقرأ بها حتى لا يغتر بها أحد فيأخذ بها ، إلا إذا جاء ما يعضدها من الرواية .
- ٥- ظاهر صنيع الذين أوردوا جائزات لم يُقرأ بها الأخذ بمذهب أن القراءة جائزة بما يجوز في العربية، وهذا مردود بما سبق، مخالف للمنهج الحق .
- ٦- بعض العلماء يرى أنه لا فائدة من ذكر هذه الجائزات ولا غناء ، وأن تجشم إيرادها وتعني ذلك عناء ، ولعل ذلك لما قد يسببه ذكرها من فهم غير مراد ، كأن يفسر هذا الصنيع بالدعوة إلى القراءة بما يجوز لغةً ولو لم يرد روايةً ، أو أنه الطعن في منهج القراء بأنهم يجوزون القراءة باللغة ، وأنها ترجع لاختيارهم .
- ٧- إن من أغفل ذكر الجائزات من القراءة من أصحاب كتب التفسير لم يضره ذلك شيئاً ، ولا يُعتقد أنه ترك ما كان لا بد من ذكره في بيان معنى الآية ، وأما من

ذكرها منهم فله منهجه ومقصده ، فلا يثرب أحد منهم على الآخر ، بل لكل منهم وجهة هو مولئها أراد من ورائها الخير ، وإصابة الحق ، فرحمة الله على الجميع ، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئه ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس المصادر والمراجع

- ١- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
- ٢- الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٨م.
- ٣- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الشهير بابن خالويه، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٤- إعراب القراءات الشواذ، لأبي البقاء العكبري، دراسة وتحقيق: حمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ٥- إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسمايل النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- ٦- إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي، لأبي البقاء العكبري، تحقيق: عبد الإله نبهان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط ٢، ١٩٨٦م.
- ٧- الانتصار للقرآن، للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق د. محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٨- البحر الخيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ.
- ٩- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ.
- ١٠- البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي وشركاه، القاهرة، ط ١، ١٣٧٦هـ.
- ١١- التمهيد في علم التجويد، لمحمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الشهير بابن الجزري، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- ١٢- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: عبد السلام هارون، دار القومية العربية للطباعة، القاهرة، ط ١، ١٣٨٤هـ.

- ١٣- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، اعتنى به وصححه هشام البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ.
- ١٤- جيرة الجراحات في حجية القراءات، لصهيب أحمد محمدي، مكتبة بيت السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ١٥- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، وضع حواشيه وعلق عليه كامل الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- ١٦- حوز الأمان، لأبي القاسم القاسم بن فيرّه الشاطبي، تصحيح: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة، ط٣، ١٤١٧هـ.
- ١٧- السبعة، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.
- ١٨- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- ١٩- شرح طيبة النشر، لأبي القاسم النويري، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- ٢٠- شرح قطر الندى وبل الصدى، لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن عبد الله بن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٤، ١٤٢١هـ.
- ٢١- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لجمال الدين محمد بن مالك الأندلسي، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة دار العروبة، القاهرة.
- ٢٢- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، عناية: أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ.
- ٢٣- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، عناية: أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ.
- ٢٤- غيث النفع في القراءات السبع، لأبي الحسن علي النوري الصفاقسي، تحقيق: أحمد محمود الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
- ٢٥- في الأدب الجاهلي، لطف حسين، مطبعة فاروق، القاهرة، ط٣، ١٣٥٢هـ.
- ٢٦- القراءات: أحكامها ومصدرها، للدكتور شعبان إسماعيل، سلسلة كتاب دعوة الحق،

- رابطة العالم الإسلامي، العدد (١٩)، ١٤٠٢هـ .
- ٢٧- القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف، للدكتور عبد الهادي الفضلي، دار المجمع العلمي، جدة، ١٣٩٩هـ .
- ٢٨- الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الشهير بسبيويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ .
- ٢٩- لسان العرب، لمحمد بن مكرم الإفريقي الشهير بابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ .
- ٣٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ .
- ٣١- المحكم والمحيط الأعظم، لعلي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: د. عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ .
- ٣٢- مشكل إعراب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ .
- ٣٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت .
- ٣٤- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة .
- ٣٥- معاني القرآن، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: دكتور عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ .
- ٣٦- معاني القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ .
- ٣٧- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ .
- ٣٨- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف، القاهرة، ١٤١٥هـ .
- ٣٩- النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الشهير بابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المكتبة التجارية، القاهرة .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١٥	الملخص
١٦	المقدمة
١٨	المبحث الأول : معنى ما يجوز من القراءة
٢٠	المبحث الثاني : مظان ما يجوز لغةً ولم يُقرأ به
٢٣	المبحث الثالث : أسباب ذكر ما يجوز لغةً ولم يُقرأ به
٣١	المبحث الرابع : محاذير ذكر ما يجوز لغةً ولم يُقرأ به
٣٣	المبحث الخامس : علاقة ما يجوز لغةً بالقراءات الصحيحة
٣٧	المبحث السادس : حكم القراءة بما يجوز لغةً
٣٩	الخاتمة
٤١	فهرس المراجع والمصادر
٤٤	فهرس الموضوعات

الوقف على تاء تأنيث الأسمين اللغة والرواية وخط المصاحف العثمانية

د. محمد بن شرعي بن سليمان أبو زيد*
الأستاذ المساعد بقسم القراءات في كلية الآداب - جامعة الطائف

- * من مواليد عام ١٣٨٧ هـ بمدينة أسيوط بمصر.
- تخرج في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عام ١٤١٤ هـ.
 - نال شهادة الماجستير من قسم التفسير وعلوم القرآن في كلية الشريعة بجامعة الكويت عام ١٤٢٠ هـ بأطروحته: "جمع القرآن من العصر النبوي إلى العصر الحديث"، كما نال شهادة الدكتوراه من قسم التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين بجامعة الأزهر عام ١٤٢٣ هـ بأطروحته: "حاشية السيوطي على تفسير القاضي البيضاوي من أول قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ إلى آخر سورة البقرة: دراسة وتحقيق".
 - من كتبه المنشورة: "العذب الزلال شرح تحفة الأطفال".
- البريد الشبكي : msharii@hotmail.com

المخلص

لما كَانَتْ تاء التأنيث مما اختلفت فيه لغات العرب، واختلفت المصاحف العثمانية في رسم مواضعها بما يوافق تلك اللغات، وجاءت الروايات القرآنية متباينة في اتباع الرسم في تاء التأنيث عند الوقف عليها وموافقة الشائع المشهور من لغات العرب، أردت أن أضع بين يدي القارئ في هذا البحث ما ورد من اللغات الصحيحة عن العرب في تلك التاء، وما جاء في رسمها من كيفيات في المصاحف العثمانية، وموافقة الروايات المتواترة للقرآن الكريم لتلك اللغات، واتفاقها مع رسم المصاحف العثمانية.

مُقدِّمة

الحمدُ لله الرَّحْمَن، الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَإِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، أَفْصَحِ مَنْ تَكَلَّمَ مِنَ الْعَرَبِ بِلِسَانٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.
أَمَّا بَعْدُ...

فَإِنَّ تَاءَ التَّأْنِيثِ مِنْ عِلَامَاتِ دِقَّةِ لُغَةِ الْعَرَبِ، إِذْ وَضَعُوا هَذِهِ الْعِلَامَةَ لِيُفَرِّقُوا بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى فِي الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ، وَقَدْ اخْتَلَفَتْ لُغَاتُهُمْ فِي تَاءِ تَأْنِيثِ الْأَسْمِ عِنْدَ الْوَقْفِ، وَاخْتَلَفَتِ الرُّوَايَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ أَيْضًا فِي ذَلِكَ، وَجَاءَ رَسْمُ الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ مُتَّفِقًا مَعَ تِلْكَ اللُّغَاتِ الْفَصِيحَةِ الْمَشْهُورَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ.

وَلَمَّا كَانَ قَارِئُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يَصِحُّ مِنْ تِلْكَ اللُّغَاتِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّوَايَةُ عَنِ الْقُرَّاءِ، أَحْبَبْتُ أَنْ أُقَدِّمَ بَحْثًا، أُبَيِّنُ فِيهِ لُغَاتِ الْعَرَبِ فِي الْوَقْفِ عَلَى تَاءِ التَّأْنِيثِ، وَمَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ فِي الرُّوَايَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَاخْتِلَافِ الْقُرَّاءِ فِي ذَلِكَ، وَمُوَافَقَةِ الرُّوَايَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ لِمَا وَرَدَ فِي خَطِّ الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ.

خُطَّةُ الْبَحْثِ :

يَشْتَمِلُ هَذَا الْبَحْثُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَثَلَاثَةِ فُصُولٍ وَخَاتِمَةٍ، عَلَى التَّفْصِيلِ الْآتِي:

- الْمُقَدِّمَةُ: وَقَدْ بَيَّنْتُ فِيهَا مُشْكَلَةَ الْبَحْثِ وَخُطَّتَهُ وَمَنْهَجِي فِي الْبَحْثِ.
 - الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: التَّعْرِيفُ بِتَاءِ التَّأْنِيثِ، وَلُغَاتِ الْعَرَبِ فِي الْوَقْفِ عَلَيْهَا.
- وَفِيهِ مَبْحَثَانِ:

- الْمُبْحَثُ الْأَوَّلُ: تَعْرِيفُ تَاءِ التَّأْنِيثِ .
- الْمُبْحَثُ الثَّانِي: لُغَاتُ الْعَرَبِ فِي الْوَقْفِ عَلَى تَاءِ تَأْنِيثِ الْأَسْمِ.
- الْفَصْلُ الثَّانِي: رَسْمُ تَاءِ تَأْنِيثِ الْأَسْمِ فِي الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ.

وَفِيهِ ثَلَاثَةٌ مَبَاحِثَ :

- المَبْحَثُ الْأَوَّلُ: مَا رُسِمَ فِي الْمَصَاحِفِ بِالتَّاءِ مِمَّا اتَّفَقَ عَلَى قِرَائَتِهِ بِالْإِفْرَادِ .

- المَبْحَثُ الثَّانِي: مَا رُسِمَ فِي الْمَصَاحِفِ بِالتَّاءِ مِمَّا قُرِئَ بِالْإِفْرَادِ وَالْجَمْعِ .

- المَبْحَثُ الثَّلَاثُ: كَلِمَاتٌ مَخْصُوصَةٌ تُلْحَقُ بِهَا تَاءُ التَّأْنِيثِ وَرُسِمَتْ فِي

الْمَصَاحِفِ بِالتَّاءِ .

- الْفَصْلُ الثَّلَاثُ: مَذَاهِبُ الْقُرَّاءِ فِي الْوَقْفِ عَلَى تَاءِ تَأْنِيثِ الْأَسْمِ .

وَفِيهِ مَبْحَثَانِ :

- المَبْحَثُ الْأَوَّلُ: الْوَقْفُ عَلَى تَاءِ التَّأْنِيثِ بِالْإِبْدَالِ .

- المَبْحَثُ الثَّانِي: الْوَقْفُ عَلَى هَاءِ التَّأْنِيثِ بِالْإِمَالَةِ .

- الْحَاتِمَةُ: وَفِيهَا أَهَمُّ نَتَائِجِ الْبَحْثِ .

مَنْهَجُ الْبَحْثِ :

١- خَصَّصْتُ هَذَا الْبَحْثَ لِتَاءِ التَّأْنِيثِ فِي الْأَسْمَاءِ خَاصَّةً، وَلُغَاتِ الْعَرَبِ فِي

الْوَقْفِ عَلَيْهَا .

٢- جَمَعْتُ الْمَعْلُومَاتِ عَنِ لُغَاتِ الْعَرَبِ فِي تَاءِ تَأْنِيثِ الْأَسْمِ وَالْوَقْفِ عَلَيْهَا

مِنَ الْمَصَادِرِ اللَّغَوِيَّةِ .

٣- قُمْتُ بِمُنَاقَشَةِ اخْتِلَافَاتِ اللَّغَوِيِّينَ نِقَاشًا عِلْمِيًّا، مَعَ التَّرْجِيحِ بِمَا يَظْهَرُ مِنَ

الْأَدَلَّةِ .

٤- جَمَعْتُ الْمَوَاضِعَ الَّتِي رُسِمَتْ فِيهَا تَاءُ تَأْنِيثِ الْأَسْمِ فِي الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ

بِالتَّاءِ الْمَجْرُورَةِ، وَبَيَّنْتُ اخْتِلَافَ عُلَمَاءِ الرَّسْمِ فِي مَوَاضِعِ اخْتِلَافِهِمْ، مَعَ بَيَانِ

الرَّاجِحِ فِيهَا .

٥- بَيَّنْتُ اخْتِلَافَ الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ فِي قِرَاءَتِهِمْ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي رُسِمَتْ فِيهَا تَاءُ

تأنيث الاسم المصاحف العثمانية بالتاء المجرورة.

٦ - قُمتُ بعزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من القرآن الكريم بعد كل لفظ قرآني بين معقوفتين، ذاكراً اسم السورة ثم رقم الآية، وجعلتُ بينهما نقطتين هكذا
[:] .

٧ - قُمتُ بتخريج الشواهد الشعرية من مصادر اللغة ودواوينها.

٨ - ذيلتُ البحث بقائمة للمصادر والمراجع، وقد رتبته على أسماء الكتب،
مرتبة على حروف المعجم.

والله أسأل أن يكون عملي مسدداً نافعاً، وأن يرزقني ومن يقرؤه الإخلاص في
القول والعمل، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول
تاء التانيث ولغات العرب في الوقف عليها
المبحث الأول
تعريف تاء التانيث والأصل فيها

- تعريفُ تاءِ التَّائِثِ :

تاءُ التَّائِثِ - وَيُقَالُ لَهَا هَاءُ التَّائِثِ أَيضًا - هِيَ تَاءٌ زَائِدَةٌ تَلْحَقُ آخِرَ اللَّفْظِ، وَهِيَ عِلْمَةٌ عَلَى تَأْنِيثِهِ، وَتَكُونُ سَاكِنَةً فِي الْفِعْلِ كَدَفِهَمَتْ، مُتَحَرِّكَةً فِي الْاسْمِ كَدَفَاهِمَةٍ، كَمَا تَلْحَقُ بَعْضَ الْحُرُوفِ، كَدَثَمَتْ وَرَبَّتْ. ^(١)

وَالْغَالِبُ فِي تَاءِ التَّائِثِ فِي الْأَسْمَاءِ أَنْ تَكُونَ لِلْفَرْقِ بَيْنَ صِفَةِ الْمَذْكَرِ وَصِفَةِ الْمؤنثِ، فِي الْأَوْصَافِ الْمُشْتَقَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَهُمَا، نَحْوُ: (قَائِمٍ) وَ(قَائِمَةٍ)، وَلِذَلِكَ لَا تَدْخُلُ عَلَى الْأَسْمَاءِ الْمُخْتَصَّةِ بِالنِّسَاءِ كَدَطَالِقٍ وَ(حَامِلٍ)، وَ(عَانِسٍ). ^(٢)

- أصلُ علامةِ التَّائِثِ فِي الْأَسْمَاءِ :

اِخْتَلَفَ النَّحْوِيُّونَ فِي عِلْمَةِ التَّائِثِ فِي الْأَسْمَاءِ هَلْ هِيَ الْهَاءُ أَوِ التَّاءُ؟ فَذَهَبَ الْكُوفِيُّونَ إِلَى أَنَّ الْأَصْلَ فِي عِلْمَةِ التَّائِثِ الْهَاءُ، وَأَنَّهَا أُبْدِلَتْ فِي الْوَصْلِ تَاءً، وَعَكَسَ ذَلِكَ الْبَصْرِيُّونَ، فَقَالُوا: الْأَصْلُ التَّاءُ، وَأُبْدِلَتْ عِنْدَ الْوَقْفِ هَاءً. ^(٣)

أَمَّا الْكُوفِيُّونَ فَحَجَّتْهُمْ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ أَنْ يُكْتَبَ بِتَقْدِيرِ الْبَدْءِ بِهِ وَالْوَقْفِ عَلَيْهِ، فَيَنْظَرُ إِلَى الْكَلِمَةِ مُنْفَرِدَةً عَمَّا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا. ^(٤)

قَالُوا: فَإِذَا كَانَتِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي بِهَا عِلْمَةُ التَّائِثِ يُوقَفُ عَلَيْهَا بِالْهَاءِ، وَتُكْتَبُ

(١) الجنى الداني في حروف المعاني ص ٥٨، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب (٢/ ٢١٤-٢١٦).

(٢) كتاب المذكر والمؤنث ص ٥١-٥٢، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٤/ ٢٨٦-٢٨٧).

(٣) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب (٤/ ٣١٤)، والجنى الداني في حروف المعاني ص ٥٨.

(٤) رسالة في علم الخط للسيوطي ص ٥٤.

عَلَامَتُهَا هَاءٌ، فَالْهَاءُ هِيَ الْأَصْلُ، وَأُبْدَلَتْ فِي الْوَصْلِ تَاءً.
وَاحْتَجُّوا أَيْضًا بِمُشَابَهَةِ الْهَاءِ لِلْأَلِفِ الَّتِي هِيَ عَلَامَةُ التَّأْنِيثِ أَيْضًا، فَهِيَ
مُتَشَابِهَاتَانِ صَوْتًا، وَمُتَّفَقَانِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الصِّفَاتِ وَمُتَقَارِبَانِ مَخْرَجًا.^(١)
وَأَمَّا الْبَصْرِيُّونَ، فَحَجَّتُهُمْ أَنَّ الْوَقْفَ هُوَ مَحَلُّ التَّغْيِيرِ وَالْإِنْدَالِ، بِخِلَافِ الْوَصْلِ
الَّذِي يَرْجِعُ فِيهِ مَا تَغَيَّرَ وَقَفًّا إِلَى أَصْلِهِ، كَمَا تَقُولُ: هَذَا بَكْرٌ، وَمَرَرْتُ بِبَكْرٍ، بِنَقْلِ
حَرَكَةِ الْإِعْرَابِ إِلَى الْكَافِ السَّاكِنَةِ، فَإِذَا وَصَلْتَ لِرِمَكٍ أَنْ تُرْجِعَ الْكَافَ إِلَى أَصْلِهَا
وَهُوَ السُّكُونُ.^(٢)

وَالْأَظْهَرُ فِي ذَلِكَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْبَصْرِيُّونَ؛ وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أُمُورٌ:
١ - أَنَّ التَّاءَ هِيَ الْأَكْثَرُ ثُبُوتًا؛ إِذْ تَنْفَرِدُ فِي الْوَصْلِ.^(٣)
٢ - أَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ وَقَفُوا عَلَيْهَا بِالتَّاءِ إِجْرَاءً لِلْوَقْفِ مُجْرَى الْوَصْلِ، كَمَا
سَيَأْتِي فِي لُغَاتِ الْعَرَبِ فِي الْوَقْفِ عَلَى تَاءِ التَّأْنِيثِ.
٣ - أَنَّ التَّاءَ لَازِمَةٌ فِي الْإِضَافَةِ، كَمَا تَقُولُ فِي إِضَافَةِ قَبِيلَةٍ وَعَقِيرَةٍ وَمَلِكَةٍ:
قَبِيلَتِكَ وَعَقِيرَتُهُ وَمَلِكَتُهُمْ.
يَقُولُ اللَّغَوِيُّونَ: وَالْإِضَافَةُ تَرُدُّ الْأَشْيَاءَ إِلَى أَصُولِهَا.^(٤)
قَالَ الدُّكْتُورُ رَمَضَانُ عَبْدُ التَّوَّابِ^(٥): «وَالدَّلِيلُ عَلَى أَصَالَةِ التَّاءِ فِي هَذِهِ اللُّغَاتِ

(١) شرح الرضي على الكافية (٣/٣٢٢).

(٢) شرح المفصل في صنعة الإعراب (٣/٣٥٣)، و(٥/٢٣٠)، المنصف شرح كتاب التصريف (١/١٥٩-١٦٠)، الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي (١/٥٥-٥٦).

(٣) كتاب منازل الحروف ص ٢٥.

(٤) المنخصص (١٤/٩٢)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (٤/١٣٢٩).

(٥) فارس العربية الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب ولد في قليوب بمصر سنة ١٩٣٠م، وتخرج في دار العلوم سنة ١٩٥٦م، وحصل على الماجستير ثم الدكتوراه في اللغات السامية سنة ١٩٦٣ من جامعة ميونخ بألمانيا، وتقلد العديد من المناصب الأكاديمية وله الكثير من المؤلفات في علم اللغة منها: التذكير والتأنيث في=

كُلُّهَا (يَعْنِي اللُّغَاتِ السَّامِيَّةَ) - أَتَمَّهَا تَعُودُ لِلظُّهُورِ مَرَّةً أُخْرَى عِنْدَ الْاِتِّصَالِ بِمُضَافٍ
إِلَيْهِ»^(١).

* * *

=اللغة ، وفصول في فقه العربية، وفي قواعد الساميات، وغيرها الكثير. توفي في الثامن من جمادى الآخرة عام
١٤٢٢هـ/ أغسطس ٢٠٠١م.

عن موقع إسلام أونلاين: <http://www.islamonline.net>

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص ٢٥٩.

المبحث الثاني

لغات العرب في الوقف على تاء تأنيث الاسم

- تعريف الوقف :

الوقف لغة: الحبس، وهو مصدر قولك وقفت الدابة، ووقفت الكلمة وقفاً، إذا حبستها، وحكى أبو عمرو: كلمتهم ثم أوقفت، أي: سكت^(١).
وفي اصطلاح النحاة: الوقف قطع الكلمة عما بعدها، أو قطع النطق عند آخر الكلمة^(٢).

وفي اصطلاح القراء: عرف بعضهم الوقف بتعريف النحاة، فقال: «قطع الصوت آخر الكلمة زمناً ما، أو هو قطع الكلمة عما بعدها»^(٣).
وعرفه بعضهم بتعريف يتفق مع تعريف النحاة، مع زيادة بيان؛ للتفريق بين الوقف والسكت والقطع^(٤)، فقالوا: الوقف هو قطع الصوت على الكلمة زمناً يسيراً يتنفس فيه عادةً، بنية استئناف القراءة^(٥).

(١) انظر: كتاب العين (٣٩٣-٣٩٤)، ولسان العرب (٤٨٩٨/٦) مادة (وقف).

(٢) التعريف الأول لابن الحاجب، والثاني للقاضي علي بن محمد الأشموني النحوي. انظر: شافية ابن الحاجب مع شرحها للرضي (٢٧١/٢)، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٢٨٦/٤).

والتعريف الثاني يتحرز للمواضع التي لا يكون فيها بعد الكلمة شيء، فهو أشمل من الأول، ولكن ما يقصده القراء باصطلاحهم في الوقف لا يشملها، وهذا ما يطلق عليه القراء القطع. انظر: النشر في القراءات العشر (٢٣٨-٢٣٩)، وحاشية الصبان على شرح الأشموني (٢٦٨/٤).

(٣) انظر: منار الهدى في الوقف والابتداء ص ٨. وتقييد التعريف الأول بقوله: «(زمناً ما)» يُخرج القطع من التعريف، إذ القطع ترك للقراءة رأساً، وذكر الزمناً هنا يُشير إلى نية القارئ استئناف القراءة.

(٤) يفرق القراء بين الوقف والسكت والقطع، فالوقف كما هو مذكور في التعريف، والسكت يختلف عنه بأنه قطع للصوت زمناً يسيراً لا يتنفس فيه عادةً، والقطع يكون بترك القراءة رأساً والانصراف عنها. انظر: النشر في القراءات العشر (٢٣٨/١-٢٤١)، ونهاية القول المفيد ص ١٥٢.

(٥) النشر في القراءات العشر (٢٤٠/١)، ونهاية القول المفيد ص ١٥٢.

وَلِلْعَرَبِ فِي الْوَقْفِ عَلَى تَاءِ تَأْنِيثِ الْأَسْمِ لُغَاتٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُبَدِّلُهَا هَاءً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُبْقِيهَا فِي الْوَقْفِ تَاءً كَالْوَضَلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُمِيلُ مَا قَبْلَ الْهَاءِ عِنْدَ الْوَقْفِ، فَهَذِهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ:

١. الْوَقْفُ عَلَى تَاءِ التَّأْنِيثِ بِإِبْدَالِهَا هَاءً :

إِذَا وَقَفَ عَلَى تَاءِ التَّأْنِيثِ فِي الْأَسْمِ الْمُفْرَدِ، فَاللُّغَةُ الشَّهِيرَةُ الْفَاشِيَةُ بَيْنَ الْعَرَبِ إِبْدَالُهَا هَاءً، فَيَقُولُونَ: فَاطِمَةُ وَقَائِمَةٌ وَجَنَّةٌ، بِالْهَاءِ السَّاكِنَةِ.^(١)
وَيُسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ مُتَّصِلًا بِحَرْفٍ نَحْوُ: ثَمَّتَ وَرَبَّتَ، وَكَذَلِكَ مَا وَقَعَ فِيهِ سَاكِنٌ صَحِيحٌ قَبْلَ تَاءِ التَّأْنِيثِ، نَحْوُ: أُخْتٍ وَبِنْتٍ، فَيَلْتَزِمُونَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ التَّاءَ فِي الْوَقْفِ، وَلَا يُبَدِّلُونَهَا هَاءً.^(٢)

وَيَجُوزُ هَذَا الْإِبْدَالُ أَيْضًا فِي جَمْعِ التَّصْحِيحِ كَ(مُسْلِمَاتٍ)، وَمَا أَشْبَهَهُ كَ(عَرَفَاتٍ) وَ(هَيْهَاتَ)، وَهِيَ لُغَةٌ مَنْسُوبَةٌ إِلَى طِيٍّ، حَكَى قَطْرُبٌ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: «كَيْفَ الْبُنُونَ وَالْبَنَاءُ، وَكَيْفَ الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاءُ»،^(٣) وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: «دَفَنُ الْبَنَاءِ مِنَ الْمَكْرَمَاءِ».^(٤)

إِلَّا أَنَّ الْأَرْجَحَ فِي جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّلَامِ وَمَا أَشْبَهَهُ إِبْقَاءُ التَّاءِ عِنْدَ الْوَقْفِ.^(٥)

(١) التبصرة والتذكرة (٢/ ٨٥٧)، وشرح المفصل في صنعة الإعراب (٥/ ٢٣٠).

(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٤/ ٣٤٧)، وشرح التصريح على التوضيح (٢/ ٦٢٩).

(٣) شرح المفصل لابن يعيش (٥/ ٤٠٤)، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك مع حاشية الصبان

(٤/ ٤٧٠)، وشرح التصريح على التوضيح (٢/ ٦٣٠).

(٤) من الأمثال، ذكره الميداني في مجمع الأمثال (١/ ١٣٤)، وانظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك

(٤/ ٣٤٧).

(٥) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٤/ ٣٤٧)، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٤/ ٣٠١).

قَالَ ابْنُ مَالِكٍ ^(١) فِي الْأَلْفِيَّةِ: ^(٢)

فِي الْوَقْفِ تَاءُ تَأْنِيثِ الْأَسْمِ هَا جُعِلَ إِنَّ لَمْ يَكُنْ بِسَاكِنٍ صَحَّ وَوَصَلَ
وَقَلَّ ذَا فِي جَمْعٍ تَصْحِيحٍ وَمَا ضَاهَى وَغَيْرُ ذَيْنِ بِالْعَكْسِ انْتَمَى
وَإِذَا وَقَفَ عَلَى تَاءِ التَّأْنِيثِ بِالْإِبْدَالِ هَاءً، فَلَا بُدَّ مِنْ تَسْكِينِ الْهَاءِ، وَلَا يَجُوزُ فِيهَا
الْإِشْمَامُ وَلَا الرَّوْمُ؛ ^(٣) لِأَنَّ الْحَرَكَةَ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا فِي الْوَصْلِ ذَهَبَتْ بِذَهَابِ التَّاءِ،
وَالْهَاءُ الَّتِي أُبْدِلَتْ مِنْهَا ثَبَتَتْ سَاكِنَةً، وَلَا يَجُوزُ فِي الْوَقْفِ عَلَى السَّاكِنِ إِلَّا الْوَقْفُ
بِالسُّكُونِ الْمُخْضِ. ^(٤)

• تَوْجِيهُ الْوَقْفِ عَلَى تَاءِ التَّأْنِيثِ بِإِبْدَالِهَا هَاءً :

تَعَدَّدَتْ مَذَاهِبُ الْعُلَمَاءِ فِي تَعْلِيلِ الْوَقْفِ عَلَى تَاءِ التَّأْنِيثِ بِإِبْدَالِهَا هَاءً، فَذَهَبَ
سَبِيؤُهُ ^(٥) إِلَى أَنَّ الْعِلَّةَ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ أَرَادُوا أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ التَّاءِ الَّتِي تَكُونُ مِنْ

(١) إمام النحاة وحافظ العربية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبالي، حاز قصب السبق في العربية حتى أربى على المتقدمين، وكان إماماً في القراءات وعللها، وله تصانيف أشهرها الخلاصة الألفية في النحو، والتسهيل وشواهد التوضيح والمقصود والمدود، توفي بدمشق سنة ٦٧٢هـ.
انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص ٢٦٩-٢٧٠ ترجمة رقم ٣٣١، وبغية الوعاة (١/١٣٠) ترجمة رقم ٢٢٤.

(٢) متن ألفية ابن مالك ص ٥٧-٥٨، البيتان ٨٩١، و٨٩٢.

(٣) الإشمام هو ضم الشفتين إشارة إلى الضم بعد تسكين الحرف، والروم الإتيان ببعض حركة الموقوف عليه إذا كان في الوصل مضموماً أو مكسوراً. انظر: الكتاب (٤/١٦٦)، والصحاح (٥/١٩٣٨) مادة (روم)، والتذكرة في القراءات الثمان (١/٢٤١)، والتعريفات ص ٢٧، ١١٧.

(٤) التيسير في القراءات السبع ص ٥٩، والكشف عن وجوه القراءات (١/١٢٣).

(٥) هو إمام النحاة أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، نشأ بالبصرة ولازم الخليل بن أحمد وأبا الخطاب الأحمش، ووضع كتابه الذي غطت شهرته الآفاق، وقد شرحه كثير من أئمة العربية من بعده، توفي سنة ١٨٠هـ.

انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (٢/١٢٣) ترجمة رقم ٣٣٣، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص ٢٢١-٢٢٤ ترجمة رقم ٢٥٦، وبغية الوعاة (٢/٤٩) ترجمة رقم ١٤٠٣.

نَفْسِ الْكَلِمَةِ نَحْوُ: (الْقَتُّ)، وَالَّتِي بِمَنْزِلَتِهَا نَحْوُ (عَفْرِيَّتِ)، وَبَيْنَ التَّاءِ الَّتِي هِيَ
عَلَامَةُ التَّائِيثِ.^(١)

وَذَهَبَ الصَّيْمَرِيُّ^(٢) إِلَى أَنَّ عِلَّةَ الْإِبْدَالِ هِيَ أَنَّ الْعَرَبَ أَرَادُوا التَّفْرِيقَ بَيْنَ التَّاءِ
الَّتِي تَلْحَقُ الْأَسْمَاءَ نَحْوُ: (قَائِمَةٌ)، وَالَّتِي تَلْحَقُ الْأَفْعَالَ نَحْوُ (قَامَتْ).^(٣)
وَقَالَ ابْنُ جُنِّي^(٤): «وَإِنَّمَا أُبْدِلَتْ هَاءٌ لِانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا، وَأَنَّهَا مِنْ الْحُرُوفِ
الْمُهْمُوسَةِ، وَهَاءُ مَهْمُوسَةٌ وَقَرِيبَةٌ مِنَ الْأَلْفِ، وَلَمْ تُبْدَلْ أَلْفًا لِانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا، لِئَلَّا
يَلْتَبَسَ بِالْأَلْفِ الْمُقْصُورَةِ فِي (حُبْلَى) وَ(بُشْرَى)، وَهَاءُ قَرِيبَةٌ مِنَ الْأَلْفِ، فَأُبْدِلَتْ
هَاءً».^(٥)

وَيَرَى الدُّكْتُورُ رَمَضَانُ عَبْدَ التَّوَّابِ أَنَّ الْأَمْرَ غَيْرُ ذَلِكَ، إِذْ لَا عِلَاقَةَ صَوْتِيَّةً بَيْنَ
التَّاءِ وَهَاءِ، وَإِنَّمَا أَسْقَطَ الْعَرَبُ التَّاءَ عِنْدَ الْوَقْفِ، وَبَقِيَ الْمَقْطَعُ السَّابِقُ عَلَيْهَا
مَفْتُوحًا بِحَرَكَةٍ قَصِيرَةٍ، وَلِكِرَاهَةِ الْوَقْفِ عَلَى الْحَرَكَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ، تَجَنَّبُوا ذَلِكَ

(١) الكتاب (١٦٦/٤)، والكشف عن وجوه القراءات السبع (١/٢٨٨).

(٢) هو الإمام أبو محمد عبد الله بن علي بن إسحق الصيمري، من نحاة القرن الرابع الهجري، أخذ عن علي بن عيسى الرماني، وأبي سعيد السيرافي، وله كتاب جليل في النحو سماه التبصرة والتذكرة، أحسن فيه التعليل، ولأهل المغرب عناية خاصة به.

انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (٢/٣٤٦) ترجمة رقم ٥١٥، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص ١٧٢
ترجمة رقم ١٨٥، وبغية الوعاة (٢/٢٢٩) ترجمة رقم ١٨٦٣.

(٣) التبصرة والتذكرة (٢/٦١٤).

(٤) إمام العربية أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، لزم أبا علي الفارسي زمنا طويلا حتى برع وصنف التصانيف البديعة، وقرأ على المتنبي ديوانه وشرحه، من مؤلفاته: سر الصناعة، وخصائص اللغة العربية، والمحتسب في توجيه القراءات الشاذة وغيرها، توفي سنة ٣٩٢هـ.

انظر: الأنساب للسمعاني (٢/١٠٠-١٠١)، ووفيات الأعيان (٣/٢٤٦) ترجمة رقم ٤١٢، وسير أعلام النبلاء (١٧/١٧) ترجمة رقم ٩.

(٥) المنصف في شرح كتاب التصريف (١/١٦١).

بإغلاقِ المقطعِ بهاءِ السكّتِ، ثمّ قال: «على أنّ الحقيقة أنّ التّاء قد سقطتْ لعلّة، وأنّ الهاء قد جاءتْ لعلّة أُخرى».^(١)

وما ذهب إليه الدُّكتورُ رمضانُ عبد التّوّابِ فيه نظرٌ من وجوه:

- **الأوّل:** أنّ العلاقة الصّوتيّة بين التّاء والهاء معقولةٌ من كلام ابنِ جنّي المذكورِ.
- **الثاني:** أنّ هاء السكّتِ إنّما يوتى بها ليبيان حركةٍ أو حرفٍ، ولا تأتي هاءُ السكّتِ بدلاً من حرفٍ محذوفٍ،^(٢) كما أنّ أحداً من علماء اللّغة السّابقين لم يسمّ الهاءَ الموقوفَ عليها في المؤنّث هاءَ سكّتٍ.

- **الثالث:** أنّ الدُّكتورَ قد علّل محيي الهاء عند الوقف بزعم أنّه لإغلاقِ المقطعِ الصّوتيّ، ولكنّه هو ومن قال بقوله لم يبيّنوا لنا علّة سقوطِ التّاء عند الوقف!
- **الرابع:** أنّ ما ذهب إليه الدُّكتورُ يفيد أنّ علامة التّأنيث محذوفةٌ حال الوقفِ، ومعلومٌ أنّ العرب قد جعلتِ التّاء علامةً للمؤنّث في الوصل، وذلك للحاجة للتّفريق بينه وبين المذكّر، وهذه الحاجة للتّفريق لا تتّفي عند الوقفِ.
والذي أراه أقرب إلى الصّواب أنّ هناك علاقةً بين الوقفِ بالهاءِ والتّأنيثِ، إذ إنّ صوتَ الهاءِ خفيّ، فيناسبُ الحشمةَ عند ذكرِ الأنثى، فيكونُ إبدالُ تاءِ التّأنيثِ هاءً عند الوقفِ إبقاءً للعلامةِ الفارقةِ بينَ المذكّرِ والمؤنّثِ، بصوتٍ خفيٍّ مناسبٍ لما تراعيه العربُ من الحشمةِ في ذكرِ الإناثِ.

ويشهدُ لذلك ما قاله الدُّكتورُ حسنُ عباس^(٣): «وأمّا (الهاءُ) في نهايةِ (ذِه - ذِه)

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص ٢٥٧.

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعراب (٤/٣١٢)، والجنى الداني في حروف المعاني ص ١٥٢.

(٣) باحث في اللغويات، عضو اتحاد الكتاب العرب بدمشق، له عدد من المؤلفات، منها: خصائص الحروف العربية ومعانيها، وحروف المعاني بين الأصالة والحداثة، وإطلالة على الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم. عن موقع اتحاد الكتاب العرب بدمشق: <http://awu-dam.net>.

لِلْمُفْرَدِ الْمُؤَنَّثِ، فَهِيَ لِمَجْرَدِ التَّأْنِيثِ، لَا شَأْنَ لَهَا فِي إِثَارَةِ الْإِنْتِبَاهِ، لِأَنَّ صَوْتَهَا فِي هَذَا الْمَوْقِعِ، يُلْفِظُ بَرَقَّةً لَا يَكَادُ السَّمْعُ يَلْتَقِطُ اهْتِرَازَاتِهِ، مُرَاعَاةً لِلْحِشْمَةِ فِي الْأَثْوَةِ^(١).

٢. الْوَقْفُ عَلَى تَاءِ التَّأْنِيثِ بِالتَّاءِ :

إِذَا كَانَتِ اللَّغَةُ الشَّهِيرَةُ الْفَاشِيَّةُ بَيْنَ الْعَرَبِ هِيَ الْوَقْفَ عَلَى تَاءِ التَّأْنِيثِ فِي الْأَسْمِ الْمُفْرَدِ بِإِبْدَالِهَا هَاءً، فَهُنَاكَ لُغَةٌ أُخْرَى فَصِيحَةٌ يَقِفُ أَهْلُهَا بِإِبْقَاءِ تَاءِ الْأَسْمِ الْمُفْرَدِ عِنْدَ الْوَقْفِ.

إِلَّا أَنَّ الْأَرْجَحَ وَالْأَشْهَرَ فِي لُغَاتِ الْعَرَبِ هُوَ الْوَقْفُ عَلَى الْأَسْمِ الْمُفْرَدِ بِإِبْدَالِ تَاءِ التَّأْنِيثِ هَاءً.^(٢)

وَالْوَقْفُ عَلَى تَاءِ تَأْنِيثِ الْأَسْمِ بِالتَّاءِ لُغَةٌ فَصِيحَةٌ، وَهِيَ لُغَةُ طِيٍّ.^(٣)
قَالَ الْفَرَّاءُ:^(٤) «وَالْعَرَبُ تَقِفُ عَلَى كُلِّ هَاءٍ مُؤَنَّثٍ بِأَهَاءٍ إِلَّا طِيًّا فَإِنَّهُمْ يَقِفُونَ

(١) حروف المعاني بين الأصالة والحدثة ص ١٤٥.

(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٤/٣٤٧)، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك مع حاشية الصبان (٤/٣٠١).

(٣) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ص ١٠٣، وسمير الطالبين ص ٤٠.
وطيئة قبيلة عظيمة تنسب إلى طيئة بن أدد بن زيد بن كهلان من القحطانية، واسم طيئة جُلُهْمَةُ، كانت منازلهم باليمن ثم انتقلوا على إثر خروج الأزدي من اليمن، فملأوا السهل والجبل في نجد والحجاز والشام، ومن ديارهم: دومة وسكاكة والقارة وغيرها.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ٣٩٧، والأنساب للسمعاني (٤/٣٥)، ومعجم القبائل العربية القديمة والحديثة (٢/٦٨٩-٦٩٠).

(٤) هو الإمام أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، والفراء لقبه، لقب به لأنه كان يُفْري الكلام، أي يحسن تقطيعه وتفصيله، ولد بالكوفة سنة ١٤٤ هـ، كان يقال له أمير المؤمنين في النحو، وآلت إليه زعامة الكوفيين بعد الكسائي، من مؤلفاته: معاني القرآن، والمذكر والمؤنث، والحدود في قواعد العربية، توفي سنة ٢٠٧ هـ، وقيل ٢٠٩ هـ في طريق عودته من مكة.

انظر: الأنساب للسمعاني (٤/٣٥٢)، ووفيات الأعيان (٦/١٧٦) ترجمة رقم ٧٩٨، وسير أعلام النبلاء (١٠/١١٨) ترجمة رقم ١٢.

عَلَيْهَا بِالتَّاءِ فَيَقُولُونَ: هَذِهِ أُمَّتٌ، وَجَارِيَتٌ، وَطَلَّحَتْ»^(١).
وَقَدْ نَزَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِهَذِهِ اللُّغَةِ فِي عَشْرَاتِ الْمَوَاضِعِ كَمَا سَيَأْتِي تَفْصِيلُهُ، وَهَذَا
شَوَاهِدٌ كَثِيرَةٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، مِنْهَا:
قَالَ أَبُو النَّجْمِ الْعَجَلِيُّ:^(٢)
وَاللَّهُ نَجَّكَ بِكَفِّي مَسَلَمَتْ مِنْ بَعْدِمَا وَبَعْدِمَا وَبَعْدِمَتْ^(٣)
كَانَتْ نُفُوسُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْغُلُصَمَتْ وَكَادَتْ الْحُرَّةُ أَنْ تُدْعَى أُمَّتْ
وَقَالَ سُورُ الدُّبِّ:^(٤)

بَلْ جَوَزَ تَيْهَاءَ كَظَهَرَ الْحَجَفَتْ
وَسَمِعَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: يَا أَهْلَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ! فَقَالَ بَعْضُ مَنْ سَمِعَهُ: وَاللَّهِ مَا
أَخْفَظُ مِنْهَا آيَةً.^(٥)

(١) ذكره ابن منظور في لسان العرب مادة (ها)، (٦/٤٥٩٧-٤٥٩٨)، وانظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي (١١٩/١).

(٢) الأبيات من الرجز لأبي النجم العجلي كما في مجالس ثعلب (١/٢٧٠)، ولسان العرب (٦/٤٢٩٣) مادة (ما)، وشرح التصريح على التوضيح (٢/٦٣١)، وذكرها غير منسوبة في الخصائص (١/٣٠٤)، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٤/٣٤٨) الشاهد رقم ٥٥٦.

(٣) قال ابن منظور في قوله (بعدمت): فإنه أراد (وبعدما)، فأبدل الألف هاءً، فأشبهت تاء التأنيث، فأبدلها تاءً كما في بقية الأبيات. لسان العرب (٦/٤٢٩٣) مادة (ما).

(٤) الرجز لسور الدُّبِّ في لسان العرب (٢/٧٨٧)، مادة (حجف)، ولبعض الطائين في شرح شواهد الإيضاح ص ٣٨٦ شاهد رقم ١٦١، وغير منسوب في الخصائص (١/٣٠٤)، (٢/٩٨)، والمحاسب (٢/٩٢)، وشرح المفصل لابن يعيش (٢/١٢٥) شاهد رقم ٣٤٤.

وسور الدُّبِّ لقب شاعر جاهلي، غَلَبَ عليه فلم يُعَرَفْ إلا به، وهو من بني مالك بن سعد، لُقِّبَ بِسُورِ الدُّبِّ لقوله: نَاهَزْتُ سُورَ الدُّبِّ عَنْهُ الدُّيْبَا

انظر: نقائص جرير والفرزدق (٢/٧٣٧)، وتاج العروس من جواهر القاموس (١١/٤٨٧)، ونوادير المخطوطات (١/١٥٢)، ومعجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي ص ١٦٥.

(٥) ذكره ابن هشام في شرح قطر الندى وبل الصدى ص ٣٢٥، وانظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك مع حاشية الصبان (٤/٣٠١).

• تَوْجِيهُ الْوَقْفِ عَلَى تَاءِ التَّائِيثِ بِالتَّاءِ :

مَرَّ ذِكْرُ خِلَافِ النَّحْوِيِّينَ فِي أَصْلِ عَلَامَةِ التَّائِيثِ فِي الْأَسْمَاءِ، فَالتَّاءُ أَصْلٌ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ، وَالهَاءُ أَصْلٌ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ، وَعَلَى مَذَهَبِ الْكُوفِيِّينَ بِاعْتِبَارِ الْأَصْلِ فِي عَلَامَةِ التَّائِيثِ الهَاءُ، تُبَدَّلُ هَذِهِ الهَاءُ فِي الْوَصْلِ تَاءً تَشْبِيهًا لَهَا بِتَاءِ التَّائِيثِ السَّاكِنَةِ فِي الْأَفْعَالِ نَحْوُ: قَامَتْ وَجَاءَتْ.

وَعَلَى كِلَا الْمَذَهَبَيْنِ فَالْعَلَامَةُ فِي الْوَصْلِ تُنطِقُ تَاءً، وَيَكُونُ الْوَقْفُ عَلَيْهَا بِالتَّاءِ فِي هَذِهِ اللُّغَةِ إِجْرَاءً لِلْوَقْفِ مُجْرَى الْوَصْلِ.^(١)

٣. الْوَقْفُ عَلَى تَاءِ التَّائِيثِ بِالْإِمَالَةِ :

تُبَدَّلُ تَاءُ التَّائِيثِ فِي الْوَقْفِ هَاءً فِي اللُّغَةِ الْفَاشِيَّةِ عِنْدَ الْعَرَبِ - كَمَا مَرَّ بِنَا، وَقَدْ أَمَّاها بَعْضُ الْعَرَبِ كَمَا أَمَّاوا الْأَيْفَ.

وَإِمَالَةُ مَا قَبَلَ هَاءِ التَّائِيثِ عِنْدَ الْوَقْفِ لُغَةٌ ثَابِتَةٌ، قَالَ الْحَافِظُ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ: «الْإِمَالَةُ هِيَ لُغَةٌ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ فِيهِمْ إِلَى الْآنَ، وَهُمْ بَقِيَّةُ أَبْنَاءِ الْعَرَبِ».^(٢) وَالْإِمَالَةُ لُغَةٌ: التَّعْوِيجُ وَالْإِحْنَاءُ، وَاصْطِلَاحًا: تَقْرِيبُ الْفَتْحَةِ مِنَ الْكَسْرِ، وَتَقْرِيبُ الْأَيْفِ مِنَ الْيَاءِ، مِنْ غَيْرِ قَلْبٍ خَالِصٍ.^(٣)

وَاخْتَلَفُوا هَلْ هَاءُ التَّائِيثِ مُمَالَةٌ مَعَ مَا قَبَلَهَا، أَوِ الْمَالُ مَا قَبَلَهَا فَقَطْ، وَذَهَبَ إِلَى الْأَوَّلِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ، مِنْهُمْ الدَّانِيُّ وَالشَّاطِبِيُّ وَغَيْرُهُمَا.

وَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّ الْمَالُ هُوَ فَتْحَةُ مَا قَبَلَ هَاءِ التَّائِيثِ فَقَطْ، وَهُوَ الصَّحِيحُ بِاعْتِبَارِ حَدِّ الْإِمَالَةِ الْمَذْكُورِ؛ فَهَذِهِ الهَاءُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُدْعَى تَقْرِيْبُهَا مِنَ الْيَاءِ، وَلَا

(١) الخصائص (١/٣٠٤)، والكشف عن وجوه القراءات السبع (١/٢٨٨)، وشرح المفصل لابن يعيش (٤٠٤/٥).

(٢) شرح شافية ابن الحاجب (٣/٢٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/٩٥).

(٣) الإضاءة في بيان أصول القراءة ص ٣٥.

فَتَحَّة فِيهَا فَتَقَرَّبَ مِنَ الكَسْرَةِ. (١)

• تَوْجِيهُ إِمَالَةٍ هَاءِ التَّأْنِيثِ :

سَبَبُ إِمَالَةٍ مَا قَبْلَ هَاءِ التَّأْنِيثِ مُشَابِهَةٌ الهَاءِ لِأَلِفِ التَّأْنِيثِ، نَحْوُ: الذِّكْرَى.
وَأَوْجُهُ الشَّبَهُ بَيْنَ الهَاءِ وَالْأَلِفِ: أَمَّهُمَا زَائِدَتَانِ، وَسَاكِنَتَانِ، وَأَمَّهُمَا مَفْتُوحٌ مَا
قَبْلَهُمَا، وَأَمَّهُمَا قَرِيبَتَا المُخْرَجِ، فَمَخْرَجُ الهَاءِ أَقْصَى- الحَلْقِ، وَمَخْرَجُ الأَلِفِ المَدِّيَّةِ
الجَوْفِ، (٢) وَأَمَّهُمَا حَرَفَانِ خَفِيَّانِ، قَدْ يَحْتَاجُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يَبَيَّنَ بغيرِهِ، كَمَا بَيَّنُّوا
أَلِفَ النُّدْبَةِ فِي الوَقْفِ بِالهَاءِ فِي نَحْوِ: وَارِزِيدَاهُ. (٣)

وَإِذَا أَضْفْنَا إِلَى أَوْجِهِ الشَّبَهُ تِلْكَ أَمَّهُمَا تَتَّفِقَانِ عَلَى الحُصُوصِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى
التَّأْنِيثِ، وَكَانَتْ أَلِفُ التَّأْنِيثِ تُسَالُ لِشَبْهِهَا بِالأَلِفِ المُنْقَلِبَةِ عَنِ اليَاءِ، لِذَلِكَ أَمَّالُوا
هَذِهِ الهَاءَ حَمَلًا عَلَى أَلِفِ التَّأْنِيثِ. (٤)

* * *

(١) النشر في القراءات العشر (٢/١٠٣)، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ص ٩٢.
(٢) هذا على قول الجمهور، وذهب سيبويه والشاطبي والفراء وغيرهم إلى أن مخرج الألف المدية هو نفس
مخرج الهمزة والهَاءِ من أَقْصَى الحَلْقِ. انظر: كتاب سيبويه (٤/٤٣٣)، وحرز الأمان ص ٩١، البيت ١١٣٨،
والتمهيد في علم التجويد ص ١٠٥-١٠٦.
وعلى قولهم يكون التعليل أقوى؛ لأن الهاء والألف المدية عندهم من مخرج واحد، فالشبه بينهما أقوى.
(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع (١/٢٠٣)، وإبراز المعاني من حرز الأمان ص ٢٤٢.
(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع (١/٢٠٣)، وشرح شافية ابن الحاجب (٣/٢٤)، والنشر في
القراءات العشر (٢/٩٥-١٠٣).

الفصل الثاني

رسم تاء التانيث في المصاحف العثمانية

الأصل في المصاحف العثمانية رسم تاء التانيث في الاسم المفرد هاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ﴾ [النساء: ٩٦]، ورسمها في جمع المؤنث السالم وما أشبهه بالتاء، كقوله تعالى: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنِينَاتٍ﴾ [التحریم: ٥].

ولكن رسمت تاء التانيث بالتاء المجرورة في الاسم المفرد وفي كلمات مخصوصة تُلحق بها تاء التانيث، في مواضع عديدة من القرآن الكريم، ويمكن تقسيم ذلك ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: ما اتفق على قراءته بالإفراد.
- القسم الثاني: ما قرئ بالإفراد والجمع.
- القسم الثالث: كلمات مخصوصة تُلحق بها تاء التانيث.

المَبْحَثُ الأوَّلُ

مَا رُسِمَ فِي الْمَصَاحِفِ بِالتَّاءِ مِمَّا اتَّفَقَ عَلَى قِرَاءَتِهِ بِالْإِفْرَادِ

الْمُتَّفَقُ عَلَى قِرَاءَتِهِ بِالْإِفْرَادِ مِنْ تَاءَاتِ التَّأْنِيثِ الَّتِي رُسِمَتْ بِالتَّاءِ الْمُجْرُورَةَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ كَلِمَةً، وَهِيَ:

• الأوَّلَى: (رَحِمْتَ) فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعٍ: ^(١)

— ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨].

— ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

— ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣].

— ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢].

— ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠].

— ﴿أَهْرَ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

— ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ [الزخرف: ٣٢].

• الثَّانِيَّةُ: (نِعِمْتَ) فِي أَحَدِ عَشَرَ مَوْضِعًا: ^(٢)

— ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣١].

— ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ [آل عمران: ١٠٣].

— ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ﴾ [المائدة: ١١]. ^(٣)

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٢، مختصر التبيين لهجاء التنزيل (٢/ ٢٦٨-٢٦٩)، ودليل الحيران شرح مورد الظمان ص ٢٣٥.

(٢) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٢-٨٣، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل (٢/ ٢٧٠-٢٧١)، ودليل الحيران شرح مورد الظمان ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٣) وهو الموضع الثاني بسورة المائدة.

- ﴿بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨].^(١)
- ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٣٤].
- ﴿وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].^(٢)
- ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣].
- ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [النحل: ١١٤].
- ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٣١].
- ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].
- ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ﴾ [الطور: ٣٠].
- الثالثة: (امرات) في سبعة مواضع:^(٣)
- ﴿أَمْرَاتُ عَمْرَانَ﴾ [آل عمران: ٣٥].
- ﴿أَمْرَاتُ الْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٣٠، ٥١].
- ﴿أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص: ٩].
- ﴿أَمْرَاتُ نُوحٍ وَأَمْرَاتُ لُوطٍ﴾ [التحریم: ١٠]، و﴿أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ﴾ [التحریم: ١١].
- الرابعة: (سنت) في خمسة مواضع:^(٤)
- ﴿وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨].
- ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾

(١) وهو الموضع الثاني منها، وكذلك في الثالث، وهو الآتي.

(٢) وهو الموضع الرابع منها، وكذلك في الموضعين الخامس والسادس، وهما الآتيان.

(٣) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٣، مختصر التبيين لهجاء التنزيل (٢/ ٢٧٣-٢٧٤)، ودليل الحيران شرح مورد الظمان ص ٢٣٨.

(٤) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٣، مختصر التبيين لهجاء التنزيل (٢/ ٢٧٢)، ودليل الحيران شرح مورد الظمان ص ٢٣٧.

[فاطر: ٤٣].

- ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ حَلَّتْ فِي عِبَادِهِ﴾ [غافر: ٨٥].
- الخَامِسَةُ: (لَعْنَت) فِي مَوْضِعَيْنِ: ^(١)
- ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. ^(٢)
- ﴿أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٧].
- السَّادِسَةُ: (مَعْصِيَت) فِي مَوْضِعَيْنِ: ^(٣)
- ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ [المجادلة: ٨، ٩].
- السَّابِعَةُ: (كَلِمَت):
- ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٣٧]. ^(٤)
- الثَّامِنَةُ: (بَقِيَّت): ^(٥)
- ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [هود: ٨٦].
- التَّاسِعَةُ: (قُرَّت): ^(٦)

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٥، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل (٢/ ٢٧٢-٢٧٣)، ودليل الحيران شرح مورد الظمان ص ٢٣٨.

(٢) وهو الموضع الأول من سورة آل عمران، أما الموضع الثاني وهو قوله: ﴿أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ في الآية ٨٧، فقد رسم بالهاء.

(٣) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٥، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل (٢/ ٢٧٣)، ودليل الحيران شرح مورد الظمان ص ٢٣٨.

(٤) وقد ورد الخلاف في هَذَا الموضع عن الشيخين: أبي عمرو الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٣-٨٤، وأبي داود سليمان بن نجاح في مختصر التبيين لهجاء التنزيل (٢/ ٢٧٥-٢٧٦)، وانظر: دليل الحيران شرح مورد الظمان ص ٢٣٨-٢٣٩. قال الشيخ الضباع: واعتمد ابن الجزرى التاء كرسمه في مصاحف العراق. سمير الطالبين ص ١٢٨.

(٥) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٥، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل (٢/ ٢٧٨)، ودليل الحيران شرح مورد الظمان ص ٢٣٨.

(٦) المراجع السابقة.

- ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾ [القصص: ٩].
 - العاشرة: (فطرت):^(١)
- ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].
 - الحادية عشرة: (شجرت):^(٢)
- ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ﴾ [الدخان: ٤٣].
 - الثانية عشرة: (جنت):^(٣)
- ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٩].
 - الثالثة عشرة: (ابنت):^(٤)
- ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾ [التحريم: ١٢].

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٦، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل (٢/٢٧٨)، ودليل الحيران شرح مورد الظمان ص ٢٣٨.

(٢) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٥، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل (٤/١١١١)، ودليل الحيران شرح مورد الظمان ص ٢٣٨.

(٣) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٦، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل (٢/٢٧٨)، ودليل الحيران شرح مورد الظمان ص ٢٣٨.

(٤) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٦، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل (٢/٢٧٩)، ودليل الحيران شرح مورد الظمان ص ٢٣٨.

المَبْحَثُ الثَّانِي

مَا رُسِمَ فِي الْمَصَاحِفِ بِالتَّاءِ مِمَّا قُرِئَ بِالْإِفْرَادِ وَالْجَمْعِ

رُسِمَتْ تَاءُ تَأْنِيثِ الاسْمِ بِالتَّاءِ الْمُجْرُورَةِ فِي كَلِمَاتٍ قُرِئَتْ بِالْإِفْرَادِ وَالْجَمْعِ، وَهِيَ سَبْعٌ، وَتَلَحَّقُ بِهَا كَلِمَةٌ ثَامِنَةٌ اِخْتَلَفَ فِي قِرَاءَتِهَا بَوَجْهَيْنِ آخَرَيْنِ:

• الأُولَى: (كَلِمَت) فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ: ^(١)

- ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

- ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [يونس: ٣٣].

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [يونس: ٩٦].

- ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [غافر: ٦].

وَقَدْ اِخْتَلَفَ فِي الْمَوْضِعِ الثَّانِي مِنْ سُورَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَذَلِكَ فِي مَوْضِعِ سُورَةِ غَافِرٍ، فَفِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ بِالْهَاءِ، وَفِي بَعْضِهَا بِالتَّاءِ، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْعَمَلُ

فِيهِمَا رَسَمُهُمَا بِالتَّاءِ الْمُجْرُورَةِ. ^(٢)

• الثَّانِيَّةُ: (بَيِّنَت): ^(٣)

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٤، مختصر التبيين لهجاء التنزيل (٢/ ٢٧٤-٢٧٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ١٣١)، وتنبيه الخلان على الإعلان مع دليل الحيران شرح مورد الظمان ص ٣٥١-٣٥٢، وسمير الطالبين ص ١٢٩.

(٢) انظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٤، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل (٢/ ٢٧٧)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ١٣١).

وقد قرأ حفص المواضع الأربعة بالإفْرَادِ كالكوفيين ويعقوب، ووافقهم ابن كثير وأبو عمرو في يونس وغافر، وقرأ الباقون بالجمع فيهن. النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٢).

(٣) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٦، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل (٤/ ١٠١٨). وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحزوة وخلف وحفص بالإفْرَادِ فِي هَذَا اللَّفْظِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْجَمْعِ. النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٥٢).

- ﴿ فَهَمَّ عَلَى بِنْتٍ مِّنْهُ ﴾ [فاطر: ٤٠].
- الثالثة : (جمالت) :^(١)
- ﴿ كَأَنَّهُ جُمِلَتْ صُفْرًا ﴾ [المرسلات: ٣٣].
- الرابعة : (غيابت) في موضعين:^(٢)
- ﴿ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ ﴾ [يوسف: ١٠].
- ﴿ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ ﴾ [يوسف: ١٥].
- الخامسة : (آيت) في موضعين:^(٣)
- ﴿ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّالِطِينَ ﴾ [يوسف: ٧].
- ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [العنكبوت: ٥٠].
- السادسة : (العرفت):^(٤)
- ﴿ فِي الْعُرْفَتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧].
- السابعة : (ثمرت):^(٥)

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٦، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل (١٢٥٦/٥).
وقد قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص (جمالة) بالإفراد، وقرأ الباقون (جمالات) بالجمع، واختلف من قرأ بالجمع في الجيم، فقرأ رؤيس بضم الجيم، وقرأ الباقون بكسرهما. النشر في القراءات العشر (٣٩٧/٢).
(٢) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٦، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل (٧٠٨-٧٠٧/٣).
قرأ نافع وأبو جعفر (غيابات) بالجمع، وقرأ الباقون (غيابة) بالإفراد. النشر في القراءات العشر (٢٩٣/٢).
(٣) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٦، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل (٧٠٧/٣).
قرأ ابن كثير (آية) بالإفراد في موضع يوسف، وقرأه الباقون (آيات) بالجمع. النشر في القراءات العشر (٢٩٣/٢)، أما موضع العنكبوت، فقد قرأه بالإفراد ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وشعبة، وقرأ الباقون بالجمع. النشر (٣٤٣/٢).
(٤) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٦، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل (١٠١٤/٤).
انفرد حمزة بقراءة (الغرفة) بالإفراد، وقرأها الباقون (الغرفات) بالجمع. النشر في القراءات العشر (٣٥١/٢).
(٥) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٥، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل (١٠٨٧-١٠٨٨/٤). =

- ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَةٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ [فصلت: ٤٧].
● الثامنة: (حصرت):^(١)

- ﴿أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠].
أَحَقَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بِالْمُخْتَلَفِ فِي قِرَاءَتِهِ؛ لِأَنَّ الْقُرَّاءَ اخْتَلَفُوا فِي قِرَاءَتِهَا بِوَجْهَيْنِ،
فَقَدْ قَرَأَ يَعْقُوبُ (حَصْرَتْ) بِالتَّنْوِينِ وَالنَّصْبِ، عَلَى أَنَّهُ اسْمٌ مُؤَنَّثٌ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ
(حَصْرَتْ) عَلَى أَنَّهُ فِعْلٌ مَاضٍ.^(٢)
فَعَلَى قِرَاءَةِ يَعْقُوبَ تَكُونُ تَاءُ تَأْنِيثٍ فِي اسْمٍ مُفْرَدٍ رُسِمَتْ فِي الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ
تَاءً، فَنَاسَبَ ذِكْرُ هَذَا الْمَوْضِعِ هُنَا.

= قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر وحفص (ثمرات) بالجمع، وقرأ الباقون (ثمرة) بالإفراد. النشر في القراءات
العشر (٢/٢٩٣).

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٥، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل (٢/٤٠٩).

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/١٣١)، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ص ١٠٣.

المبحث الثالث

كلمات مخصصة تلحق بها تاء التانيث ورُسمت في المصاحف بالتاء

أُلحقت تاء التانيث بست كلمات مخصصة، وهي: (١)

- ١ - ﴿يَأْتِ﴾، حيث وردت، وذلك في ثمانية مواضع: اثنان في يوسف، وأربع في مريم، وواحد في القصص، وواحد في الصافات. (٢)
- ٢ - ﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦].
- ٣ - ﴿مَرْضَاتٍ﴾ حيث وردت في القرآن الكريم، وهي في أربعة مواضع: موضعان في البقرة، وموضع في النساء، وموضع في التحريم. (٣)
- ٤ - ﴿وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣]. (٤)
- ٥ - ﴿أَلَلَّتْ﴾ [النجم: ١٩]. (٦)
- ٦ - ﴿ذَاتٍ﴾ [الأنفال: ١]، وحيث وردت في القرآن الكريم. (٧)

(١) ذكر الداني هذه الكلمات المخصصة في المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٦، والمارغني في دليل الحيران شرح مورد الظمان ص ٢٣٩.

(٢) في الآيات: ٤، ١٠٠ من سورة يوسف عليه السلام، والآيات ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥ من سورة مريم، والآية ٢٦ من سورة القصص، والآية ١٠٢ من سورة الصافات.

(٣) في الآيتين: ٢٠٧، ٢٦٥ من سورة البقرة، والآية ١١٤ من سورة النساء، والآية ١ من سورة التحريم.

(٤) مختصر التبيين لهجاء التنزيل (٢/٢٦٣-٢٦٤).

(٥) مختصر التبيين لهجاء التنزيل (٤/١٠٤٧).

(٦) لسان العرب (٦/٤٥٧٦) مادة (نوص)، وانظر: تهذيب اللغة (٥/١٩٥).

(٧) مختصر التبيين لهجاء التنزيل (٤/١١٥٤).

(٧) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ٨٦، وسمير الطالبيين ص ١٢٩.

الفصل الثالث

مذاهبُ القراءِ في الوقفِ على تاءِ التَّأنيثِ

المبحثُ الأوَّلُ

الوقفُ على تاءِ التَّأنيثِ بالإبدالِ

للعربِ في الوقفِ على الكلامِ أوجهٌ متعدِّدةٌ، وقد وردَ الكثيرُ منها في الرواياتِ القرآنيَّةِ، ومن ذلك الوقفُ بالإبدالِ، ومنه إبدالُ تاءِ التَّأنيثِ هاءً عندَ الوقفِ. (١)
وقد وردتِ الرواياتُ القرآنيَّةُ المتواترةُ باللغتينِ المشهورتينِ في الوقفِ على تاءِ تأنيثِ الاسمِ المُفردِ: بالإبدالِ هاءً، وبإبقائها تاءً كالوَصْلِ.

ويمكنُ تقسيمُ الكلامِ على وقفِ القراءِ على تاءِ تأنيثِ الاسمِ قسَمينِ:

- القسمُ الأوَّلُ: ما كانَ مرسوماً في المصاحفِ العُثمانيَّةِ بالهاءِ.

- القسمُ الثاني: ما كانَ مرسوماً في المصاحفِ العُثمانيَّةِ بالتاءِ المُجرورةِ.

وهذا القسمُ الثاني يُقسَّمُ ثلاثةَ أقسامٍ، كما قسَّم في الفصلِ الثاني: ما رُسِمَ بالتاءِ ممَّا اتَّفَقَ على قراءتِهِ بالإفرادِ، وما رُسِمَ بالتاءِ ممَّا فُرِيَ بالإفرادِ والجمعِ، والكَلِمَاتُ المُخْصِصَةُ الَّتِي أُحِقَّتْ بِهَا تاءُ التَّأنيثِ.

القسمُ الأوَّلُ: ما كانَ مرسوماً في المصاحفِ العُثمانيَّةِ بالهاءِ :

لَمَّا كانَ الأصلُ في المصاحفِ العُثمانيَّةِ رَسْمُ تاءِ التَّأنيثِ في الاسمِ المُفردِ هاءً، كانَ الأصلُ أنْ يُوقَفَ عَلَيْهَا بِإِبْدَالِهَا هاءً، وَلِذَلِكَ أَجْمَعَ القُراءُ العَشْرَةَ على الوقفِ على كُلِّ تاءٍ مُؤنَّثَةٍ رُسِمَتْ في المصاحفِ العُثمانيَّةِ هاءً بِإِبْدَالِهَا هاءً، وَهِيَ اللُّغَةُ الشَّهيرةُ

(١) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٣٣)، وقد مر بنا الكلام في لغات العرب في الوقف على تاء التأنيث في الفصل الأول من هذا البحث.

الْفَاشِيَّةُ بَيْنَ الْعَرَبِ. ^(١)

الْقِسْمُ الثَّانِي: مَا كَانَ مَرْسُومًا فِي الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ بِالتَّاءِ الْمَجْرُورَةِ :

اِخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي رُسِمَتْ فِي الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ بِالتَّاءِ الْمَجْرُورَةِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسْمَ فَيَقِفُ عَلَيْهَا بِالتَّاءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُبَدِّلُهَا هَاءً عَلَى اللُّغَةِ الْمَشْهُورَةِ.

وَالْمَرْسُومُ فِي الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ بِالتَّاءِ الْمَجْرُورَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ كَمَا أَسْلَفْنَا، وَاجْتِلَافُ الْقُرَّاءِ فِيهَا يُفَصَّلُ عَلَى أَسَاسِ ذَلِكَ التَّقْسِيمِ كَمَا يَأْتِي:

١- الْمَوَاضِعُ الْمُتَّفِقُ عَلَى قِرَاءَتِهَا بِالْإِفْرَادِ

الْوَقْفُ عَلَى تَاءِ التَّائِيثِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُحْكُومٌ بِخَطِّ الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ عِنْدَ جُمْهُورِ الْقُرَّاءِ، فَكَمَا أَجْمَعَ الْقُرَّاءُ عَلَى الْوَقْفِ بِالهَاءِ عَلَى الْمَرْسُومِ فِي الْمَصَاحِفِ هَاءً، فَقَدْ اتَّبَعَ الْجُمْهُورُ مِنْهُمْ رِسْمَ الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ فَوَقَفُوا بِالتَّاءِ عَلَى مَا رُسِمَ فِيهَا بِالتَّاءِ الْمَجْرُورَةِ.

وَخَالَفَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكَسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ الْجُمْهُورَ فَوَقَفُوا عَلَى تِلْكَ الْمَوَاضِعِ بِإِبْدَالِهَا هَاءً خِلَافًا لِلرَّسْمِ، وَاتَّبَاعًا لِأَفْصَحِ اللُّغَتَيْنِ وَأَشْهَرِهِمَا. ^(٢)

٢- الْمَوَاضِعُ الَّتِي قُرِئَتْ بِالْإِفْرَادِ وَالْجَمْعِ

رُسِمَتْ تَاءُ تَأْنِيثِ الْأِسْمِ بِالتَّاءِ الْمَجْرُورَةِ فِي كَلِمَاتٍ قُرِئَتْ بِالْإِفْرَادِ وَالْجَمْعِ، وَفِي مَوْضِعٍ قُرِئَ بِوَجْهَيْنِ، وَهُوَ (حَصْرَتْ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْجَاءُكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠]، فَقَدْ قُرِئَ (حَصْرَتْ) بِالتَّنْوِينِ وَالنَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ اسْمٌ

(١) إبراز المعاني من حرز الأمانى ص ٢٧٤، وسراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي ص ١٤٨، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ص ١٠٣.

(٢) التيسير في القراءات السبع ص ٦٠، والنشر في القراءات العشر (٢/١٣٠)، وإبراز المعاني من حرز الأمانى ص ٢٧٤.

مُؤنَّثٍ، وَ(حَصَرْتُ) بِسُكُونِ التَّاءِ عَلَى أَنَّهُ فِعْلٌ.

وَقَدْ اِخْتَلَفَ وَقَفُ الْقُرَّاءِ عَلَى هَذِهِ الْمَوَاضِعِ، فَمَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ بِالْجَمْعِ، وَقَفَ عَلَيْهَا بِالتَّاءِ بِلا خِلافٍ، وَمَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ بِالْإِفْرَادِ وَقَفَ عَلَيْهَا بِالتَّاءِ إِنْ كَانَ مَذْهَبُهُ اتِّبَاعَ الرَّسْمِ، وَهُمْ الْجُمْهُورُ، وَيَقِفُ عَلَيْهَا بِالهَاءِ إِنْ كَانَ مَذْهَبُهُ الْوَقْفَ بِالهَاءِ دَائِمًا، وَهُمْ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكَسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَعَلَى هَذَا التَّفْصِيلِ يَكُونُ الْوَقْفُ بِالهَاءِ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

• (كَلِمَت) فِي مَوَاضِعِهَا الْأَرْبَعَةِ :

- ﴿وَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

- ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [يونس: ٣٣].

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [يونس: ٩٦].

- ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [غافر: ٦].

قَرَأَ الْكُوفِيُّونَ وَيَعْقُوبُ الْمَوَاضِعَ الْأَرْبَعَةَ بِالْإِفْرَادِ، وَوَأَفَقَهُمُ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو فِي يُونُسَ وَغَافِرٍ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْجَمْعِ فِيهِنَّ.^(١)

وَيَقِفُ الْكَسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ عَلَى هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْأَرْبَعَةِ بِالهَاءِ، وَيَقِفُ أَبُو عَمْرٍو

وَابْنُ كَثِيرٍ بِالتَّاءِ عَلَى مَوْضِعِ الْأَنْعَامِ، وَبِالهَاءِ عَلَى مَوْضِعِ يُونُسَ وَمَوْضِعِ غَافِرٍ.

وَيَقِفُ الْبَاقُونَ بِالتَّاءِ عَلَى تِلْكَ الْمَوَاضِعِ سِوَاءَ كَأَنَّ قِرَاءَتَهُمْ لَهَا بِالْإِفْرَادِ أَوْ

بِالْجَمْعِ.^(٢)

(١) التيسير في القراءات السبع ص ١٠٦، ١٢٢، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٦٢)، .

(٢) التيسير في القراءات السبع ص ٦٠، والنشر في القراءات العشر (٢/١٣٠)، وإبراز المعاني من حرز الأمان ص ٢٧٤.

• (بَيَّنَتْ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

- ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّنْهُ﴾ [فَاطِر: ٤٠].

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَحَمْزَةُ وَخَلْفٌ وَحَفْصٌ بِالْإِفْرَادِ فِي هَذَا اللَّفْظِ، وَقَرَأَ
الْبَاقُونَ بِالْجَمْعِ. ^(١)

وَيَكُونُ الْوَقْفُ عَلَيْهَا لِابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو بِالْهَاءِ، وَلِلْبَاقِينَ بِالتَّاءِ.

• (جَمَلَتْ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

- ﴿كَأَنَّهُ جَمَلَتْ صُفْرًا﴾ [الْمُرْسَلَات: ٣٣].

قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ وَخَلْفٌ وَحَفْصٌ (جَمَلَتْ) بِالْإِفْرَادِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (جَمَلَاتٌ)
بِالْجَمْعِ، وَاخْتَلَفَ مَنْ قَرَأَ بِالْجَمْعِ فِي الْجِيمِ مِنْهَا، فَقَرَأَ رُوَيْسٌ بِضَمِّ الْجِيمِ، وَقَرَأَ
الْبَاقُونَ بِكَسْرِهَا. ^(٢)

فَيَقِفُ عَلَيْهَا بِالْهَاءِ الْكَسَائِيُّ وَخَلْفٌ، وَيَقِفُ الْبَاقُونَ بِالتَّاءِ.

• (غَيَّابَتْ) فِي مَوْضِعِهَا:

- ﴿وَأَلْقَاهُ فِي عَيْنَتِ الْجُبِّ﴾ [يُوسُف: ١٠].

- ﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي عَيْنَتِ الْجُبِّ﴾ [يُوسُف: ١٥].

قَرَأَ نَافِعٌ وَأَبُو جَعْفَرٍ (غَيَّابَاتٍ) بِالْجَمْعِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (غَيَّابَةً) بِالْإِفْرَادِ. ^(٣)

فَيَقِفُ عَلَيْهَا ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكَسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ بِالْهَاءِ، وَيَقِفُ الْبَاقُونَ
بِالتَّاءِ اتِّبَاعًا لِلرَّسْمِ.

• (آيَتْ) فِي مَوْضِعِهَا:

(١) التيسير في القراءات السبع ص ١٨٢، والنشر في القراءات العشر (٢/٣٥٢).

(٢) التيسير في القراءات السبع ص ٢١٨، والنشر في القراءات العشر (٢/٣٩٧).

(٣) التيسير في القراءات السبع ص ١٢٧، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٩٣).

- ﴿ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ۖ آيَاتٌ لِّلسَّالِئِلِينَ ﴾ [يوسف: ٧].
- ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ ﴾ [العنكبوت: ٥٠].
- قرأ ابن كثير (آية) بالإنفراد في موضع يوسف، ووقف عليه بالهاء على مذهبه، وقرأه الباقرن (آيات) بالجمع، ووقفوا عليه بالتاء. (١)
- أما موضع العنكبوت، فقد قرأه بالإنفراد ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وشعبة، وقرأ الباقرن بالجمع، ووقف عليه ابن كثير والكسائي بالهاء، ووقف الباقرن بالتاء. (٢)
- (العرفت) في قوله تعالى:
- ﴿ فِي الْعُرْفِ عَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧].
- انفرد حمزة بقراءة (العرفة) بالإنفراد، وقرأها الباقرن (العرفات) بالجمع، وأجمعوا على الوقف عليها بالتاء. (٣)
- (ثمرت) في قوله تعالى:
- ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا ﴾ [فصلت: ٤٧].
- قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر وحفص (ثمرات) بالجمع، وقرأ الباقرن (ثمره) بالإنفراد. (٤)
- ووقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب بالهاء، ووقف الباقرن عليها بالتاء اتِّباعاً للرَّسم.

(١) التيسير في القراءات السبع ص ١٢٧، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٩٣).

(٢) التيسير في القراءات السبع ص ١٧٤، والنشر في القراءات العشر (٢/٣٤٣).

(٣) التيسير في القراءات السبع ص ١٨١، والنشر في القراءات العشر (٢/٣٥١).

(٤) التيسير في القراءات السبع ص ١٩٤، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٩٣).

• (حَصَرَتْ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

- ﴿أَوْجَاءُكُمْ حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠].

قَرَأَ يَعْقُوبُ (حَصَرَتْ) بِالتَّنْوِينِ وَالنَّصْبِ، عَلَى أَنَّهُ اسْمٌ مُؤَنَّثٌ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (حَصَرَتْ) عَلَى أَنَّهُ فِعْلٌ مَاضٍ.

وَيَقِفُ عَلَيْهَا يَعْقُوبُ بِالْهَاءِ عَلَى أَصْلِهِ، وَيَقِفُ الْبَاقُونَ بِالتَّاءِ؛ اتِّبَاعًا لِلرَّسْمِ، وَلَا تَمَّهَا لَيْسَتْ مِنْ تَاءٍ تَأْنِيثِ الْاسْمِ عِنْدَهُمْ.^(١)

وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي قُرِئَتْ بِوَجْهَيْنِ أَنَّهُ:

- إِذَا قَرَأَ الْقَارِئُ بِالْإِفْرَادِ وَقَفَ عَلَيْهَا عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ مَذْهَبُهُ: فَيَقِفُ عَلَيْهَا بِالْهَاءِ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكَسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ، وَيَقِفُ الْبَاقُونَ بِالتَّاءِ.

- وَإِذَا قَرَأَ الْقَارِئُ بِالْجَمْعِ وَقَفَ عَلَيْهَا بِالتَّاءِ كَسَائِرِ الْجُمُوعِ.^(٢)

٣- كَلِمَاتٌ مَخْصُوصَةٌ تُلْحَقُ بِهَا تَاءُ التَّائِيثِ :

اختلف القراء أيضًا في ست كلمات ألحقت بها تاء التأنيث وهي:

١- ﴿يَتَأَبَّتْ﴾ [يوسف: ٤]، حَيْثُ وَقَعَتْ.^(٣)

فوقفَ عَلَيْهَا بِالْهَاءِ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ، وَكَذَا أَبُو جَعْفَرٍ وَيَعْقُوبُ، لِكُونِهَا تَاءً تَأْنِيثٍ لِحَقَّتِ الْآبُ فِي بَابِ النِّدَاءِ خَاصَّةً، وَوَقَفَ الْبَاقُونَ بِالتَّاءِ عَلَى الرَّسْمِ.^(٤)

٢- ﴿هَيَّاتَ﴾ [المؤمنون: ٣٦].

(١) مختصر التبيين لهجاء التنزيل (٢/ ٤٠٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ١٣١)، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ص ١٠٣.

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٣١).

(٣) وهي في ثمانية مواضع: اثنتان في سورة يوسفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: في الآيتين: ٤، ١٠٠، وَأَرْبَعٌ فِي مَرْيَمَ، فِي الآيات ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، وَوَاحِدٌ فِي الْقَصَصِ الآية ٢٦، وَوَاحِدٌ فِي الصَّافَّاتِ الآية ١٠٢.

(٤) التيسير في القراءات السبع ص ٦٠، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ص ١٠٤.

وَقَفَ الْكِسَائِيُّ وَالْبَزِّيُّ بِالْهَاءِ عَلَى ﴿هَيْهَاتَ﴾ فِي مَوْضِعَيْهَا بِسُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ،
وَوَرَدَ عَنْ قُنْبُلٍ اخْتِلَافٌ، فَقَطَعَ لَهُ بِالتَّاءِ فِيهَا فِي الشَّاطِئَةِ، كَالْتَيْسِيرِ، وَقَطَعَ لَهُ بِالْهَاءِ
فِيهَا كَالْبَزِّيِّ الْعِرَاقِيُّونَ قَاطِبَةً عَنْهُ، وَوَقَفَ بَقِيَّةُ الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةَ بِالتَّاءِ.^(١)

٣- ﴿مَرْضَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، حَيْثُ وَقَعَتْ.^(٢)

٤- ﴿وَلَاتٍ﴾ [ص: ٣].

٥- ﴿الَّذَاتِ﴾ [النجم: ١٩].

٦- ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾، [النمل: ٦٠].^(٣)

فَوَقَفَ الْكِسَائِيُّ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْأَرْبَعَةَ بِالْهَاءِ، وَوَقَفَ الْبَاقُونَ بِالتَّاءِ اتِّبَاعًا
لِلرَّسْمِ.^(٤)

* * *

(١) المرجعان السابقان.

(٢) وهي في أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ: مَوْضِعَانِ فِي الْبَقْرَةِ، فِي الْآيَتَيْنِ: ٢٠٧، ٢٦٥، وَمَوْضِعٌ فِي النَّسَاءِ فِي الْآيَةِ ١١٤،
وَمَوْضِعٌ فِي التَّنْحِيمِ فِي الْآيَةِ ١.

(٣) فِي سُورَةِ النَّمْلِ خَاصَّةً، وَلَا يَدْخُلُ مَا سِوَى هَذَا الْمَوْضِعِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (ذَاتَ بَيْنِكُمْ) [الأنفال: ١]، فَقَدْ
اتَّفَقَ عَلَى التَّاءِ فِي بَقِيَّةِ الْمَوَاضِعِ وَقَفًّا.

(٤) التيسير في القراءات السبع ص ٦٠، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ص ١٠٤.

المبحث الثاني

الوقف على هاء التانيث بالإمالة

اِخْتَصَّ الْكِسَائِيُّ بِإِمَالَةِ هَاءِ التَّانِيثِ سِوَاءَ رُسِمَتِ هَاءٌ نَحْوُ: ﴿وَمَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ﴾ [النساء: ٩٦]، أَوْ رُسِمَتِ تَاءٌ نَحْوُ: ﴿أَهْمُرِيَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وَوَرَدَتْ إِمَالَةُ هَاءِ التَّانِيثِ الْمُرْسُومَةِ هَاءً عَنِ حَمْرَةَ أَيْضًا، ذَكَرَهُ عَنْهُ الْهَنْدَلِيُّ، وَلَمْ يَحْكُ عَنْهُ خِلَافًا فِي ذَلِكَ، وَحَكَى عَنْهُ الْخِلَافَ آخَرُونَ كَأَبِي الْعِزِّ الْقَلَانِسِيِّ وَابْنَ سِوَارٍ، وَخَصَّهُ ابْنُ سِوَارٍ بِرِوَايَةِ خَلْفٍ، وَأَبِي حَمْدُونَ، عَنْ سُلَيْمٍ، عَنْ حَمْرَةَ.

وَأَمَّا مَا ذُكِرَ مِنْ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَامِرٍ وَخَلْفٍ فِي اخْتِيَارِهِ وَوَرَشٍ بِإِمَالَةِ هَاءِ التَّانِيثِ إِمَالَةً مُحْضَةً، وَمَا ذُكِرَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو وَأَبِي جَعْفَرٍ وَبَعْضِ أَصْحَابِ نَافِعٍ وَابْنِ عَامِرٍ بِإِمَالَتِهَا إِمَالَةً صُغْرَى، فَهِيَ انْفِرَادَاتٌ لَا يُقْرَأُ بِهَا. ^(١)

قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ: «وَالَّذِي عَلَيْهِ الْعَمَلُ عِنْدَ أئِمَّةِ الْأَمْصَارِ هُوَ الْفَتْحُ عَنْ جَمِيعِ الْقُرَّاءِ، إِلَّا فِي قِرَاءَةِ الْكِسَائِيِّ، وَمَا ذُكِرَ عَنْ حَمْرَةَ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ». ^(٢)

وَالْمُرُوءِيُّ عَنِ الْكِسَائِيِّ فِي إِمَالَةِ مَا قَبْلَ تَاءِ التَّانِيثِ مَذْهَبَانِ:

– الْمَذْهَبُ الْأَوَّلُ: الْإِمَالَةُ عِنْدَ بَعْضِ الْحُرُوفِ عَلَى تَفْصِيلِ

وَهُوَ اخْتِيَارُ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُجَاهِدٍ، وَاخْتَارَهُ الْإِمَامُ الدَّانِيُّ وَأَبُو الْقَاسِمِ الشَّاطِبِيُّ، وَأَكْثَرُ الْمُحَقِّقِينَ، وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَئِمَّةِ، وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ عِنْدَ الْقُرَّاءِ. ^(٣)

وَعَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ تُقَسَّمُ حُرُوفُ الْهَجَاءِ ثَلَاثَةً أَقْسَامٍ:

(١) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٠٢)، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ص ٩٢.

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٠٢).

(٣) التيسير في القراءات السبع ص ٥٤، والنشر- في القراءات العشر (٢/ ١٠٠)، والإضاءة في بيان أصول القراءة ص ٩٨-٩٩.

- القِسْمُ الأوَّلُ: مَا يُوقَفُ عَلَيْهِ بِالْإِمَالَةِ.
وَذَلِكَ إِذَا وَقَعَ قَبْلَ تَاءِ التَّأْنِيثِ أَحَدُ خَمْسَةِ عَشَرَ حَرْفًا، وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ فِي (فَجَبَتْ زَيْنَبُ لِدَوْدِ شَمْسٍ)، نَحْوُ: (خَلِيفَةٌ)، (ثَلَاثَةٌ)، (بَغْتَةٌ)، (بَلْدَةٌ)، (خَمْسَةٌ).
- القِسْمُ الثَّانِي: مَا يُوقَفُ عَلَيْهِ بِالْفَتْحِ.
وَذَلِكَ إِذَا وَقَعَ قَبْلَ تَاءِ التَّأْنِيثِ أَحَدُ عَشْرَةِ أَحْرَفٍ، وَهِيَ الْمَجْمُوعَةُ فِي (حَقُّ ضِعَاظُ عَصِ خَطًّا)، نَحْوُ: (النَّطِيحَةُ)، (قَبْضَةٌ)، (غِلْظَةٌ)، (حِطَّةٌ).
- القِسْمُ الثَّالِثُ: مَا يُوقَفُ عَلَيْهِ بِالْإِمَالَةِ فِي حَالٍ، وَبِالْفَتْحِ فِي حَالٍ.
وَذَلِكَ إِذَا وَقَعَ قَبْلَ تَاءِ التَّأْنِيثِ أَحَدُ حُرُوفِ (أَكْهَرَ). فَتُمَالُ تَاءُ التَّأْنِيثِ إِذَا وَقَعَ قَبْلَ هَذِهِ الْأَحْرَفِ يَاءٌ سَاكِنَةٌ، نَحْوُ: (كَهَيْتَةٌ)، (الْأَيْكَةُ)، أَوْ كَسْرٌ مُتَّصِلٌ، نَحْوُ: (فَيْتَةٌ)، (أَلْهَةٌ)، (فَاكِهَةٌ)، أَوْ كَسْرٌ مَفْصُولٌ عَنْهَا بِحَرْفِ سَاكِنٍ، نَحْوُ: (وِجْهَةٌ)، (عِبْرَةٌ)، (سِدْرَةٌ).
- وَتُفْتَحُ فِيمَا عَدَا ذَلِكَ، نَحْوُ: (امْرَأَةٌ)، (سَفَاهَةٌ)، (مَكَّةٌ)، (الشُّوكَّةُ).^(١)
- الْمَذْهَبُ الثَّانِي: الْإِمَالَةُ عِنْدَ جَمِيعِ الْحُرُوفِ عَدَا الْأَلْفِ بِلا تَفْصِيلٍ
وَيُسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ الْأَلْفُ لِلْإِجْمَاعِ عَلَى عَدَمِ إِمَالَةِ تَاءِ التَّأْنِيثِ إِذَا وَقَعَتْ قَبْلَهَا
الْأَلْفُ.^(٢)

* * *

(١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ص ٩٢-٩٣، والإضاءة في بيان أصول القراءة ص ٩٨-٩٩.

(٢) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ص ٩٢.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث أخصّ أهمّ ما توصلت إليه من نتائج في النقاط الآتية:

١ - أن لغة العرب بلغت العاية في الدقة، وفي العناية بالبيان والوضوح، ومن ذلك اهتمام العرب بوضع علامة تميّز المذكر من المؤنث في أنواع الكلم العربي المختلفة.

٢ - أن القرآن الكريم حفظ لغة العرب بأدق تفاصيلها في رواياته المتواترة، فوردت فيه لغات العرب المختلفة، المتفقتة في الفصاحة.

٣ - أن المصاحف العثمانية اعتنت بنقل صورة دقيقة لما كتبت بين يدي النبي ﷺ فاتفقت مع الروايات المتواترة للقرآن الكريم.

٤ - أن تاء التانيث ألحقت بكلمات عربية، وأن القراءات المتواترة حفظت لنا ذلك، وحفظت لنا لغات العرب في الوقف عليها.

٥ - إجماع القراء على الوقف على تاء تانيث جمع السلامة بالتاء، رغم ورود لغة فصيحة تفت عليها بالهاء، وهذا مصداق قول القراء: ليس كل ما صح لغة يصح قراءة.

٦ - أن الوقف بإمالة ما قبل هاء التانيث مناسب لتشابهها مع ألف التانيث في وجوه كثيرة، وهو ما يدل على موافقة لغتنا العظيمة لما عليه أهل الطباع السليمة، واتفاق قواعدها مع ما يناسب أصحاب الأذواق الرفيعة.

٧ - أهمية العناية بطرق الروايات القرآنية المتواترة وتحريرها، بحيث تصبح معروفة لطلاب العلم، ولين يحتاج إلى معرفتها من المسلمين.

٨ - ضرورة توجيه طلاب العلم والباحثين إلى المزيد من الدراسات حول رسم المصاحف العثمانية، وموافقتها للغات العرب وما تواتر من الروايات القرآنية.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- إبراز المعاني من حرز الأمانى - أبو شامة عبد الرحمن بن إساعيل المقدسي ت ٦٦٥هـ - تحقيق إبراهيم عطوة عوض - دار الكتب العلمية - بيروت - بدون تاريخ.
- ٢- إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر - أحمد بن محمد البناء الدميطي ت ١١١٧هـ - صححه على محمد الضباع - مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني - القاهرة - بدون تاريخ.
- ٣- الأشباه والنظائر في النحو - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ - دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٤- الإضاءة في بيان أصول القراءة - على محمد الضباع ت ١٣٨٠هـ - مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي - القاهرة - ١٩٣٨م.
- ٥- ألفية ابن مالك (المتن) - ، جمال الدين محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي، ت ٦٧٢هـ - ضبط وتحقيق د. عبد اللطيف الخطيب - مكتبة دار العروبة - الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
- ٦- إنباه الرواة على أنباه النحاة - جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ت ٦٢٤هـ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي بالقاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ٧- الأنساب - الإمام عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني ت ٥٦٢هـ - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي - دار الفكر ودار الجنان - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٨- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - جمال الدين بن هشام الأنصاري ت ٧٦١هـ - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - بيروت - بدون تاريخ.
- ٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ١٠- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة - مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادي ت ٨١٧هـ - تحقيق محمد المصري - دار سعد الدين - دمشق - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ١١- تاج العروس من جواهر القاموس - السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي - تحقيق

- عبدالكريم الغرباوي - سلسلة التراث العربي - وزارة الإعلام - الكويت - ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- ١٢ - التبصرة والتذكرة - عبد الله بن علي بن إسحاق الصيمري - القرن الرابع الهجري - تحقيق الدكتور فتحي أحمد مصطفى علي الدين - مطبوعات جامعة أم القرى - الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ١٣ - التذكرة في القراءات الثمان - أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون الحلبي ت ٣٩٩هـ - تحقيق أيمن رشدي سويد - الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .
- ١٤ - التمهيد في علم التجويد - محمد بن محمد بن الجزري ت ٨٣٣هـ - تحقيق الدكتور علي حسين البواب - مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ١٥ - تنبيه الخلان على الإعلان بتكميل مورد الظمان (مع دليل الخيران) - إبراهيم بن أحمد المارغني التونسي - المطبعة العمومية - تونس - ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م .
- ١٦ - تهذيب اللغة - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ت ٣٧٠هـ - تحقيق إبراهيم الإياري - دار الكاتب العربي - القاهرة - ١٩٦٧م .
- ١٧ - توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك - أبو محمد بدر الدين الحسن بن عبد الله المرادي المصري المالكي الشهير بابن أم قاسم ت ٧٤٩هـ - شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان - دار الفكر العربي - بيروت - الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م .
- ١٨ - التيسير في القراءات السبع - الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ت ٤٤٤هـ - عني بتصحيحه أوتوبرتزل - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة: الثانية - ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- ١٩ - جبهة أنساب العرب - أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ت ٤٥٦هـ - تحقيق وتعليق عبد السلام هارون - دار المعارف - القاهرة - الطبعة الخامسة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ٢٠ - الجنى الداني في حروف المعاني - أبو محمد بدر الدين الحسن بن عبد الله المرادي المصري المالكي الشهير بابن أم قاسم ت ٧٤٩هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٢م .
- ٢١ - حرز الأمان ووجه التهاني (الشاطبية) - الإمام القاسم بن فيره الشاطبي الرعيني ت ٥٩٠هـ - ضبطه وصححه وراجعته محمد تميم الزعبي - دار المطبوعات الحديثة - جدة - الطبعة

- الثانية ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ٢٢- حروف المعاني بين الأصالة والحدائثة - الدكتور حسن عباس منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق - ٢٠٠٠م.
- ٢٣- خصائص العربية (الخصائص) - أبو الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢هـ - تحقيق محمد علي النجار - دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٥٧م.
- ٢٤- دليل الحيران على مورد الظمان - إبراهيم بن أحمد المارغني التونسي - المطبعة العمومية - تونس - ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م.
- ٢٥- رسالة في علم الخط (ضمن كتاب التحفة البهية و الطرفة الشهية) - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ - مطبعة الجوائب بالقسطنطينة - سنة ١٣٠٢هـ.
- ٢٦- سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي - ابن القاصح علي بن عثمان البغدادي ت ٨٠١هـ - ضبطه وصححه محمد عبد القادر شاهين - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- ٢٧- سمر الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين على محمد الضباع ت ١٣٨٠هـ - (ضمن كتاب الإمتاع بجمع مؤلفات الضباع الجزء الثالث) - طبع وزارة الأوقاف الكويتية - الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- ٢٨- سير أعلام النبلاء - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ - أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ٢٩- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك مع حاشية الصبان - علي بن محمد بن عيسى الأشموني ت ٩٠٠هـ - تحقيق طه عبد الرؤوف سعد - المكتبة التوفيقية - القاهرة - بدون تاريخ.
- ٣٠- شرح التصريح على التوضيح - خالد بن عبد الله الأزهري ت ٩٠٥هـ - تحقيق محمد باسل عيون السود - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ٣١- شرح الرضي على الكافية - الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى ت ٩٦٩هـ - تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر - منشورات جامعة قار يونس - بنغازي - ليبيا - الطبعة الثانية - ١٩٩٦م.

- ٣٢- شرح المفصل في صنعة الإعراب - ابن يعيش، موفق الدين يعيش بين علي الموصلي، ت ٦٤٣هـ - تحقيق د. إميل يعقوب - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- ٣٣- شرح شافية ابن الحاجب - رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي ت ٦٨٦هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٧٢م.
- ٣٤- شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي - عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي، ت ٥٨٢هـ - تحقيق الدكتور عبيد مصطفى درويش - مراجعة الدكتور محمد مهدي علام - مجمع اللغة العربية - القاهرة - ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٣٥- شرح قطر الندى وبل الصدى - جمال الدين بن هشام ت الأنصاري ٧٦١هـ - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة - الطبعة الحادية عشرة - ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
- ٣٦- شرح كتاب سيبويه - أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ت ٣٦٨هـ - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب والدكتور محمود فهمي حجازي والدكتور محمد هاشم عبد الدايم - مركز تحقيق التراث - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٦م.
- ٣٧- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) - إسماعيل بن حماد الجوهري ت ٣٩٣هـ - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الرابعة ١٩٩٠م.
- ٣٨- الكتاب (كتاب سيبويه) - سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر - تحقيق عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ٣٩- كتاب التعريفات - الشريف علي بن محمد الجرجاني - مكتبة لبنان - بيروت - ط ١٩٨٥م.
- ٤٠- كتاب الحدود وكتاب منازل الحروف - أبو الحسن علي بن عيسى الوراق الرماني الإخشيد ت ٣٨٤هـ - طبعة هندية عن نسخة خطية - بدون تاريخ.
- ٤١- كتاب العين مرتبا على حروف المعجم - الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠هـ - ترتيب وتحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- ٤٢- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها - مكي بن أبي طالب القيسي - ت ٤٣٧هـ - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ٤٣- لسان العرب - ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي ت ٧١١هـ - دار المعارف - القاهرة.
- ٤٤- مجالس ثعلب - أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ت ٢٩١هـ - شرح وتحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف - مصر - النشرة الثانية - ١٩٦٠م.
- ٤٥- مجمع الأمثال - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، ت ٥١٨هـ - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - ط سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م.
- ٤٦- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات - أبو الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢هـ - تحقيق علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة - ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ٤٧- مختصر التبيين لهجاء التثنية - أبو داود سليمان بن نجاح، ت ٤٩٦هـ - دراسة وتحقيق د. أحمد شرشال - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - الطبعة الأولى - ١٤٢١هـ.
- ٤٨- المخصص - أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده النحوي الأندلسي ت ٤٥٨هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - بدون تاريخ.
- ٤٩- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي - الدكتور رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي - القاهرة - الطبعة الثالثة - ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ٥٠- المذكر والمؤنث - أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ت ٢٠٧هـ - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - مكتبة دار التراث - القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٨٩م.
- ٥١- معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي - الدكتور فؤاد صالح السيد - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
- ٥٢- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة - عمر رضا كحالة - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ٥٣- مغني اللبيب عن كتب الأعراب - جمال الدين بن هشام الأنصاري ت ٧٦١هـ - حققه وعلق عليه د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله - دار الفكر - بيروت - الطبعة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

- ٥٤ - المنع في رسم مصاحف الأمصار، مع كتاب النقط - الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ت ٤٤٤هـ - تحقيق محمد الصادق قمحاوي - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - بدون تاريخ.
- ٥٥ - منار الهدى في بيان الوقف والابتدا - أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني، من علماء القرن الحادي عشر - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.
- ٥٦ - المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني - أبو الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢هـ - تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين - طبعة إدارة إحياء التراث القديم - وزارة المعارف العمومية - مصر - الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.
- ٥٧ - النشر في القراءات العشر - أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري الدمشقي ت ٨٣٣هـ - راجعه الشيخ علي محمد الضباع - دار الكتاب العربي - بدون تاريخ.
- ٥٨ - نقائض جريب والفرزدق - أبو عبيدة معمر بن المثنى - مطبعة برييل - مدينة ليدن، ألمانيا - طبعة سنة ١٩٠٥م.
- ٥٩ - نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد - محمد مكّي نصر - الجريسي - ت ١٣٢٢هـ - ضبطها وصححها عبد الله محمود محمد عمر - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ٦٠ - نواذر المخطوطات - تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ٦١ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ت ٦٨١هـ - تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار صادر - بيروت - بدون تاريخ.

فهرس الموضوعات

المخلص	٤٧
مُقدِّمة	٤٨
الفصلُ الأوَّلُ: تاءُ التَّأنيثِ ولُغاتُ العَرَبِ في الوقْفِ عَلَيْهَا	
المُبْحَثُ الأوَّلُ: تَعْرِيفُ تاءِ التَّأنيثِ وَالأَصْلُ فِيهَا	٥١
المُبْحَثُ الثَّانِي: لُغاتُ العَرَبِ في الوقْفِ على تاءِ تَأنيثِ الاسمِ	٥٤
١. الوقْفُ على تاءِ التَّأنيثِ بِإِبدالِها هاءً	٥٤
٢. الوقْفُ على تاءِ التَّأنيثِ بِالتَّاءِ	٥٩
٣. الوقْفُ على تاءِ التَّأنيثِ بِالإِمالةِ	٦١
الفصلُ الثَّانِي: رَسْمُ تاءِ التَّأنيثِ في المصاحفِ العُثمانيَّةِ	٦٣
المُبْحَثُ الأوَّلُ: ما رُسِمَ في المصاحفِ بِالتَّاءِ مِمَّا أُتِفِقَ على قِراءَتِهِ بِالإِفرادِ	٦٤
المُبْحَثُ الثَّانِي: ما رُسِمَ في المصاحفِ بِالتَّاءِ مِمَّا قُرِئَ بِالإِفرادِ وَالجمْعِ	٦٨
المُبْحَثُ الثَّالِثُ كَلِمَاتٌ مَحْصُوصَةٌ تُلْحَقُ بِها تاءُ التَّأنيثِ رُسِمَتْ بِالتَّاءِ	٧١
الفصلُ الثَّالِثُ: مَذاهِبُ القُراءِ في الوقْفِ على تاءِ التَّأنيثِ	٧٢
المُبْحَثُ الأوَّلُ: الوقْفُ على تاءِ التَّأنيثِ بِالإِبدالِ	٧٢
القِسْمُ الأوَّلُ: ما كانَ مَرسُومًا في المصاحفِ العُثمانيَّةِ بِالهاءِ	٧٢
القِسْمُ الثَّانِي: ما كانَ مَرسُومًا في المصاحفِ العُثمانيَّةِ بِالتَّاءِ المَجْرُورَةِ	٧٣
المُبْحَثُ الثَّانِي: الوقْفُ على هاءِ التَّأنيثِ بِالإِمالةِ	٧٩
الخاتمة	٨١
قائمة المصادر والمراجع	٨٢

سورة الصف

دراسة تفسيرية موضوعية

د. هدى بنت دليجان بن عبد الله الدليجان *

الأستاذة المشاركة في التفسير وعلوم القرآن في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك فيصل بالأحساء

* من مواليد محافظة الأحساء بالمملكة العربية السعودية .

- نالت درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من كلية الآداب للبنات بالدمام عام ١٤١٩ هـ بأطروحتها: "قضية المكر والكيد في ضوء القرآن الكريم". ثم نالت درجة الدكتوراه منها أيضا في التفسير وعلوم القرآن عام ١٤٢٣ هـ بأطروحتها: "تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (من الآية ٦١- إلى نهاية سورة آل عمران): تحقيق ودراسة".
- لها عدد من البحوث والدراسات المنشورة، منها: "السكينة في الكتاب والسنة"، "الرشد في القرآن الكريم"، "كتاب التفسير في صحيح مسلم : شرح وتعليق"، "آية بيعة النساء في سورة الممتحنة: دلالاتها - أركانها".

• البريد الشبكي: drhuda87@hotmail.com

الملخص

جاء موضوع سورة الصف في غاية الأهمية، وهو الدعوة إلى وحدة الصف في المجتمع المسلم، وكان ذلك في آيات قرآنية جليلة، تنوعت فيها الأساليب البيانية، والمعاني القرآنية البليغة، وترابطت تلك الآيات مع بعضها في رابطة جميلة من الألفاظ والروابط، مما يؤكد على أهمية موضوع السورة الكريمة .

وقد قسمت الموضوع الأساسي للسورة الكريمة إلى خمسة مباحث أساسية: ففي المبحث الأول ركزت على افتتاحية السورة وما فيها من براعة الاستهلال بالتسبيح ومدلولاته وروابطه.

وناقشت في المبحث الثاني موضوع السورة الأساسي وهو الخطاب للمؤمنين بالدعوة إلى وحدة الصف .

وجاء في المبحث الثالث التأكيد على الأساليب القرآنية البليغة في ضرب المثل في وحدة صف الأنبياء - عليهم السلام - .

ثم عالج في المبحث الرابع ما جاء في الآيات الكريمة من الترهيب من شق الصف .

ثم ختمت البحث في المبحث الخامس بالدعوة إلى الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة فيما أشارت إليه الآيات الكريمة من الجزاء على وحدة الصف .

فاجتمع في هذه السورة الكريمة في أسلوب بليغ الدلالة على مضمون السورة العظيم وهي روعة الصف الواحد وجماله والجزاء عليه .

ثم ختمت البحث بخاتمة تتضمن أهم نتائج البحث وتوصياته .

والحمد لله رب العالمين .

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ اهْتَدَى بِهِدْيِهِ وَاقْتَفَى أثره إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . أما بعد :

نزلت سور القرآن الكريم تعالج موضوعات مختلفة لغاية واحدة وهي بناء المجتمع المسلم الصالح، وقد اختلفت تلك السور الكريمة في طريقة معالجة موضوعاتها وذكر أفاصيلها لحكمة ربانية، لتدل دلالة قاطعة على نزول القرآن الكريم من اللطيف الخبير، قال تعالى: ﴿حَمِّمٌ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ [الزخرف: ١-٤].

واختلفت السور القرآنية في طولها وقصرها ووحدتها الموضوعية، و سورة الصف في قول الجمهور من السور المدنية^(١)، وتضمنت موضوعا في غاية الأهمية؛ وهو الصف.

من أجل هذا كان موضوع السورة مستمدا من اسمها الكريم (سورة الصف) كما جاء في الصحيح^(٢).

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٨/ ٢٥٨)، ونقل الإمام الرازي في تفسيره (٢٩/ ٢٦٩) أنها مكية، وهو قول ابن عباس ومجاهد في رواية.

(٢) ترجم الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، باب (٦١): «سورة الصف»، وقال الإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٨/ ٦٤١): «ويقال لها أيضا سورة الحواريين»، وقال الإمام السيوطي في الإتيان (١/ ١٥٨): «سورة الصف: تسمى أيضا سورة الحواريين». وقال الإمام ابن عقيلة المكي في كتابه: الزيادة والإحسان في علوم القرآن (١/ ٣٧٥): «وقد ثبت جميع أسائها عن النبي ﷺ بالأحاديث والآثار».

واشتهرت بذلك^(١).

وكان اهتمام القرآن الكريم في هذه السورة بالتأكيد على أهمية الصف في بناء المجتمع المسلم، ومظاهر وحدة الصف في القول والفعل، ووسائل تطبيقه، وآثار معوقاته في الأمم السابقة، وضرب لذلك مثالين من بني إسرائيل في قصة موسى وعيسى - عليهما السلام -، فجاءت الآيات الكريمة في السورة مترابطة ومتراصة لتبين دعوة القرآن الكريم إلى وحدة الصف.

وظهر في أسلوب الآيات الكريمة جمال أساليب الخطاب القرآني الكريم في التنوع بين الأمر والنهي والتعجب والاستفهام والترغيب والترهيب للدلالة على أهمية وحدة الصف للمسلمين، وما يتعلق به من الجزاء الحسن والنصر في الدنيا والآخرة.

ومع أهمية هذا الموضوع في البناء الاجتماعي في الإسلام وضرورة بيان الصف الواحد في جميع مجالات الحياة، ودوره في نصرمة الأمة الواحدة، إلا أنه قد أغفل ذكره في كثير من الكتابات المعاصرة، والوسائل الإعلامية المختلفة، فكان من الأهمية بمكان الالتفات إلى الكتابة في وحدة الصف، وآثارها في الأمة الإسلامية، والصورة المثلى الرائعة من تطبيق الرسول الكريم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لبناء هذا الصف، الذي هو بناء فريد من نوعه على مر الأزمان والأجيال، وإضافة مثل هذه الموضوعات البحثية إلى المكتبة العربية والإسلامية للدلالة على عظمة هذا الكتاب الكريم، وجمال سوره وآياته، وأهمية موضوعاته في كل زمان ومكان.

(١) تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، (٢٨ / ١٧١)، قال: «وكذلك كتب اسمها في المصاحف وكتب التفسير».

فكانت دعوة القرآن الكريم لبناء الصف الواحد في المجتمع المسلم دعوة كريمة، من أجل هذا اخترت هذا الموضوع للكتابة فيه في بحث بعنوان: ((سورة الصف: دراسة تفسيرية موضوعية)).

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

- يعد موضوع وحدة الصف من الموضوعات المهمة في بناء المجتمع، ولا تزال تتجدد أحكام المجتمع وقضاياه في هذا العصر، فكانت دعوة القرآن الكريم في بناء الصف المسلم، وتوحيد كلمته أنموذجا رائعا وفريدا يناسب كل زمان ومكان.
 - بعد التبع والاستقصاء للدعوة إلى وحدة الصف في القرآن الكريم وجدت أن هذه الدعوة الكريمة وردت بوضوح وجللاء في سورة الصف بالنص عليها، وتخصيص سورة كاملة مدنية لمعالجة هذا الأمر المهم في بناء الأمة المسلمة فأردت تسليط الضوء عليها ودراستها.
 - كثرة الخلافات الاجتماعية وازدياد القطيعة بين أبناء المجتمع، وازدياد نسبة التنازع والشقاق بين الأفراد المسلمين، فأردت أن أبين ما في القرآن الكريم من علاج ناجع ودواء شاف لكل هذه الخلافات، كما بينها القرآن الكريم في سورة الصف، والإسهام في وضع لبنة طيبة في بناء مجتمع صالح وآمن.
 - إن هذا الموضوع لم يسبق بحثه وتناوله من ناحية تفسيرية، فأحببت أن أجمع الآيات الكريمة المتعلقة بالدعوة إلى وحدة الصف، وأن أبين تفسيرها وفوائدها النافعة للصف المسلم في كل زمان ومكان.
- فاستخرت الله تعالى أن يعينني في كتابة هذا البحث وجمع فرائده في هذه المباحث.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

منهج البحث:

- اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي لسورة الصف، وتقسيمها إلى مباحث، وما يتعلق بها من فوائد قرآنية ومسائل علمية، واتبعت في المنهج ما يلي:
- ١- تقسيم السورة إلى مقاطع موضوعية متناسبة - بحسب ما ظهر لي - في مباحث، وذلك لدراسة كل مبحث بما يتضمنه من الآيات وما بينها من الدلالات والروابط، وما يتعلق بما قبلها وما بعدها من المقاطع.
 - ٢- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من السورة ورقم الآية.
 - ٣- عزو الأحاديث النبوية إلى الصحاح والمسانيد والسنن، ببيان من أخرجه، وأقدم الصحيحين أولاً ثم من أخرجه في السنن، بكتابة الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة.
 - ٤- عزو الأقوال إلى قائلها من المفسرين والعلماء والباحثين؛ بذكر اسم الكتاب والمؤلف ورقم الجزء والصفحة في حاشية الصفحة، فإن كان فيه تصرف مني قلت في الحاشية: (بتصرف)، وإن أفدت الفكرة من أحد المراجع قلت: انظر.
 - ٥- اجتهدت في بيان دعوة القرآن الكريم إلى وحدة الصف بالحق الواضح البين في هذه السورة الكريمة.
 - ٦- الاهتمام ببيان الروابط اللفظية والمعنوية بين الآيات الكريمة، وترتيبها في جداول تسهيلاً على القارئ الكريم، فكانت السورة الكريمة في ترتيب آياتها ودلالاتها على موضوعها كالبنيان المرصوص في ترابطها اللفظي والمعنوي.
 - ٧- ختم البحث بما تضمنه من نتائج وتوصيات.

خطة البحث:

وينقسم هذا البحث في موضوع السورة الكريمة إلى مقدمة وخمسة مباحث:

المبحث الأول: ويتضمن افتتاحية السورة: براعة الاستهلال بالتسبيح ومدلولاته وروابطه.

المبحث الثاني: موضوع السورة الأساسي وهو الخطاب للمؤمنين بالدعوة إلى وحدة الصف .

المبحث الثالث: ضرب المثل في وحدة صف الأنبياء - عليهم السلام - .

المبحث الرابع: الترهيب من شق الصف.

المبحث الخامس: الترغيب في الجزاء على وحدة الصف.

ثم الخاتمة : وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

وفي الختام: أسأل الله الكريم أن يوفقني لتدبر كتابه والعمل بمحكمه والوقوف عند مشتبّهه، وما كان في هذا البحث من فضل وعلم فهو من الله العليم الخبير، وما كان فيه من تقصير أو خطأ فهو من نفسي، فاستعيذ بالله من الخطأ وأعود إلى الحق، والله أسأل أن يهيب لي من أمري رشداً.

المبحث الأول

براعة الاستهلال بالتسبيح ومدلولاته وروابطه

تعد سورة الصف من السور المدنية القصيرة ، والتي أنزلها الله جل جلاله لحكمة عظيمة وهي معالجة الصف المؤمن ، وقد تناولت السورة في موضوعها الأبرز في السورة وحدة الصف، لذا كان الاستهلال بهذه الآية الكريمة مدخلا رائعا لضمأن تصوير الموضوع الكبير في المجتمع المسلم وهو وحدة الصف. فينقسم هذا المبحث إلى عدة مطالب وهي:

المطلب الأول : براعة الاستهلال بالتسبيح ومدلولاته

قال تعالى: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الصف: ١].
ابتدأت هذه السورة العظيمة بالتسبيح لله تعالى ، وبدأت بالجملة الاسمية ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ﴾ في إقرار بليغ لاستجابة الإنسان لتسبيح ملكوت السموات والأرض لله، ممثلة في شكر الله وتنزيهه وتقديسه والثناء عليه، ويضيف حرف الجر (اللام) على لغة التسبيح والثناء معنى شعوريا بأن كل ما في السموات والأرض من الشجر والحجر والمخلوقات يسبح الله، «أي شهد له بالربوبية والوحدانية وغيرهما من الصفات الحميدة، جميع من في السموات والأرض»^(١).

وفي إضافة اللام لاسم الجلالة الله ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ﴾ معنى عظيم ، فهي «إما للتأكيد كما في نصحت له وشكرت له، أو للتعليل، أي فعل التسبيح لأجل الله تعالى وخالصا لوجهه، ومجئى فعل التسبيح في بعض الفواتح ماضيا ، وفي البعض مضارعا للإيدان بتحقيقه في جميع الأوقات، وفيه تنبيه على أن حق من شأنه التسبيح الاختياري أن يسبحه تعالى في جميع أوقاته ، كما عليه الملائة الأعلى حيث يسبحون

(١) التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، (٢٦٩/٢٩) .

الليل والنهار لا يفترون»^(١).

والتعبير بالجملة الاسمية ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، يتضمن معنى الدوام والثبات والاستقرار، وهو معنى جميل يناسب ما سيأتي من الأمر العظيم في الوحدات المتتالية من السورة.

وذكر الله تعالى هذين الاسمين لما فيها من الدلالة العظيمة على معاني السورة .
﴿الْعَزِيزُ﴾ «من عز إذا غلب، وهو الذي يغلب غيره، أي شيء ذلك كان الغير، ولا يمكن أن يغلب عليه غيره، ﴿الْحَكِيمُ﴾ : من حكم على الشيء إذا قضى- عليه، وهو الذي يحكم على غيره، أي شيء كان ذلك الغير، ولا يمكن أن يحكم عليه غيره»^(٢).

وفي اختيار هذين الاسمين في صدر السورة وما تضمنته السورة من الدعوة إلى وحدة الصف لضرورة اللجوء والاستعاذة والاستغاثة بالعزيز الحكيم في مواجهة ما يهيم الإنسان من قول أو عمل ، فإذا توجه إليه مسبحا خالصا متيقنا بعزته وحكمته لم يضل في هذه الدنيا، وكان في هذه الافتتاحية من الروابط العظيمة الدالة على وحدة الصف والدعوة إليه ليتم النصر- للأمة جمعاء في كل أمورها ووعدها بالخير وجزائها في الدنيا والآخرة ، فجاءت هذه الافتتاحية الكريمة فيها من البدائع واللطائف والمعاني التي تضمنتها هذه الألفاظ النورانية الإلهية ما يدل على عظم هذه الدعوة إلى الصف بما تضمنته هذه السورة.

المطلب الثاني : براعة الاستهلال وروابط السورة

تنقسم الروابط في القرآن الكريم بحسب الأسلوب البياني إلى روابط لفظية

(١) تفسير أبي السعود المسمى «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، محمد بن محمد بن أبي السعود العمادي (٢٠٣/٨).

(٢) التفسير الكبير، (٢٦٩/٢٩).

وروابط معنوية بحسب سياق الآيات الكريمة، وقد ترابطت السور في القرآن الكريم بشكل معجز حتى تلتحم السورة بما قبلها وما بعدها، وهذه القضية البيانية الكبرى تحتاج إلى مزيد من التأمل والتدبر في أقوال المفسرين في السورة لنصل إلى فهم هذه الروابط البليغة.

«فالرغبة في فهم الخطاب القرآني تدفعنا إلى أن نلجأ إلى المخزون المعرفي الذي يمدنا به السياق القرآني المحيط في إطاره الثقافي الذي ينشطه تداول اللغة، وإدراك لأنماط التراكم اللغوية، والروابط الدلالية إدراكاً معرفياً، فالنص القرآني الكريم وحدة لغوية كبرى، تنتج المعنى على نحو لا يكتمل فهمه وتفسيره إلا بالاستعانة بعناصر داخلية يتميز بها نظامه، إضافة للعناصر الخارجية، والتي تعتمد على تفسير النص بالنص، وكل نص من النصوص القرآنية يستدل منه على إضافة أفكار ومعلومات جديدة تمثل جزءاً من رسالة الاتصال التي يقوم النص بإبلاغها»^(١).

لأجل هذا استعنت بالله في بيان هذه الروابط النصية في سورة الصف، وحاولت إيضاح الظاهرة المعرفية الكبرى في الوحدة الموضوعية للسورة الكريمة وارتباطاتها الداخلية والخارجية في السورة التي قبلها والتي بعدها.

المطلب الثالث: الترابط بين موضوع سورة الممتحنة وموضوع سورة الصف

سورة الصف هي إحدى السور الفريدة التي تحدثت عن قضية مهمة في بناء المجتمع، وهي وحدة الصف، فكان من الأهمية بمكان التركيز على بناء الوحدة الموضوعية بين السور الكريمة المتقاربة لسورة الصف لاستنباط الارتباطات اللفظية والمعنوية بين سورة الصف، وما قبلها وهي سورة الممتحنة، وبما بعدها

(١) الترابط النصي في سورة الكهف، (د) حسني عبد السميع، مجلة الدراسات القرآنية، المجلد التاسع، العدد الثاني، مركز الدراسات الإسلامية: كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن، ٢٠٠٧م، ص ٢٤٧.

وهي سورة الجمعة.

فيشير موضوع سورة الممتحنة إلى قضية مهمة وهي شق صف المؤمنين بإظهار المحبة والموالاتة لفريق من الكافرين الذين عادوا الله ورسوله، ومنعوا إقامة الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١].

وتتوالى المعاني العظيمة في سورة الممتحنة للتأكيد على قضية الموالاتة والمعاداة لله تعالى وأهمية التعامل الحسن مع المخالفين من الأمر بالبر والقسط بين الناس، وفيها دعوة كريمة لأن تكون الأمة المسلمة كلها في صف واحد متسمة بالبر والقسط مع المخالفين وإن اختلفت عقيدتهم، فتأمر بإعطاء كل ذي حق حقه، خاصة الذين لم يقاتلوا المؤمنين، ولم يخرجوهم من ديارهم، ولم يمنعوهم من إقامة شعائر دينهم كما قررت ذلك الآيات الكريمة.

ثم جاءت سورة الصف لتبني الشائج الأساسية في المجتمع المسلم وهي وحدة الصف، في تقرير مبدأ عظيم، وهي ضرورة الموافقة بين الأقوال والأعمال، وبيان خطورة مخالفة الأفعال للأقوال وسوء عاقبة تناقضهما، «فمن أهم أغراض السورة التحذير من إخلاف الوعد، والالتزام بواجبات الدين»^(١).

وقد اختتمت سورة الممتحنة ببيان أمر مهم، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣].
ففي هذه الآية الكريمة التحذير من موالاتة ومحبة أعداء الله الذين أغضبوا الله

(١) التحرير والتنوير، (٢٨/١٧٣) (بتصرف).

وكفروا بأنبياء الله موسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه سواء بأقوالهم وأفعالهم السيئة ، وضرب لذلك مثلاً لتقريب حقيقة جزائهم في الآخرة، فقال تعالى: ﴿قَدْ يَسُؤُونَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِغُونَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ ، ففيها تهديد وتشنيع بالكافرين الذين قبروا إخوانهم ، فتبين لهؤلاء المقبورين سوء حالهم وسوء منقلبهم^(١).

من أجل هذا ابتدأت سورة الصف بتسبيح الله وتعظيمه في ملكوت السموات والأرض، وتوجه جميع المخلوقات العظيمة بهذه العبادة لله العزيز الحكيم. ومع تنوع اشتقاقات التسبيح في القرآن الكريم، فالافتتاح بالتسبيح له دلالة عظيمة في السورة.

فالتسبيح يتضمن معنى الانقياد لله تعالى، والقبول بألوهيته، وطاعة أوامره، واجتناب نواهيه، فقد بدأت سورة الصف بالتعليق على العلاقة بين المؤمنين بعضهم مع بعض، بأن يكونوا معاً في صف واحد مع المخلوقات العظمية في السموات والأرض من التسبيح والتقديس والثناء لله وحده.

المطلب الرابع: الترابط بين افتتاحية سورة الصف وافتتاحية سورة الجمعة
بحسب ما جاء في افتتاحية السورتين بالترابط بينهما بالتسبيح لله عز وجل، واستعمال صيغة الماضي في سورة الصف، وصيغة المضارع في سورة الجمعة لتنوع الأغراض بين السورتين.

قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

فالغرض الأساسي من سورة الصف الدعوة إلى وحدة الصف بين جموع

(١) انظر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل من وجوه التأويل، للزمخشري، ص ١١٠٢.

المسلمين، والحاجة إليه ثابتة مع تغير الزمان والمكان، ثم جاءت سورة الجمعة لتوصيف وحدة الصف بالحرص على صلاة الجمعة والالتزام فيها، «فجاء فيها فعل التسييح مضارعا، وجيء به في سواها ماضيا، لمناسبة فيها وهي: أن الغرض من التنويه بصلاة الجمعة والتنديد على نفر قطعوا صلاتهم، وخرجوا لتجارة أو لهو، فمناسب أن يحكى تسييح أهل السموات والأرض، بما فيه دلالة على استمرار تسييحهم وتجده، تعريضا بالذين لم يتموا صلاة الجمعة»^(١).

فإحدى المناسبات المهمة بين السورتين هي هذا الارتباط العظيم بين براعة الاستهلال في السورتين، فالترابط المعنوي في خدمة قضية الصف الواحد المأمور به في سورة الصف، والتحذير من أي حادثة أو واقعة تظهر صف المؤمنين ضعيفا، لذا كان في افتتاحية سورة الجمعة ذكر أسماء الله الحسنى للتأكيد على الاستسلام للأمر الإلهي الكريم فأتى بذكر ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ وهما من أعظم الأسماء الحسنى الدالة على ملكوته وقدسيته بما يناسب تسييحه والثناء عليه والاستجابة لأوامره ونواهيته.

ومناسبة الجمع بين هذه الصفات ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ في هذه الآية الكريمة لما اتصف به الله جل جلاله من الملك العظيم وكمال القداسة والنزاهة عن العيب، ثم جاء ذكر اسم الله ﴿الْعَزِيزِ﴾ الذي ذلت لعزته الأشياء، فلا عز إلا به، ﴿الْحَكِيمِ﴾ الذي تصدر منه الأفعال الحكيمة، فكان من الواجب بعد هذا الاستهلال العظيم الاستجابة لما ورد في السورة من أوامر ونواها لاثقة بجلال الله وعزته وحكمته.

فسورة الجمعة فيها أمر كريم بوجوب المحافظة على صلاة الجمعة لجعل صف

(١) التحرير والتنوير، (٢٨/٢٠٦).

المؤمنين واحدا في ذلك اليوم العظيم، فموضوع السورة تنمة لما سبق في سورة الصف من الدعوة إلى وحدة الصف، التي تتجلى واضحة في تطبيقها الكريم في صلاة الجمعة الكريمة.

فيلاحظ في افتتاحية السورتين ورود لفظ التسبيح، وختم الآية بالعزير الحكيم، وما تضمنته هذه الافتتاحية من براعة الاستهلال وما فيها من المعاني العظيمة. من أجل هذا أختتم هذا المبحث ببيان مميزات افتتاحية سورة الصف بارتباطها العظيم بالوحدة الموضوعية لخاتمة السورة التي قبلها وهي سورة الممتحنة، وافتتاحية السورة التي بعدها وهي سورة الجمعة، ويانه في الجدول التالي:

جدول رقم (١)

اسم السورة	الآية	موقع الآية	الرباط	نوع الرباط
المتحنة	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤْا مِنْ ءَاخِرِهِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾	خاتمة السورة	النداء ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	معنوي فالخطاب للمؤمنين المسيحين لله أي: لا تتولوا هؤلاء وسبحوا الله وتولوا من يسبح الله من المؤمنين الصادقين.
الصف	﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾			
الجمعة	﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾	فاتحة السورة	﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾	لفظي وجاء في سورة الصف بالماضي وفي سورة الجمعة التسبيح بالمضارع للإيدان بالتسبيح في كل وقت وعلى كل حال

المبحث الثاني

موضوع السورة الأساسي الخطاب للمؤمنين بالدعوة إلى وحدة الصف

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْلِتُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيِّنٌ مَرْضُوضٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٢-٤].

ابتدأ هذا المقطع العظيم بدلالة مباشرة على مضمون السورة البديع وموضوعها الأساسي وهو وحدة الصف، ومظاهره، وآثاره على الصف المسلم، وذلك بأسلوب صريح يتضمن الأمر والنهي للمؤمنين ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وهم الذين أخلصوا العبادة لله وحده، في مكاشفة صريحة يعلمها الله العزيز الحكيم بما تنطق به ألسنتهم، وفي ذلك علاج لكثير من الأخطاء التي قد تقع فيها الجماعة المسلمة في بداية طريق الدعوة إلى الله، مثل تمني فعل بعض الأمور الخيرة دون إرادة تطبيقها فعلا .

«فالقرآن الكريم يبني أمة، لتقوم على أمانة دينه في الأرض، ومنهجه في الحياة، ولم يكن بد أن يبني نفوسها أفرادا، وبينها جماعة، فالمسلم لا يبني فردا إلا في جماعة، ولا يتصور الإسلام قائما إلا في محيط جماعة منظمة ذات ارتباط، ذات انتظام، وذات هدف جماعي، فالإسلام جاء ليحكم البشرية، والبشرية لا تعيش أفرادا، إنما تعيش جماعات، ومن ثم فإن آداب الإسلام ونظمه كلها مصوغة على هذا الأساس»^(١).

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخطاب للمؤمنين بتقريبهم، وتحبيب الإيمان إلى قلوبهم، «فناداهم بوصف الإيمان تعريضا بأن الإيمان من شأنه أن يزع المؤمن

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٦/ ٢٥٥٢-٢٥٥٣) (بتصرف).

عن أن يخالف فعله قوله في الوعد بالخير»^(١).

﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ عبارة صريحة بليغة لكشف ما لدى هؤلاء الفئة من المؤمنين من الخطأ، «وفيها إنكار على من يعدُّ عِدَّةً، أو يقول قولاً لا يفِي به، سواء ترتب عليه غرم للموعد أم لا»^(٢).

وقد جاء الأمر بإيفاء الوعود وموافقتها للأفعال، و الترهيب من ذلك، ففي الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله ﷺ : ((آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوْتمن خان))^(٣).

فتضمنت الآية التحذير من مناقضة الأفعال للأقوال، وإخلاف الوعود، وإطلاق الأمانى الكاذبة، والسبب الباعث على ذلك، واستعمل أسلوب الاستفهام التقريري ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كناية عن اللوم، أي لأي سبب؟ أو لأية علة تقولون ما لا تفعلون؟

وقد امتدح الله تعالى الصدق في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، من أجل هذا كانت هذه الآية ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قوية في معناها وفي مبناها الكريم، لأن مخالفة الأقوال للأفعال هي مناقضة للصدق، «فالصدق في الأعمال هو استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، وأن يجاهد العبد نفسه في أن تكون سريره وعلايته واحدة، وأن لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه

(١) التحرير والتنوير، (٢٨/ ١٧٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن أبي كثير، (٨/ ١٠٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب (٢٤) علامات المنافق، ح (٣٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب

(٢٥) خصال المنافق، ح (١٠٦) وزاد مسلم به: في رواية ح (١٠٩) «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم».

أو ما يدعو إليه قولاً، ثم لا يتصف به حقيقة»^(١).

كما أن سبب نزول الآية يقرر هذه الدعوة القرآنية الكريمة في وجوب الصدق وموافقة الفعل القول، فقد ورد عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، قال: «تذاكرنا، أيكم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله: أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ فلم يقم أحد منا، فأرسل رسول الله إلينا رجلاً، فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة، يعني سورة الصف كلها»^(٢).

فكأنما هذا السبب من الاجتماع وتذاكر الأمنيات باعث على أن يكون نزول هذه الآيات الكريمة عتاباً لأولئك النفر الكريم الذين جاء ذكرهم في القصة .
﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ فالمقت هو شدة البغض، ووصف الله تعالى مخالفة الأفعال للأقوال بهذا الوصف الشديد من البغض والغضب بوصفه ﴿مَقْتًا﴾، ثم ذكر الله تخصيص هذا الوصف بأنه ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ لأن هذا الفعل الشنيع لا مجال للتسامح فيه، فزاد الأمر اهتماً وتعظيماً، وتحذيراً منه.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: «بئس مقماً قولكم هذا، وقيل: هو من أبنية التعجب، أي: ما أكبره مقماً، ومعنى التعجب: تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظرائه وأشكاله، وأسند إلى أن تقولوا، ونصب ﴿مَقْتًا﴾ على تفسيره، دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقماً خالصاً لا شوب فيه، لفرط تمكن المقت منه لأنه أشد البغض، ولم يقتصر على أن جعل البغض كثيراً حتى جعل أشده وأفحشه، وعند الله أبلغ من ذلك لأنه إذا ثبت

(١) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز بن ناصر الجليل، (١/٢٧٦) (بتصرف).

(٢) أخرجه الإمام أحمد، المسند، (٥/٤٥٢)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب (٦١) ومن سورة الصف، ح (٣٣٠٩)، والواحدي، في أسباب النزول، ص ٤٢٦، وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، (٨/٦٤١)، وقال عنه الألباني: صحيح الإسناد، صحيح جامع الترمذي، ص ٥٢٤.

كِبْرٌ مَّقْتَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَقَدْ تَمَّ كِبْرُهُ وَشِدَّتُهُ»^(١).

وفي هذه الآية تصريح بشدة هذا الفعل وشناعته، وضرورة تحذير الجماعة المؤمنة من الوقوع فيه، لأنه يسبب داء مؤلماً يؤدي إلى فرقة الأمة وتشتتها بسبب انتشار الأقوال المخالفة والأمانى الكاذبة والوعود الزائفة، مما يسبب خطراً كبيراً على وحدة صف الجماعة المؤمنة وقدرتها على إيفاء الوعود، وتحقيق فعل الخير في المجتمع.

«فهاتان الآيتان تتضمنان العقاب من الله سبحانه، والاستنكار لأن يقول الذين آمنوا ما لا يفعلون، وهما بهذا ترسان الجانب الأصيل في شخصية المسلم؛ الصدق والاستقامة، وأن يكون باطنه كظاهره، وأن يطابق قوله فعله»^(٢).

لأجل هذا كان الأمر الإلهي بالبناء الأخلاقي الكريم في صياغة المجتمع المسلم ليكون المسلم الفرد في ظل جماعته المنظمة على استعداد تام للمسؤولية الكبرى، وهي مسؤولية الجهاد في سبيل الله، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بَيْنَ مَرَّصُوصٍ﴾^(٤)، مدح وثناء على هذه الفئة المخصوصة التي قامت بالفعل الواجب على أكمل وجه، وهو الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، فإذا اصطفوا مواجهين لأعداء الله كانوا كأنهم بنیان مرصوص من وحدة الكلمة ووحدة الفعل ووحدة الصف.

«والوصف بالبنیان المرصوص: لفظ فريد من نوعه في القرآن الكريم جمع فيه بين جمال المعنى وسلاسة اللفظ ودقة التصوير.

فالصف: عدد من أشياء متجانبة منتظمة الأماكن، فيطلق على صف المصلين،

(١) تفسير البحر المحیط، (٢٥٨/٨) (بتصرف).

(٢) في ظلال القرآن، (٦/٢٥٥٣).

وصف الملائكة، وصف الجيش في ميدان القتال فرادى أو جماعات، رجالة أو فرسانا، فالصف هنا كناية عن الانتظام والمقاتلة عن تدبر^(١).

والبنيان هو: العلم القائم الشاهد من الأرض، والمرصوص: المتلاصق بعضه مع بعض، «أي مشبهين في تراصهم من غير فرجة و خلل، ببنيان رص بعضه إلى بعض، و رصف حتى صار شيئاً واحداً»^(٢).

و«قيل: ﴿كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَّرْصُوصٌ﴾: بالرصاص»^(٣).

وفي هذا اللفظ تشبيه عظيم بالثبات وعدم الاهتزاز أو التردد أو الانفلات، و يقتضي ذلك المدح التام بمن أحبههم الله تعالى وقاموا بهذا الفعل العظيم.

فالخطاب القرآني الكريم ﴿صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَّرْصُوصٌ﴾ «هي صورة يجيها الله للمؤمنين ترسم لهم طبيعة دينهم، وتوضح لهم معالم الطريق، وتكشف لهم عن طبيعة التضامن الوثيق الذي يرسمه اللفظ القرآني المبدع ﴿صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَّرْصُوصٌ﴾، بنيان تتعاون لبناته وتتضام وتتماسك، وتؤدي كل لبنة دورها، وتسد ثغرتها، لأن البنيان كله ينهار إذا تحلت منه لبنة عن مكانها، فهو التعبير المصور لطبيعة ارتباطات الأفراد في الجماعة»^(٤).

وقد وصف النبي ﷺ أهل الإيمان الذين قاموا بأركان الإيمان وواجباته وآدابه بالبنيان، وفي ذلك تأكيد لمفهوم هذه الآية ووصف المؤمنين ﴿صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَّرْصُوصٌ﴾، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((المؤمن للمؤمن

(١) التحرير والتنوير، (١٧٦/٢٨).

(٢) تفسير أبي السعود، (٢٤٢/٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب (٦١) تفسير سورة الصف، معلقاً.

(٤) في ظلال القرآن، (٢٥٥٤/٦) (بتصرف).

كالبيان يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه»^(١).

«ولا شك أن هذه الآية الكريمة فيها خلاصة لمبادئ الإسلام الضرورية التي لا غنى للمسلمين عنها في دينهم ودنياهم، فهم صدقوا مع الله ومع خلقه بمطابقة أفعالهم لأقوالهم، والترجمة عما في قلوبهم من الإيمان، فإن الإيمان ليس بالدعوى بل بالأعمال التي تبرهن عما في القلب»^(٢).

وقد دعا القرآن الكريم في الكثير من الآيات إلى الإخاء والألفة والاجتماع والتعاون والاعتصام^(٣) تحقيقا لوحدة الصف وإظهارا لآثار هذه الوحدة الكريمة، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ففي هذه الآية أمرهم بالجماعة، ونهاهم عن التفرق، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق، والأمر بالاجتماع والاتلاف، ووحدة الصف، وقد وقع ذلك في هذه الأمة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلمة من عذاب النار، وهم الذين كانوا على ما كان عليه رسول الله ﷺ^(٤).

وقد أشار القرآن الكريم إلى وحدة الصف كمفهوم قرآني متميز تتكامل فيه المفاهيم الاجتماعية الرائعة مثل: الاعتصام والألفة والإخاء، فهذه المصطلحات والمفاهيم القرآنية تكمل بعضها بعضا.

« فالمفاهيم القرآنية مشروعات كبرى للمعاني والدلالات، وهي شبيهة بالكائن

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب (٣٦) تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، ح(٦٠٢٦)، ومسلم، كتاب

البر والصلة والأدب، باب (١٧): تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ح(٢٥٨٥).

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز بن ناصر الجليل، (١/٢٨٤) (بتصرف).

(٣) للاستزادة: انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، في مفاهيم: الاجتماع

(الاتحاد)، الإخاء، الاعتصام (١/٤٢-٤٢، ٩٢-٥٣، ٤١٠-١١٧، ٤١١)، ولم يذكر الآية.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٢/٩١-٩٢).

الحبي، والمفهوم وعاء معرفي جامع له هوية كاملة، وله سيرة كاملة تعرف: الميلاد، والجذر التأسيسي اللغوي والاصطلاحي والشرعي، والحركة التي يتفاعل فيها بناظمه مع شتى المتغيرات، ولا يمكن بناء أي مفهوم بمعزل عن المفاهيم الأخرى، وليست المفاهيم وحدات متماثلة، بل لكل مفهوم أركانه، وعلاقاته الأساسية مع عائلته من المفاهيم الفرعية المرتبطة به»^(١).

كما أن الصف من المفردات القرآنية التي تعني: «أن تجعل الشيء على خط مستو كالناس والأحجار، ونحو ذلك»^(٢).

من أجل هذا المعنى كانت وحدة الصف مفهوم اجتماعي عملي يشمل في مسيرته اللغوية والاصطلاحية معان، مثل: الاعتصام والائتلاف والإخاء والاجتماع، وهذا ما ورد في السور القرآنية السابقة لسورة الصف في الترتيب القرآني المعجز، ثم جاء مفهوم وحدة الصف شاملا لكل المعاني، فالوحدة تعني عدم التجزؤ وعدم قبول الانقسام بأي حال من الأحوال^(٣).

ومما لا شك فيه أن «الوحدة تعني في أسمى معانيها تقاسم أبناء الأمة مشاعر الحزن والسرور التي تغشى حياة كل بقعة من بقاعها، أو كل فرد من أفرادها، وضرورة العمل والتكامل من أجل إزالة آثار الآلام والأحزان، التي تحل بفرد أو جماعة من أبناء الأمة، إيماناً منها بأن المستقبل واحد، والمصير واحد، والغاية في الحياة واحدة»^(٤).

ولهذا كان تحقيق وحدة الصف في هذا البنيان العظيم وضرورته في حياة المؤمن

(١) خارطة المفاهيم القرآنية، (أ.د) السيد عمر، ص ٨ (بتصرف).

(٢) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ص ٢٨٥.

(٣) انظر: لسان العرب، مادة (وحد)، ابن منظور، (١٥ / ٢٣٣).

(٤) كلمة التحرير، مجلة وحدة الأمة، السنة الثانية، العدد الثاني، ديسمبر، ٢٠٠٤م، (مقال) ص ٣.

اليومية بأن وضعت صلاة الجماعة شعاراً رائعاً لوحدة الصف، قال الإمام ابن حجر: «لعل الفائدة من صلاة الجماعة هي اجتماع المسلمين مصطفين كصفوف الملائكة»^(١).

وقد جاء هذا في نص الحديث المرفوع عن رسول الله ﷺ في خصائص هذه الأمة العظيمة، عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «((فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض مسجداً وطهوراً، وجعل تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد ماء...))»^(٢).

وجاء في صحيح مسلم من حديث النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ قال: «((لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم))»^(٣)، والمعنى «يوقع بينكم العداوة والبغضاء، وهو المقصود من اختلاف الوجوه، لأن في مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم، واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن»^(٤).

فيضاف إلى معنى الصف الواحد أهمية تقاسم مداد المشاعر الأخوية، وهو ضرورة للتواصل والتناصر والتآزر بين أبناء الأمة الإسلامية، وبهذه الوحدة تظهر عزة المسلمين وقوتهم، وتمكن الحق في الأرض، ويساعد المجتمع المسلم على التحرر من التبعية الفكرية والحضارية، ومواجهة التحديات الحاضرة والمستقبلية بالإعداد لها بوحدة الصف في الأقوال والأعمال.

والجدول التالي يوضح موضوع السورة الكريمة وروابطها النصية في الآيات:

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١/١٥٦).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب (٥٣) المساجد ومواضع الصلاة، ح (٥٢٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الآذان، باب (٧١) تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها، ح (٧١٧)، ومسلم،

كتاب الصلاة، باب (٢٨) تسوية الصفوف وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها والازدحام ح (٤٣٦).

(٤) شرح صحيح مسلم، لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، (١/١١٤) (بتصرف).

جدول رقم (٢)

التوضيح	نوع الرابط	الكلمة	الآية
التعجب من مخالفة الأفعال للأقوال، فالأساس الذي تقوم عليه وحدة الصف موافقة الفعل القول.	لفظي	لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾
توضيح أهم مجالات وحدة الصف في الجهاد في سبيل الله	لفظي	صَفًّا	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بَنِينَ مَرْضُوضٌ﴾
أهم الآثار الظاهرة لوحدة الصف تراص البناء وإحكامه وإتقانه فلا ينفذ منه الأعداء بأي حال من الأحوال	لفظي	بَنِينَ مَرْضُوضٌ	

المبحث الثالث

ضرب المثل في وحدة صف الأنبياء-عليهم السلام-

من الأساليب البديعة في القرآن الكريم استعمال ضرب المثل لتقريب الكلام إلى الأفهام ، ونقله في صورة حسية بليغة، كما إن المثل في القرآن الكريم يخرج اللفظ الخفي إلى معاني واضحة جلية ، ويذني البعيد من القريب، ويزيد المعاني رفعة ووضوحا ، ويكسبها جمالا ، فتقترب المسافات، ويصبح الأشخاص في صورة نفسية متقاربة، وهذا ما يدل عليه ضرب المثل في وحدة صف الأنبياء جميعا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ. قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

فالأنبياء يشتركون جميعا في دعوة أقوامهم إلى الحق والتوحيد، ويظهرون كصف واحد، فيحملون دعوة واحدة لبيان طريق الخير والهدى وسبل الرشاد، ومع جمال الصف الواحد إلا أن من أقوامهم من آمن ، ومنهم من كفر. ومن الدلالة على وحدة الصف بين الأنبياء في صفوفهم و صفهم كالبيان المرصوص، وهو ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين))^(١).

فالنسبة ببيان جميل أهدها الله تعالى لخير البشرية أجمعين، وكل نبي هو لبنة من هذا

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب (١٨) خاتم النبيين ﷺ، ح (٣٥٣٥).

البناء الإلهي العظيم، من أجل هذا كانت رسالتهم واحدة في الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

والأنبياء - عليهم السلام - مع عظم مقامهم وأهمية وظيفتهم إلا أنهم تعرضوا جميعاً لأصناف الأذى، وفي هذا دلالة على وحدة صف الأنبياء، وتشابه مواقف أقوامهم.

وبالإشارة إلى الخطاب القرآني الكريم الذي يعزز أهمية وحدة صف المؤمنين في هذه السورة الكريمة، وذلك بأن ضرب لهم مثلين من قصص الأنبياء السابقين ليدل على أهمية الإيمان واشتراك الأنبياء جميعاً - عليهم السلام - في صف واحد مع نبينا محمد ﷺ، فضرب المثل في هذه السورة الكريمة بقصتين متقاربتين فيما حصل للأنبياء - عليهم السلام - مع ما حصل لنبينا محمد ﷺ، وهما: قصة موسى عليه السلام، مع قومه، وقصة عيسى عليه السلام، مع بني إسرائيل، ليبين مقام هذه الأمة الكريمة بين الأمم، وضرورة وحدة صفها، فلا يحصل لها مثل ما حصل في الأمم الأخرى التي تفرقت واختلفت، فكان جزاؤها شقاء في الدنيا والآخرة.

وقسمت هذا المبحث إلى المطلبين التاليين :

المطلب الأول : وحدة الصف في قصة موسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَعْبُدُونَ مَا تَدْعُونَ آبَاءَكُمْ وَمَا إِلَهُكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٥) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

يَنْبَغِي إِتْرَائِي لِي إِي رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ
فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٥-٦﴾ [الصف: ٥-٦].

ورد في هذا المقطع من السورة الكريمة تأكيد كبير لما جاء في الآيات الكريمة السابقة من الأمر بوحدة الصف، فجاءت هذه الآيات الكريمة تطبيقاً عملياً لهذا الأمر الرباني ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، وهكذا جاءت قصة موسى وندائه لقومه مثلاً تطبيقياً لوحدة الصف بين أنبياء الله.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ «الواو واو العطف، وهو عطف غرض على غرض، وهو المسمى عطف قصة على قصة، ويجوز أن يكون من تنمة الكلام الذي قبلها، ضرب الله مثلاً للمسلمين لتحذيرهم من إتيان ما يؤذي رسول الله ﷺ، ويسوؤه من الخروج عن جادة الكمال الديني، مثل عدم الوفاء بوعدهم في الإتيان بأحب الأعمال إلى الله تعالى، وأشفقهم من أن يكون ذلك سبباً للزيف والضلال كما حدث لقوم موسى لما آذوه»^(١).

و تضمنت هذه الآية دعوة صريحة لإعادة البناء وتراص الصفوف بدلالة قوله تعالى: ﴿يَقَوْمٍ﴾ فنسبهم موسى إلى نفسه تقريباً لهم، وتجببياً لقوة الانتماء فيما بينهم من روابط النسب والقرباة والدين، وهذه الحكمة خفيت على كثير من المفسرين^(٢).
﴿لِمَ تُوذُّونَنِي﴾ وتفسيره: إنهم كانوا يؤذونه بأنواع الأذى قولاً وفعلاً، فقالوا:
﴿أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ وغير ذلك، وقد يكون الأذى في مخالفة أمر رسول الله موسى ﷺ وعصيانه، قال تعالى: ﴿يَقَوْمٍ أَدْخَلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا

(١) التحرير والتنوير، (٢٨/١٧٧).

(٢) انظر: المرجع السابق.

تُرْثَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَانْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ [المائدة: ٢١]، فقالوا ردا وتمردا وعصيانا: ﴿قَالُوا يَمْوَسِيٰٓءَٔ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ [المائدة: ٢٤].

وأرى من شدة الترابط النصي- في الآيات الكريمة أن الإيذاء المقصود في قول موسى عليه السلام، هو العصيان بترك الجهاد المذكور في سورة المائدة، وذلك لارتباطها العظيم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانْتَهُم بُيُوتًا مَّرْصُومًا﴾، فالبنيان المرصوص شاهد على وحدة القول والفعل .

«ولما كان في المؤمنين من يقول ما لا يفعل، وهو راجع إلى الكذب، فإن في ذلك معنى الإذابة للرسول ﷺ، إذ كان في أتباعه من عانى الكذب، فناسب ذكر قصة موسى عليه السلام، وقوله لقومه: ﴿لِمَ تُوَدُّونَنِي﴾، وإذابتهم له كان بانتقاصه في نفسه، ووجود آيات الله تعالى، واقتراحهم عليه ما ليس لهم اقتراحه»^(١).

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ وهذه محصلة الأذى، فالزيف الميل عن الحق، «أي: فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به، أزاع الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان»^(٢).

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي لا يوفق إلى إصابة الحق الذين اختاروا الكفر على الإيمان، والضلال على الهدى، والفرقة على الوحدة، وهو مشابه لتذييل الآية في سورة المائدة، فقد ذكر موقف موسى عليه السلام، من أولئك القوم المخالفين الناقضين لوعودهم، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۖ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَىٰ

(١) البحر المحيط، (٨/٢٥٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٨/١٠٩).

الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿ [المائدة: ٢٥-٢٦].

من اجل هذا صدق عليهم وصف الفاسقين بتأكيد رب العالمين لوصفهم بذلك مرتين، في سورة المائدة وفي سورة الصف، «وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الإزاغة، ومؤذن بعلته، أي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق، المصرين على الغواية والضلالة، هداية موصلة إلى ما يوصل إليها، فإنها شاملة لكل من جنس فعلهم، وهذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم ويرتضيه الذوق السليم»^(١).

ويوضح الجدول التالي الترابط النصي بين وحدة الصف فيما سبق من الآيات وقصة موسى عليه السلام:

جدول رقم (٣)

الآية	الكلمة	نوع الترابط	التوضيح
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ لِمَ تُوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾	رَسُولُ اللَّهِ	لفظي	ارتباط الأنبياء كالبنيان المرصوص.
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ ﴾	يَقَوْمِ	لفظي	ارتباط وحدة الصف بتحقيق الانتماء بين النبي وأُمَّته.
﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾	زَاغُوا - أَزَاغَ	لفظي	مخالفة الفعل القول في الميل عن طريق الحق بعد وضوحه والعلم به.

(١) تفسير أبي السعود، (٨/ ٢٤٣-٢٤٤) (بتصرف).

<p>الهداية : الدلالة على الخير ووضوح طريق الحق، فنفي الهداية عقوبة كاملة على الأذى الذي تعرض له موسى <small>عليه السلام</small>، وذلك لارتباط الهداية بالتوافق بين القول والفعل، فعدم الهداية تأكيد للعقوبة المغلظة الشديدة وهي المقت <small>﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾</small>، فالهداية أعظم مطلوب، والحرمان من الهداية هو من أعظم المقت والبغض.</p>	لفظي	لَا يَهْدِي	<p>﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾</p>
---	------	-------------	--

المطلب الثاني: وحدة الصف في قصة عيسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً مِنْ السَّمَاءِ فَأَنْزَلْنَا لَهُ الْحَقَّ طَبَقًا مِنْ سَمَاءٍ وَتَبَاوَأَ إِلَى الْقَوْمِ فَصَلَّى فَانفَجَرْنَا مِنْهَا آلِهَةً ذَاتَ آيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [صف: ٦].

هذه الآية الكريمة تربط بين النص القرآني الكريم و براعة الاستهلال في افتتاحية السورة ومحورها المتميز في الوحدة الموضوعية للسورة، فقد جاء الموضوع الأساسي للسورة وحدة الصف، وضرب لذلك مثالين من قصة موسى وعيسى عليهما السلام، وفي ذلك ارتباط لكلا القصتين لما يتطلبه موضوع السورة وروابطها اللفظية والمعنوية.

وفي «ذكر تبشير عيسى بمحمد ﷺ إدماج في خلال صفوف الأنبياء، الذي هو

نظير ما أُوذي به موسى من قومه، وما أُوذي به عيسى من قومه، مما يؤيد به النبي ﷺ، ويثبت به فؤاده، ويزيده تسليّة، وفيها تخلص إلى أن ما لقيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم من قومه نظير ما لقيه عيسى من بني إسرائيل^(١).

﴿ وَمَشَرًا رَسُولًا يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ « فقد بشر كل نبي قومه بنبينا محمد ﷺ، والله أفرد عيسى بالذكر في هذا الموضع لأنه آخر نبي قبل نبينا ﷺ، فبين أن البشارة بنبينا عمت جميع الأنبياء واحدا بعد واحد، حتى انتهت إلى عيسى ﷺ^(٢)».

وفي هذا الموضع يتضح عظمة القرآن الكريم في الدعوة إلى وحدة الصف بين الأمم، حيث تضمنت هذه الآية بشارة الأنبياء بنبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وتوثقت عرى الإخاء بين الأمم واجتماع الكلمة بوجوب الإقرار بنبوة نبينا محمد ﷺ، والإيمان برسالته ونصرة دعوته، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ آمَنُوا لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١].

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ اختلف المفسرون في عود الضمير (هم) هل يعود على عيسى ﷺ، أم على محمد ﷺ، ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾: أي المعجزات التي تبين أنه جاء من عند الله.

واختار الإمام الطبري في تفسير الآية بقوله: « فلما جاءهم أحمد بالبينات، وهي الدلالات التي آتاه الله حججا على نبوته، ﴿ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ يقول: ما أتى به لأنه

(١) التحرير والتنوير، (١٨٦/٢٨) (بتصرف).

(٢) البحر المحيط، (٢٥٩/٨).

ساحر»^(١).

ومن المعلوم أن السحر هو خداع وكذب وباطل كله، وفيه من الأقوال الكاذبة والأفعال المخالفة ما يبين بطلانه، لذا جاء وصف السحر بأنه ﴿سِحْرٌ مُّيِّنٌ﴾ أي: بين واضح لا يخفى على العقلاء وذوي الألباب، وفي نسبة الحق البين إلى السحر المبين دعوة ظاهرة لشق الصف الواحد ودعوة إلى التفرق والتشردم والخلاف دون دليل ولا برهان.

وقد جاء في ختام السورة بيان دعوة الحق وأثرها في وحدة الصف، وسيأتي تفسيرها - لاحقاً -.

وفي الجدول التالي تتبين الروابط النصية في قصة عيسى عليه السلام وما قبلها من الآيات الكريمة:

جدول رقم (٤)

التوضيح	نوع الترابط	الكلمة	الآية
الترابط بين رسل الله كالبنين المرصوص.	لفظي	إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِيَّاكُمْ	﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنَئِي إِيَّاسَاءَ يَلِإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِيَّاكُمْ﴾
الترابط بين الكتب المنزلة لأن مُنَزَّلَهَا واحد جل جلاله	لفظي	التَّورَةِ	﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّورَةِ﴾
الترابط بين رسل الله كالحلقة المصفوفة.	لفظي	رَسُولِي يَأْتِي مِنِّي بَعْدِي	﴿وَمُبَشِّرًا رِّسُولِي يَأْتِي مِنِّي بَعْدِي أَسْمُهُ أَهْمُ﴾

(١) جامع البيان، (٢٨/٩٩) (بتصرف).

<p>ارتباطهم بالفاسقين الذين يقولون ما لا يفعلون، فالسحر فيه نوع من التخييل الكاذب، فاجتمع لهم القول الكاذب ، والفعل الكاذب ، والتخييل الكاذب، مع وجود البيئات، وهذا من عقوبة الله بهم الذي هو من المقت الشديد؛ لأنهم شقوا الصف الواحد بأقوالهم الباطلة.</p>	<p>معنوي</p>	<p>سِحْرٌ</p>	<p>﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾</p>
---	--------------	---------------	--

المبحث الرابع

آثار الدعوة إلى وحدة الصف

لما كان موضوع السورة الأساسي الدعوة إلى وحدة الصف، واستعمال القرآن الكريم الوصف الصريح لمدح هذا الصف بالبيان المرصوص، وضرب الأمثلة من قصتي موسى وقومه وعيسى وقومه، فقد انتقل الخطاب القرآني الكريم إلى توضيح آثار وحدة الصف على المسلمين، وأساليب المشركين في شق صف المسلمين، والآثار التي ستعود على الأمة الإسلامية عند تحقيق الدعوة إلى وحدة الصف، والترهيب من شق الصف وآثار ذلك، وتوضيح ذلك في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: آثار افتراء الكذب على وحدة الصف

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرٌ نُّورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ [الصف: ٧-٩].

يذكر الله تعالى في هذه الآيات الكريمة التشنيع على الكذب وهو أقبح الخصال، خاصة بعد ما صدر منهم تلك المقالة الشنيعة بوصف الحق الذي جاءهم بالسحر المبين.

كما وصف الله تعالى هذا القول الباطل بالظلم الذي هو مجاوزة الحد، والتقدير: إنهم أظلم الناس لتعمدهم للكذب على الملك القدوس ﴿اللَّهُ﴾، والحال: إنهم يدعون إلى الإسلام الدين الحق الذي يكفي فيه الاعتراف بالحق لما فيه من الفضائل، والنهي عن الرذائل، فيجعلون مكان الإجابة لهذا الداعي افتراء الكذب في تلك الحالة الحسنة^(١).

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (٧/ ٥٨٢).

« فمن أشد الناس ظلماً وعدواناً ممن اختلق على الله الكذب، وهو قول قائلهم للنبي ﷺ: هو ساحر، ولما جاء به سحر، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا يوفق الله القوم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به»^(١).

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: وصف المخالفين بين أفعالهم وأقوالهم بأشد الأوصاف وأقبحها، وهو الظلم لما يصدر منهم من المقالات الفاسدة الكاذبة والأفعال القبيحة المعادية لله ورسوله، فناسب وصفهم بالظلم الذي يبطل الدعوة إلى وحدة الصف، فاستخدم الخطاب القرآني أسلوب التهيب بالمنع من الهداية والتوفيق ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، ذلك لأن الظلم عاقبته وخيمة على الفرد والمجتمع، وهو داء ويبل إذا أصيبت به الأمة فقد حق عليها الفرقة والشقاق والعذاب.

ثم قال تعالى معقبا بحال أولئك الظالمين: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: ﴿نُورَ اللَّهِ﴾ «أي: يريدون أن يطفئوا دينه، أو كتابه، أو حجته النيرة، واللام مزيدة لما فيها من معنى التأكيد»^(٢).

فالمناسبة العظيمة بين افتراء الكذب والغاية المرادة من هذا الكذب المفترى وهي إطفاء نور الله بأفواههم المريضة وكلامهم الباطل الدنيء، ففي الآية الكريمة فضح لغاياتهم وإراداتهم الخبيثة الظالمة، من أجل هذا وصفهم في الآية السابقة بأشد الظلم، وذلك لأنهم أرادوا: ﴿لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: «أي لأجل أن يطفئوا ﴿نُورَ اللَّهِ﴾، أي الملك الذي لا شيء مثله يكافئه، ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي بما يقولون من الكذب، الذي لا منشأ له إلا الأفواه، لأنه لا اعتقاد له في القلوب، لكونه لا يتخيله عاقل،

(١) جامع البيان، (٩٩/٢٨).

(٢) تفسير أبي السعود، (٨/٢٤٤).

فهم في ذلك كالنافخين في الشمس إرادة أن يمحو نفخهم عينها ، وينقص شينهم زينها، فمثل إرادتهم إخفاء القرآن بتكذيبهم وجميع كيدهم بمن يريد إطفاء الشمس بنفخه فهو في أجهد وأضل الضلال»^(١).

﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ في هذا المقطع يتضح قوة الترابط النصي بين الآيات الكريمة الدالة على أهمية الثبات على وحدة الصف، ذلك بأن الله تعالى تكفل بنصر دينه الحق ، الذي أرسل به رسله موسى وعيسى ومحمد ﷺ وإظهار نور الإسلام في سائر الأقطار.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ أي مهما بذلوا من أسباب كراهته وعداوته، ووصفه بالقول المفترى والكذب الفاضح؛ فإنهم مغلوبون^(٢)، لما عليه أهل الحق من وحدة الصف كالبنيان المرصوص أمام هذا الكفر والضلال المبين.

فشبه حالهم تشبيهاً بليغاً يدل على سخافة عقولهم وضعف صفوفهم، فكأنهم بهذه الافتراءات والأكاذيب يريدون أن يطفئوا نور الله، وقيدته ﴿بِأَقْوَاهِمَ﴾ زيادة في نكاهم وتوبيخهم بأنهم لا استطاعة لهم في مغالبة هذا الحق، فلا على مرادهم حصلوا، ولا سلمت عقولهم من النقص والقدح فيها بسبب كفرهم الشديد، والذي به ختم على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم، فأصبحوا يفترون بما لا يفهمون.

المطلب الثاني : آثار اتباع الدين الحق على وحدة الصف

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. قدمت هذه الآيات الكريمة المدح والثناء على رسول الهدى ، وذلك لأن الله أراد ببعثته المباركة أن يعم (الهدى) وهو العلم النافع، ونشر (الدين الحق) وهو

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٧/ ٥٨٣).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٧٩٧.

العمل الصالح، فاجتمع في الآية الكريمة مبدأ عظيم من مبادئ الدين الإسلامي، وهو ضرورة اقتضاء العلم العمل، وقد أشار الخطاب القرآني الكريم إلى ضرورة ارتباط العلم بالعمل، وظهر هذا جليا في هذا الموضع الكريم من هذه السورة العظيمة.

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ليعليه على سائر الأديان بالحجة والبرهان، ويظهر أهله القائمين به علما وعملا، «ولقد أنجز الله وعده، حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام»^(١).

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ «وخص المشركون بالذكر هنا إتماما للذين يكرهون إتمام هذا النور، وظهور هذا الدين على جميع الأديان، ويعلم أن غير المشركين يكرهون ظهور هذا الدين لأنهم أرادوا إطفاء نور الدين لأنهم يكرهون ظهور هذا الدين، فحصل في الكلام احتباك»^(٢).

وفي الجدول التالي يتضح الترابط النصي بين الآيات الكريمة وموضوع السورة:

جدول رقم (٥)

التوضيح	نوع الترابط	الكلمة	الآية
الظلم: مجاوزة الحد بمخالفة الفعل القول، فهو من الظلم الذي يشق الصف الواحد.	لفظي	أظلم	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾

(١) تفسير أبي السعود، (٨/ ٢٤٥).

(٢) التحرير والتنوير، (٢٨/ ١٩٣).

﴿مَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ الْكَذِبَ﴾	افترى - الكذب	لفظي	الافتراء هو الاختلاق، الكذب: عكس الصدق، ويتضمنان الذم لمن قام بافتراء الكذب بقولهم إنه ساحر أو ما جاء به السحر، وهو أحد مبطلات وحدة الصف.
﴿يُرِيدُونَ﴾	يريدون	لفظي	الإرادة فيها تعبير عن النوايا الباطنة والغايات المرادة
﴿يُطِغُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾	بأفواههم	لفظي	وصف لأفعالهم المجانبة للصواب، وهو افتراء الكذب مع وجود البينات.
﴿وَاللَّهُ مُنِمْ نُورِهِمْ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾	الكافرون	لفظي	تدرجت الآيات الكريمة في وصف أفعال هؤلاء المخالفين بين أقوالهم وأفعالهم؛ بالفاسقين ثم الظالمين ثم وصفهم بما يليق بهم وهم: الراسخون في صفة الكفر، والمجتهدون في المحاماة عنه.
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾	الهدى ودين الحق	لفظي	فالهدى واحد ودين الحق واحد وهو أدمى لوحة الصف.

المبحث الخامس

الجزء على وحدة الصف

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرُّوْكُمْ نَجِيحَكُمْ مِّنْ عَذَابِ ٱلْءَلِيمِ ۝١٠ تُوْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الصف: ١٠-١٣].

في هذا المقطع من السورة الكريمة استخدم الخطاب القرآني التفاتة جميلة للترغيب والحث على وحدة الصف، بذكر بيان دقيق لجزاء وحدة الصف، وقد وعد الله تعالى على هذا الأمر بوعود جميلة، وذكر هذا البيان بأسلوب جميل ورائع، وتوضيح ذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: بيان وسائل الفوز العظيم في الآخرة

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرُّوْكُمْ نَجِيحَكُمْ مِّنْ عَذَابِ ٱلْءَلِيمِ ۝﴾ هذه الآية الكريمة دلالة على مقصود السورة الكريمة في الإجابة عن سؤال السائلين، أي الأعمال أحب إلى الله؟ وفيها عود على بدء في الآيات الكريمة وترابطها النصي-العظيم، فبعد أن عززت الآيات الأولى من التوجه إلى الله والطريق الموصلة إلى رضاه ﴿كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَّرْضُوعٍ ۝﴾ وضربت لهم الأمثال، فانتقل الخطاب القرآني من مجال إلى مجال في وحدة مترابطة لفظاً ومعنى، وأعيد النداء إليهم بأحب أسمائهم وأجمل أوصافهم ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ۝﴾.

﴿هَلْ أَذُكُّكُمْ ۝﴾ فيها معنى الدلالة والإرشاد والتحييب والتقريب للنفوس الصادقة المقبلة على الهدى ودين الحق^(١)، فلماذا وضع لفظ ﴿تَجَرُّوْكُمْ ۝﴾ وهي

(١) انظر: البحر المحيط، (٨/ ٢٦١).

خاصة بالبيع والشراء في الخطاب القرآني، قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُوهَا بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]؟ فالبائع والمشتري لا بد أن يكونا في صف واحد بالاتصاف بالصدق والإخلاص، لتتم عملية البيع والشراء بنجاح وأمانة، فالتجارة الرباحة لها شرطان عظيمان لا بد من توافرها في البائع والمشتري وهما: الأول: أن يتوافر فيهما الصدق الذي ينافي الكذب، والثاني: تحقيق العدل الذي ينافي الظلم، كما أن هذه التجارة تجعل البائع والمشتري في صف واحد. والصف الواحد الأكمل هو اختيار التجارة مع الله بالشروط السابقة.

فأضافت هذه الآية الكريمة إلى معنى التجارة والخسارة فيها معنى إضافياً رائعاً ومميزاً لم يسبق إليه في أي لسان أو لغة، وذلك بأن التجارة عبارة عن «معاوضة الشيء بالشيء، وكما أن التجارة تنجي التاجر من محنة الفقر، والوصف بالرحمة الصبر على ما هو من لوازمه، فكذلك هذه التجارة وهي: التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان، كما قيل في تعريف الإيمان، فلهذا جاء بلفظ التجارة، وكما أن التجارة في الربح والخسران، فكذلك في هذا، فإن من آمن وعمل صالحاً فله الأجر، والربح الوافر، واليسار المبين، ومن أعرض عن العمل الصالح فله التحسر والخسران المبين»^(١).

فذكرت هذه الآيات الكريمة الجزاء على وحدة الصف بالتجارة مع الله وهي الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله بالقول والفعل، فمن فعل ذلك دله المولى الكريم على سبيل الفوز العظيم، ووصف الجزاء بالنعيم المقيم ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لمن آمن بالله ورسوله، ﴿وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾: أي صدق في موافقة

(١) التفسير الكبير، (٢٩ / ٢٧٤) (بتصرف).

فعله قوله بالجهاد بالمال والنفس، اللذان هما من أعظم المحبوبات، فمن كانت تجارته مع الله خالصة وصادقة، كان مع أهل دين الله صفا واحدا في جهادهم للباطل كالبنين المرصوص ، فاستحقوا بذلك الجزاء الحسن والفوز العظيم ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ، وقد فسره بما قبله وهو:

- ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ مغفرة الذنوب .
- ﴿وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ دخول الجنات.
- ﴿وَسَيَكُنْ ظِلْيَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾: حصول أنواع اللذات في تلك الجنات.

المطلب الثاني: تحقيق البشرى للمؤمنين في الدنيا

قال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ فالله العزيز الحكيم علم بعزته وحكمته فرح عباده بما ينالهم في الدنيا من الظفر على أعدائهم، فأراد الله أن يكافئهم بحسن فعالهم، وصدق أقوالهم، فحقق لهم في الدنيا من النصر الكبير والبشرى العاجلة، وهي تتضمن:

أ- نصر من الله: «والمراد به النصر العظيم ، وهو نصر فتح مكة، فإنه كان نصرا على أشد أعدائهم، الذين فتنوهم وأذوهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم، وألبوا عليهم العرب والأحزاب، وراموا تشويه صورتهم، وقد انضم إليه نصر الدين بإسلام أولئك الذين كانوا قبل أئمة الكفر ومساير الفتنة، فأصبحوا مؤمنين إخوانا»^(١)، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَّوَدَّةً﴾ [المتحنة: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا لَكُمْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

(١) التحرير والتنوير، (٢٨/١٩٦).

ب- الفتح القريب : وهذا من معجزات النبوة بالإخبار بالغيب .

ج- البشارة الجامعة لجميع المؤمنين السابقين واللاحقين الذين اهتموا لهذا الدين الحق، وقاموا بأسباب الفوز العظيم من الإيمان والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، وكانوا مع إخوانهم صفا واحدا، فلهم عظيم البشارة بالإيمان، وحسن تمكنه في قلوبهم^(١) .

وقدم الخطاب القرآني الكريم الفوز العظيم في الآخرة على نصر الدنيا والفتح القريب، لأنه أهم لدوامه، ولما في الإنسان من حب العجلة، فأدبه وهذبه بتقديم الآخرة على الدنيا، ليهتم بها المؤمن المجاهد، فيقوم بما أوجبه الله عليه في الدنيا، لينال الفوز العظيم في الآخرة.

ويتضح في هذه الآية الكريمة قوة الترابط بين سورة الصف وسورة الممتحنة التي ابتدأها المولى الكريم باللوم والعتاب على من والى أعداء الله وشق صف المسلمين ، فطوى ما قدمه من الإنذار والتوبيخ بالبشارة والتمكين إيذانا ببناء الصف الواحد، وتحقيقا لمن كان الإيمان راسخا في قلوبهم ، فاستحقوا عليه حسن الجزاء في الدنيا والآخرة^(٢) .

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَثِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لفتة عظيمة لمن لم يشارك بالجهاد في سبيل الله ، لكن تحقق الإيمان في قلبه، وكان من أهل وحدة الصف بقوله وفعله، ولم يباذد المجاهدين في سبيل الله ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال الرسول ﷺ: ((من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ رسولا، وجبت له الجنة))، فعجب لها أبو سعيد الخدري راوي الحديث، فقال: أعدها علي رسول الله

(١) انظر تفسير القرآن العظيم، (٨/ ١١٢).

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٧/ ٥٨٧).

فأعادها عليه، ثم قال: ((وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فقال: وما هي يا رسول الله؟ قال: الجهاد في سبيل الله))^(١).

وفي جمع المؤمنين في البشارة بعد أن أفرد ﴿نَصَّرَ مِنَ اللَّهِ وَفَتَحَ قَرِيبٌ﴾ دلالة على عظم ترابط المشاعر الإيمانية، واستعمال لفظ البشارة يوحي بتكرار البشارة ودوامها وثباتها في حياة المؤمنين عموماً، وهذا من أعظم الدلائل على ضرورة وحدة الصف وآثارها في إسعاد المؤمنين وتأزيرهم ونصرتهم. من أجل هذا ختم الله تعالى تلك البشارات العظيمة والوعود الفاضلة بضرب المثل بأهمية نصرته الله والوقوف صفا واحداً أمام أعداء الله ومناوئيه.

المطلب الثالث : توجيه أنظار المؤمنين إلى المثل في وحدة الصف

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَن أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ لِحَوَارِيِّوْنَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا نَت طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

وفي مقدمة هذه الآية العظيمة اختصار رائع لكل مطالب السورة العظيمة وهي ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ أي: «بالأقوال والأفعال، وذلك بالقيام بدين الله، والحرص على تنفيذه على الغير، وجهاد من عانده، ومن نابذه، بالأبدان والأموال، وجهاد من نصر بالباطل بما يزعمه من العلم، ورد الحق، بدحض حجته، وإقامة الحججة عليه، والتحذير منه.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب (٣١) بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات، ح(١٨٨٤).

ومن نصره دين الله؛ تعلم كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(١).

ثم هيج الخطاب القرآني المؤمنين الصادقين على الامتثال لأمر الله والاقتراء بالطائفة المنصورة، وهم أنصار الله من الحواريين، الذين اتبعوا وآمنوا ببعيسى عليه السلام، وهذه دعوة صريحة لوحدة الصف بين المؤمنين الصادقين من أنصار محمد عليه السلام وأنصار عيسى عليه السلام الذين أخذ عليهم الميثاق بالإيمان بنبوة محمد عليه السلام عندما بشر به في الآية السابقة ﴿وَمُبَشِّرًا رَّسُولًا يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أُمَّةٌ أَحَدٌ﴾.

﴿فَأَمَّنتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ﴾ أي: «لما بلغ عيسى ابن مريم عليه السلام رسالة ربه إلى قومه، ووازره من وازره من الحواريين، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضلت طائفة؛ فخرجت عما جاءهم به، وجحدوا نبوته، ورموه وأمه بالعظائم، وهم من اليهود، وغلت فيه طائفة ممن اتبعه، حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة، وافترقوا فرقا وشيعا، فمن قائل منهم: إنه ابن الله، وقائل: إنه ثالث ثلاثة؛ الأب، والابن، وروح القدس، ومن قائل: إنه الله»^(٢).

فهذه الآية الكريمة بيان مختصر لكل مطالب السورة بالدعوة إلى وحدة الصف بتحقيق ذلك في الواقع الذي ضربه بالأنموذج الصالح من طائفة أنصار الله من الحواريين الذين اتبعوا عيسى عليه السلام.

ثم أخبرت الآية الكريمة عن مدى التوافق الفعلي لوحدة الصف في أنصار الله من الحواريين فقال تعالى: ﴿فَأَمَّنتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ « فرع على قول الحواريين ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ بالإخبار بأن بني إسرائيل افترقوا طائفتين؛ طائفة آمنت ببعيسى

(١) تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٩٨.

(١) تفسير القرآن العظيم، (٨/ ١١٣) (بتصرف).

وما جاء به، وطائفة كفرت بذلك، وهذا التفريع يقتضي كلاماً مقدراً، وهو فنصروا الله بالدعوة والمصابرة عليها، فاستجاب بعض بني إسرائيل، وكفر بعض، وإنما استجاب لهم من بني إسرائيل عدد قليل»^(١).

﴿وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ «قال ابن عباس رضي الله عنهما: وذلك أنه لما رفع عيسى عليه السلام تفرق قومه ثلاث فرق: فرقة قالوا: كان الله فارتفع، وفرقة قالوا: كان ابن الله فرفعه الله إليه، وفرقة قالوا: كان عبد الله ورسوله فرفعه إليه، وهم المؤمنون، واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس، فاقتتلوا، فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين، حتى بعث الله محمداً ﷺ، فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة»^(٢).

ثم ذيل الآية بتذييل رائع ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾، أي «قوبناهم بالحجة أو بالسيف، وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام، ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ أي غالبين»^(٣).

وأعظم ذلك بعثة محمد ﷺ وإنزال الكتاب الحق المهيمن على جميع الكتب السابقة، الذي فيه خبر رفع عيسى عليه السلام، فكان تأييد الطائفة المؤمنة من أنصار الله من الحواريين الصادقين.

وفي هذا الختام الرائع عاد جميل الكلام على أوله من تحبيب المؤمنين للدعوة إلى وحدة الصف، ورسوخ الإيمان، وحصول الإتيان في جميع الأركان للفوز بحسن الجزاء ونعيم الجنان.

وفيما يلي الجدول الذي يبين الروابط اللفظية والمعنوية بين الآيات وموضوع

(٢) التحرير والتنوير، (٢٨/٢٠٢).

(١) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي (٨/١١٠) وانظر: جامع البيان، (٢٨/١٠٣).

(٢) تفسير أبي السعود، (٨/٢٤٦).

السورة الكريمة:

جدول رقم (٦)

التوضيح	نوع الترابط	الكلمة	الآية
ارتباط الإيمان بوحدة الصف فكأن جميع المؤمنين السابقين واللاحقين داخلون في هذا النداء	لفظي	النداء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا)	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكَّرُ عَلَىٰ تَحَرُّوْ نُجِيحِكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾
تحقيق البشارة العامة لجميع المؤمنين الذين قاموا بالأسباب الصحيحة لوحدة الصف وهي: ١ - الإيمان بالله. ٢ - الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس.	لفظي	وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ	﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾
الدعوة إلى نصره الله بالأقوال والأفعال والمسميات لتكوين صفا واحدا أمام العدو	لفظي	ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الحبيب الأمين، نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمة

- بعد أن من الله تعالى علي بإتمام هذا البحث في الوحدة الموضوعية في سورة الصف الكريمة ، أختتم بحثي بعدة نتائج من أهمها:
- أهمية التدبر في الخطاب القرآني الكريم ، والعناية بموضوعاته الأصلية لمعالجة الكثير من الأخطاء المنهجية الشائعة في الأمة الإسلامية كالتفرق والاختلاف.
 - تقرير الخطاب القرآني الكريم لقاعدة الصف المسلم وضرورته لمواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية.
 - لفت الأنظار إلى دعوة وحدة الصف، وآثاره في البناء المجيد للأمة الإسلامية وتمثيله بالبنیان المرصوص في سورة كاملة هي سورة الصف.
 - ضرورة الاهتمام ببناء الجماعة المسلمة على أساس من وحدة الصف بين المؤمنين ، وتوجيه الفرد المسلم للصفات الفاضلة اللازمة لبناء هذا الصف.
 - براعة الاستهلال في هذه السورة الكريمة بتسبيح جميع المخلوقات في السموات والأرض لله صفا واحدا ، وارتباطها العظيم بمقاصد السورة الكريمة.
 - جمال الخطاب القرآني وبديع بيانه في تنوع أساليب الدعوة إلى وحدة الصف تأكيد لأهميته في بناء المجتمع المسلم وازدهار حضارته بين الأمم .
 - ضرورة دراسة وحدة النص القرآني والترابط بين موضوع السورة الكريمة وسياق الآيات، والتأكيد على فهم وتحليل روابط السورة الداخلية والخارجية بموضوع السورة.
 - من أهم الأسس في الدعوة إلى وحدة الصف ضرورة موافقة الأفعال للأقوال في كل حين، وتعريض المخالفين لعقوبة مقت الله الشديد.
 - أهمية تقريب الدعوة الكريمة إلى وحدة الصف بين الأنبياء عليهم السلام، وذكر النماذج من الأمم السابقة لتأخذ الأمة الإسلامية العظة والعبرة منها .

- استخدام أسلوب الترهيب من الفرقة والخلاف بين المسلمين، وأثارها على وحدة الصف .
 - بيان الأساليب الباطلة التي ينتهجها المخالفون لتشتيت المؤمنين عن أهدافهم الخيرة ، وتفريق المؤمنين إلى أفراد متنازعين.
 - روعة الخطاب القرآني في الترغيب في وحدة الصف، وما تمليه هذه الوحدة من الآثار الطيبة على الجماعة المسلمة في تأدية فضيلة الجهاد في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته في الأرض.
 - ترتيب الجزاء الحسن والنعيم المقيم لمن أعان على وحدة الصف في الجماعة المسلمة وهياً لها أسباب التكافل والترابط كالبنين المرصوص ، وهي التجارة الرابحة مع الله.
 - أهمية الدعوة إلى أن يكون المؤمنون أنصار الله بأقوالهم وأفعالهم، وأن يكون الثبات على الإيمان والعمل بأحكامه وتقرير فضائله وآدابه هو الأساس الكريم لوحدة الصف.
 - أهمية نشر ما يستحقه أنصار الله من التأييد والتوفيق، وبذل العون فيما بينهم لإقامة دين الله ومنهجه الحكيم في البشرية عموماً.
- وأوصي بعد هذه إتمام هذه الدراسة القرآنية أن يهتم الباحثون بالأسس العلمية لوحدة الصف وأثارها على الفرد والمجتمع من خلال دراستها من الناحية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتنموية عموماً، والعمل بهذه الدعوة القرآنية، مما يترتب عليه وحدة الصف بين الأجيال، ونصر الله للمسلمين ، وإعادة مقدسات المسلمين وأراضيهم، ووضع لبنة طيبة للأمة الواحدة والصف الواحد والطريق الواحد.

قائمة المراجع

- الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن إبراهيم السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، دار التراث: القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تعليق وتخرّيج: مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير: بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- أضواء البيان في توضيح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، وتمتمته لتلميذه: عطية محمد سالم، الطبعة الأولى- دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، جمعه ودرّس أحاديثه: يسري السيد محمد- الطبعة الأولى- الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،- بدون بيانات-
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، محمد بن محمد بن أبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي: بيروت.
- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف بن أبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وآخرون، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- تفسير البغوي (معالم التنزيل)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة-الرياض: دار طيبة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية، بيروت: دار المعرفة-بدون تاريخ النشر.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ.
- التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق وعناية: خليل مأمون شيبا، الطبعة الأولى، دار المعرفة: بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي- الطبعة الأولى- عنيزة: مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤٠٧هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتعليق: محمود محمد شاكر- الطبعة الأولى- بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الأنصاري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة

- الأولى، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م
- خارطة المفاهيم القرآنية، الطبعة الأولى، السيد عمر، دار الفكر: دمشق، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، محمد بن أحمد بن عقيلة المكي، الطبعة الأولى، مركز البحوث والدراسات: جامعة الشارقة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- شرح صحيح مسلم، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الفكر: دمشق.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق: الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز، طبعة: دار الفكر.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة- الطبعة الثانية- دار الخاني: الرياض - دار الوفاء: المنصورة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة الثانية عشرة، دار العلم للطباعة والنشر: جدة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- لسان العرب، ابن منظور، تنسيق وتعليق: علي شيري - الطبعة الثانية- بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- المحرر الوجيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الطبعة الأولى، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.- بدون تاريخ النشر.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ضبطه وراجعته: محمد خليل عيتاني، الطبعة الأولى، دار المعرفة: بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- موسوعة الكتب الستة، إشراف: الشيخ صالح آل الشيخ - الطبعة الأولى- دار السلام: الرياض، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إشراف: د. صالح بن عبد الله بن حميد، وعبد الرحمن بن ملوح- الطبعة الثانية- دار الوسيلة: جدة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز بن ناصر الجليل، الطبعة الثانية- دار طيبة: الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

المجلات

- مجلة الدراسات القرآنية، مركز الدراسات الإسلامية: كلية الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن، المجلد التاسع، العدد الثاني، ٢٠٠٧م.
- وحدة الأمة، مجلة علمية يصدرها المعهد العالمي لوحدّة الأمة الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، السنة الثانية، العدد الثاني، ديسمبر، ٢٠٠٤م.

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
٩٢	المقدمة.....
٩٧	المبحث الأول: براعة الاستهلال بالتسييح ومدلولاته وروابطه.....
٩٧	المطلب الأول: براعة الاستهلال بالتسييح ومدلولاته.....
٩٨	المطلب الثاني: براعة الاستهلال وروابط السورة.....
٩٩	المطلب الثالث: الترابط بين موضوع سورة الممتحنة وموضوع سورة الصف.....
١٠١	المطلب الرابع: الترابط بين افتتاحية سورة الصف و افتتاحية سورة الجمعة.....
١٠٣	جدول رقم (١).....
	المبحث الثاني: موضوع السورة الأساسي "الخطاب للمؤمنين بالدعوة إلى
١٠٤	وحدة الصف".....
١١٢	جدول رقم (٢).....
١١٣	المبحث الثالث: ضرب المثل في وحدة صف الأنبياء- عليهم السلام-
١١٤	المطلب الأول: وحدة الصف في قصة موسى <small>عليه السلام</small>
١١٧	جدول رقم (٣).....
١١٨	المطلب الثاني: وحدة الصف في قصة عيسى <small>عليه السلام</small>
١٢٠	جدول رقم (٤).....
١٢٢	المبحث الرابع: آثار الدعوة إلى وحدة الصف.....
١٢٢	المطلب الأول: آثار افتراء الكذب على وحدة الصف.....
١٢٤	المطلب الثاني: آثار اتباع الدين الحق على وحدة الصف.....
١٢٥	جدول رقم (٥).....
١٢٧	المبحث الخامس: الجزاء على وحدة الصف.....
١٢٧	المطلب الأول: بيان وسائل الفوز العظيم في الآخرة.....
١٢٩	المطلب الثاني: تحقيق البشرى للمؤمنين في الدنيا.....
١٣١	المطلب الثالث: توجيه أنظار المؤمنين إلى المثل في وحدة الصف.....
١٣٤	جدول رقم (٦).....
١٣٥	الخاتمة.....
١٣٧	قائمة المراجع.....

الأحاديث النبوية الواردة بقراءة سورتي الإخلاص في الصلاة جمع ودراسة

د. أحمد بن عمر بن سالم بازمول *

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية والقرآنية/ الكلية الجامعية - جامعة أم القرى

* من مواليد عام ١٣٩١ هـ بمدينة مكة المكرمة.

- تخرج في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤١٤ هـ.
- نال شهادة الماجستير من قسم الكتاب والسنة في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤١٩ هـ بأطروحته: "الحديث المضطرب دراسة وتطبيق على السنن الأربع"، كما نال شهادة الدكتوراه من قسم الحديث وعلومه في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤٢٧ هـ بأطروحته: "تخريج الأحاديث والآثار المتعلقة بالتفسير من المعجم الأوسط للطبراني من سورة المائدة إلى سورة الناس".

• البريد الإلكتروني : alrehabi@hotmail.com

الملخص

- يهدف البحث إلى جمع الأحاديث النبوية الواردة في قراءة سورتي الإخلاص في الصلاة مفروضة كانت أو تطوعية، ومن ثمّ التمييز بين مقبولها ومردودها. وسبب جمعي لهذه المادة يرجع إلى عدة أمور منها :
- كثرة الأخبار التي ورد فيها قراءة السورتين في الصلاة.
 - ما اشتهر من كلام العلماء في فضل قراءة هاتين السورتين في الصلاة.
 - تنصيب العلماء على فضلها وفضل قراءتهما في بعض الصلوات.
- وقد جعلت البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مقاصد وخاتمة .
- وقسمت الأحاديث إلى قسمين :
- القسم الأول : الأحاديث الواردة في قراءتهما في الصلاة المفروضة.
 - القسم الثاني : الأحاديث الواردة في قراءتهما في الصلاة التطوعية .
- سلكت في كتابة البحث الطريقة التالية :
- جمعت ما وقفت عليه من الأحاديث النبوية التي ورد فيها ذكر قراءة هاتين السورتين معاً في الصلاة مفروضة كانت أو تطوعية.
 - إذا ورد الحديث الواحد عن جمع من الصحابة اكتفيت ببعض الروايات إن ثبت النص، وإن كانت الرواية ضعيفة فإني أجمع كل ما وقفت عليه .
 - رتب الأحاديث النبوية على الموضوعات مبتدئاً بوقت الفجر فما بعده، ومقدماً للفرض على النفل، ومقدماً للمقبول على الضعيف، ويسير الضعف على الشديد.
- وقد وقفت على قراءة هاتين السورتين في الصلاة مفروضة كانت أو تطوعية في خمسة عشر موضعاً؛ لكن الثابت منها أربعة فقط وهي : ركعتا الفجر، والركعتان بعد المغرب، وصلاة الوتر، وركعتا الطواف .
- وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿بِتَأْيِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿بِتَأْيِهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿بِتَأْيِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

ألا وإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
أما بعد :

فهذا بحث جمعت فيه ما وقفت عليه من الأحاديث النبوية التي ورد فيها قراءة سورتي الإخلاص في الصلاة مفروضة كانت أو تطوعية .

سبب اختيار البحث : اخترت الكتابة في هذا الموضوع للأمور التالية :

- (١) كثرة الأحاديث النبوية التي ورد فيها قراءة السورتين في الصلاة؛ فأحببت جمعها في مكان واحد؛ تسهيلاً للباحثين والراغبين في الوقوف عليها.
- (٢) ما اشتهر من كلام العلماء في فضل قراءة هاتين السورتين في الصلاة^(١).
- (٣) تنصيب العلماء على فضلها وفضل قراءتها في بعض الصلوات^(٢).

(١) انظر: الصواعق المرسله (٢/ ٤٠١-٤٠٣)، وزاد المعاد (١/ ٣١٦) كلاهما لابن قيم الجوزية .

(٢) لأبي نعيم الأصبهاني كتاب بعنوان ما كان يقرأ به في الصلوات من السور، ذكره السمعي في التعبير

(١/ ١٨٠). وانظر: زاد المعاد (١/ ٣١٦) لابن قيم الجوزية والأشباه والنظائر (٥٣٩) للسيوطي .

٤) التمييز بين الأخبار ببيان صحيحها من سقيمها.

تسمية البحث : وقد سميته: «الأحاديث النبوية الواردة بقراءة سورتي الإخلاص في الصلاة: جمع ودراسة».

المنهج المتبع في كتابة البحث:

١- أجمع كل ما وقفت عليه من الأحاديث النبوية التي ورد فيها ذكر قراءة هاتين السورتين معاً في الصلاة مفروضة كانت أو تطوعية.

٢- إن جاء الحديث الواحد عن عدد من الصحابة اكتفيت ببعض الروايات إن ثبت النص، وإن كانت الرواية ضعيفة فإني أجمع كل ما وقفت عليه .

٣- أرتب الأحاديث النبوية على الموضوعات، مقدماً للفرض على النفل، ومبتدئاً بوقت الفجر فما بعده، ومقدماً للحديث المقبول على الضعيف، والضعيف يسير الضعف على شديد الضعف.

٤- اتبعت في هذا البحث منهج الاستقراء والتحليل .

خطة البحث :

وقد جعلت البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مقاصد وخاتمة وفهارس فنية .

المقدمة : أذكر فيها خطبة الحاجة، وسبب اختيار الموضوع، وتسمية البحث والمنهج المتبع في البحث .

التمهيد : أذكر فيه ما جاء في فضل قراءتهما .

المقصد الأول : ما ورد في قراءتهما في الصلوات المفروضة . وتحت مبحثان :

- المبحث الأول : ما جاء في قراءتهما في صلاة الفجر .

- المبحث الثاني : ما جاء في قراءتهما في صلاة المغرب .

المقصد الثاني : ما ورد في قراءتهما في الصلوات التطوعية . وتحت : ثلاثة عشر

مبحثاً :

- المبحث الأول: ما جاء في قراءتهما في ركعتي الفجر .
 - المبحث الثاني: ما جاء في قراءتهما في ركعتي صلاة العصر .
 - المبحث الثالث: ما جاء في قراءتهما في صلاة يوم السبت .
 - المبحث الرابع: ما جاء في قراءتهما في الركعتين بعد المغرب
 - المبحث الخامس: ما جاء في قراءتهما ما بين المغرب والعشاء يوم الخميس .
 - المبحث السادس: ما جاء في قراءتهما في صلاة أربع ركعات بعد العشاء .
 - المبحث السابع: ما جاء في قراءتهما في الصلاة في جوف الليل .
 - المبحث الثامن: ما جاء في قراءتهما في صلاة الوتر .
 - المبحث التاسع: ما جاء في قراءتهما في الركعتين بعد الوتر .
 - المبحث العاشر: ما جاء في قراءتهما في ركعتي تحية المسجد .
 - المبحث الحادي عشر: ما جاء في قراءتهما في صلاة الضحى .
 - المبحث الثاني عشر: ما جاء في قراءتهما في ركعتي الطواف .
 - المبحث الثالث عشر: ما جاء في قراءتهما في صلاة التوبة .
- المقصد الثالث: الصلوات التي استحسنتها العلماء قراءتهما فيها، ولم أقف لها على دليل خاص . وتحتها أحد عشر مبحثاً:**

- المبحث الأول: قراءتهما في صلاة التسبيح .
- المبحث الثاني: قراءتهما في ركعتي الاستخارة .
- المبحث الثالث: قراءتهما في ركعتي الخروج من المنزل عند السفر .
- المبحث الرابع: قراءتهما في صلاة الإحرام .
- المبحث الخامس: قراءتهما في صلاة الحاجة .
- المبحث السادس: قراءتهما في صلاة عاشوراء .

- المبحث السابع : قراءتها في صلاة الخصماء .
 - المبحث الثامن : قراءتها في صلاة يوم العاشر من المحرم .
 - المبحث التاسع : قراءتها في صلاة يوم الاستفتاح .
 - المبحث العاشر : قراءتها في صلاة آخر جمعة من رجب .
 - المبحث الحادي عشر : قراءتها في صلاة يوم التروية .
- الخاتمة : أذكر فيها أبرز النتائج التي توصلت لها من البحث.

الدراسات السابقة :

- لم أقف على كتاب جمع جميع الروايات المسندة المرفوعة في كتاب واحد بل هي متفرقة أو غير مستوعبة ، فمن ذلك :
- فضائل القرآن لأبي عبيد: في ص ١٤١ ذكر فضل سورة الكافرون، وفي ص ١٤٢ ذكر فضل سورة الإخلاص ، ولم يورد شيئاً مما يتعلق الصلاة .
 - فضائل القرآن لابن الضريس: في ص ١٨٤ ذكر قراءتها في فرض الفجر، وفي ص ٢٠٤ ذكر قراءتها في ركعتي الفجر .
 - موسوعة فضائل وسور وآيات القرآن لمحمد طرهوني: في ٢ / ٢٥٤ ذكر قراتها في الوتر، وفي ٢ / ٣٢٥ ذكر قراءتها في ركعتي الفجر والمغرب، وفي ٢ / ٣٦٠ ذكر قراءتها في ركعتي الطواف .
 - فضائل سور القرآن الكريم لإبراهيم علي السيد عيسى: في ص ٣٥٠ ذكر قراءتها في الوتر ، في ص ٣٨٢ ذكر فضل قراءتها، وفي ص ٣٨٥ ذكر قراءتها في ركعتي الفجر والمغرب، وفي ص ٣٩١ ذكر قراءتها في ركعتي الطواف.

- كتاب جامع أخبار وآثار القراءة في الصلاة: هو كتاب مفيد في بابه، جمع كثيراً من الروايات؛ لكن لم يستوعب، وبالمقارنة بين بحثي وبين ما كتبه وجدت أنه لم يذكر المباحث التالية :

المبحث الثاني : ما جاء في قراءتها في ركعتي صلاة العصر .

المبحث الثالث : ما جاء في قراءتها في صلاة يوم السبت .

المبحث الخامس : ما جاء في قراءتها ما بين المغرب والعشاء يوم الخميس .

المبحث السابع : ما جاء في قراءتها في الصلاة في جوف الليل .

المبحث العاشر: ما جاء في قراءتها في ركعتي تحية المسجد .

المبحث الحادي عشر: ما جاء في قراءتها في صلاة الضحى .

المبحث الثالث عشر: ما جاء في قراءتها في صلاة التوبة .

وإن كان هو شرط في المقدمة أنه لا يذكر ما جاء في كتب الأحاديث الموضوععة لكن بعضها ليست في كتب الموضوععات .

كما أنه لم يذكر المقصد الثالث وهو ما استحبه العلماء قراءة سورتي الإخلاص في بعض الصلوات مما لم يثبت فيه دليل . وقد اشتمل على أحد عشر مبحثاً، وهي وإن كانت ليست على شرطه لكن من المهم التنبيه عليها حتى يكون البحث مستوعباً .

فهذه ثماني عشرة مبحثاً جديدة لم ترد في كتاب جامع أحاديث وآثار القراءة في الصلاة . فالحمد لله على توفيقه .

والله اسأل التوفيق والسداد، وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل،
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد: ما جاء في فضل قراءتهما

جاءت عدة أحاديث نبوية فيها إثبات فضائل متعددة لهاتين السورتين منها:

- ما تعدلانه من القرآن: فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل: ثلث القرآن، و﴿قُلْ يَتَّيَّهَاتُ الْكٰفِرُونَ﴾ تعدل: ربع القرآن^(١).

(١) صحيح لغيره:

أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢٦٥)، والترمذي في السنن (١٥٣/٥ رقم ٢٨٩٤)، وابن الضريس في فضائل القرآن (٢٠٢ رقم ٢٩٩)، وابن عدي في الكامل (١٨٠/٧)، والحاكم في المستدرک (٥٦٦/١) عن بيان ابن المغيرة العنزي، حدثنا عطاء، عن ابن عباس، عنه به. وإسناده ضعيف؛ فيه: بيان بن المغيرة البصري، قال عنه الحافظ في التقریب (٦١٠ رقم ٧٨٥٤): «ضعيف».

قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث بيان بن المغيرة» اهـ.

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» اهـ.

فتعقبه الذهبي في التلخيص بقوله: «بل بيان ضعفوه» اهـ.

وقال الحافظ في فتح الباري (٦٢/٩): «في سننه بيان بن المغيرة، وهو ضعيف عندهم» اهـ.

وله شاهد من حديث أنس: أخرجه الترمذي في السنن (١٦٥/٥ رقم ٢٨٩٣) والعقيلي في الضعفاء (٢٤٣/١) وأبو أحمد الحاكم (١٦٦/٦ - تهذيب الكمال) والبيهقي في شعب الإبان (٢/٤٩٧ رقم ٢٥١٦) والخطيب في تالي التلخيص (٢/٤٣٢ رقم ٢٥٩) والمزي في تهذيب الكمال (١٦٦/٦) من طريق الحسن بن سلم بن صالح العجلي، حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك، عنه به نحوه.

وإسناده ضعيف؛ فيه الحسن بن سلم العجلي، قال عنه الحافظ في التقریب (١٦١ رقم ١٢٤٤): «مجهول».

قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هذا الشيخ الحسن بن سلم».

وقال أبو أحمد الحاكم: «غريب من حديث ثابت، عن أنس، لا أعلم أحداً حدث به غير الحسن عنه».

قال البيهقي: «هذا العجلي مجهول».

وله شاهد آخر من حديث عبد الله بن عمر: أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١/٦٦ رقم ١٨٦) و(٣/٢١٦ رقم ٢٩٥٩) والمعجم الكبير (١٢/٤٠٥، ٤٠٨ رقم ١٣٤٩٣، ١٣٥٠١) وابن عدي في الكامل (٧/٢١٥) والمستغفري في فضائل القرآن (٢/٧٢٥ رقم ١٠٨٦) والخطيب في تاريخ بغداد (١/٢٤٠) من طريق عبيد الله بن زحر، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر، عنه به نحوه.

إسناده ضعيف؛ فيه: عبيد الله بن زحر الإفريقي، قال عنه الحافظ في التقریب (٣٧١ رقم ٤٢٩٠):

«صدوق يخطئ». وفيه: ليث بن أبي سليم، قال عنه الحافظ في التقریب (٤٦٤ رقم ٥٦٨٥): «صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك».

- ما توجبها من الإيمان والمعرفة لقارئها : فعن جابر أن رجلاً قام فركع ركعتي الفجر، فقرأ في الأولى ﴿قُلْ يَتَّابِعُهَا الْكَافِرُونَ﴾ حتى انقضت السورة، فقال النبي ﷺ: «هذا عبد آمن بربه» ثم قام فقرأ في الآخرة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى انقضت السورة فقال النبي ﷺ: «هذا عبد عرف ربه».

قال طلحة: «فأنا أستحب أن أقرأ هاتين السورتين في هاتين الركعتين»^(١).

- ما توجبها من البراءة من الشرك والمغفرة : فعن رجل من الصحابة أنه قال: كنت أسير مع رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء فسمع قارئاً يقرأ ﴿قُلْ يَتَّابِعُهَا الْكَافِرُونَ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد برئ من الشرك» وسرنا فسمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال: «أما هذا فقد غفر له».

فكففت راحلتي لأنظر من هو فأبشره فنظرت يميناً وشمالاً فما رأيت أحداً»^(٢).

= وبمجموع هذه الطرق يرتقي إلى الصحيح لغيره كما في السلسلة الصحيحة (٢/ ١٣١ رقم ٥٨٦) للألباني.

(١) حسن :

أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٢٩٨) وابن حبان في الصحيح (٦/ ٢١٣ رقم ٢٤٦٠) والمستغفري في فضائل القرآن (٢/ ٧٢٤ رقم ١٠٨٥) وابن بشران في الأمالي (١/ ١٧٠ رقم ٣٩٠) والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٩٩ رقم ٢٥٢٤) والذهبي في سير أعلام النبلاء (١١/ ٧٤) والحافظ ابن حجر العسقلاني في الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع (٣٢ رقم ١٦) وفي نتائج الأفكار (١/ ٥٠٣) من طريق يحيى بن معين، عن يحيى بن عبدالله، عن طلحة بن خراش، عن جابر، عنه به .

قال الحافظ في الإمتاع: «هذا حديث حسن غريب، رواه ابن حبان في صحيحه... وثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ كان يقرأ السورتين المذكورتين في ركعتي الفجر، وأما باقي سياقه فتفرد به طلحة عن جابر وتفرد به الأنيسي عن طلحة وهما صدوقان». وكذا حسنه الحافظ في نتائج الأفكار .

(٢) صحيح :

أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٦٣، ٦٥) و(٥/ ٣٧٦) وسعيد بن منصور في السنن (٢/ ٤٠٤ رقم ١٢٩) وابن أبي شيبة في المسند (٢/ ٤٢٤ رقم ٩٦٢) والدارمي في السنن (٢/ ٥٥١ رقم ٣٤٢٦) وابن الضريس في =

المقصد الأول

ما ورد في قراءتهما في الصلوات المفروضة

المبحث الأول: ما جاء في قراءتهما في صلاة الفجر

قال زرعة بن خليفة : « أتينا في جماعة من قومه فلم نلقه بالمدينة ، كان قد خرج في بعض مغازيه ، فانصرفنا فصلى بنا رسول الله ﷺ ، وحضرت صلاة الفجر فصلى بنا رسول الله ﷺ فقرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، و ﴿ قُلْ يَتَّيَبُهَا الْكُفْرُوت ﴾ ^(١) .

= فضائل القرآن (٢٠٥ رقم ٣٠٦) والنسائي في السنن الكبرى (١٧٧/٦ رقم ١٠٥٤٠) والمستغفري في فضائل القرآن (٧٠٩ رقم ١٠٥٣) والواحدي في الوسيط (٥٦٤/٤) من طرق عن مهاجر أبي الحسن، قال سمعت رجلاً .

قال البوصيري في مختصر إتحاف السادة المهرة (٤٤٦/٨) : « رَوَاهُ مسدد، وأبو بكر بن أبي شيبة، والنسائي في الكُبرى بسند صحيح » .
(١) ضعيف :

أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (١٢٣٣/٣ رقم ٣٠٨٩) وابن منده في الصحابة (٥٦٤/٢-الإصابة) وعنه السهمي في تاريخ جرجان (٥٠٣ رقم ١٠٢٣) من طريقين عن محبوب بن مسعود أبي هشام البصري، ثنا أبو معاذ الجرجاني، قال : خرجت حاجاً فقبل لي : ها هنا رجل قد رأى النبي ﷺ يقال له زرعة بن خليفة فأتيته فإذا بشيخ يعظم في قومه ، فقلت : أنت رأيت رسول الله ﷺ ؟ قال : أتينا في جماعة . قال ابن منده : « تفرد به محبوب » .

وأخرجه ابن السكن (٥٦٤/٢-الإصابة) من طريق محبوب بن مسعود عنه به . قال ابن السكن (١٩٥/٨-لسان الميزان) عن محبوب بن الحسن وأبي العدل الجرجاني : « لا يعرف هو ولا شيخه ولولا أن أبا زرعة حدث عنه لم أذكر حديثه » .

فائدة : أخرج عبد الرزاق في المصنف (١١٨-١١٩ رقم ٢٧٣٣، ٢٧٣٥) وابن أبي شيبة في المصنف (١/٣٢٢ رقم ٣٦٨٣) والبخاري في التاريخ الكبير (٣١٤/٧) وابن المقرئ في المعجم (٤٠٧ رقم ١٣٤٣) وأبو زرعة الدمشقي في الفوائد المعللة (١٠٢ رقم ٤٦، ٤٧) وأبو الشيخ في ذكر الأقران (٩٧ رقم ٣٤٩) والجوهري في مسند ابن الجعد (٤٢ رقم ١٤٨) من طرق عن الحكم، عن عمرو بن ميمون قال : صليت مع عمر بن عبد العزيز الخليفة وهو يريد مكة صلاة الفجر فقرأ بـ ﴿ قُلْ يَتَّيَبُهَا الْكُفْرُوت ﴾ و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ . =

وقال ابن عمر: «صلى رسول الله ﷺ بأصحابه في سفر صلاة الفجر فقرأ ﴿قُلْ يَتَّابِعُهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وقال: «قرأت بكم ثلث القرآن وربعه»^(١).

المبحث الثاني : ما جاء في قراءتهما في صلاة المغرب

قال عبد الله بن عمر: «كان النبي ﷺ يقرأ في المغرب ﴿قُلْ يَتَّابِعُهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(٢).

= وإسناده صحيح .

(١) منكر :

أخرجه عبد بن حميد في المسند (٢٦٩، رقم ٨٥٤) وابن الضريس في فضائل القرآن (١٨٤، رقم ٢٥٤) وابن أبي حاتم في العليل (٩٣/١، رقم ٢٥٠) وابن عدي في الكامل (١٤٤/٢) والخلال في فضائل سورة الإخلاص (٦١، رقم ٢٢) والمستغفري في فضائل القرآن (٦٨٩/٢، رقم ١٠٢٤) وابن عبد البر في التمهيد (٢٥٩/٧) والخطيب في الموضح (١٩/٢) من طريقين عن جعفر بن أبي جعفر، عن أبيه، عن ابن عمر، عنه به . وإسناده ضعيف؛ فيه : جعفر بن أبي جعفر الأشجعي، قال عنه البخاري في التاريخ الكبير (١٨٩/٢) : «جعفر ابن أبي جعفر الأشجعي عن أبيه هو ضعيف منكر الحديث» . وقال أبو حاتم كما في العليل : «ليس هذا جعفر بن محمد بن علي بن حسين هذا جعفر بن أبي جعفر شيخ ضعيف الحديث» .

وقد ذكره ابن عدي في الكامل من منكرات جعفر . وضعفه الحافظ ابن رجب في فتح الباري (١١٣/٧) .

(٢) ضعيف :

أخرجه ابن ماجه في السنن (٢٧٢/١، رقم ٨٣٣) والطبراني في المعجم الكبير (٣٧٧/١٢، رقم ١٣٣٩٥) وأبو الشيخ في طبقات المحدثين (١٥٤/٤، رقم ٩٢٠) والخلال في فضائل سورة الإخلاص (٧٩، رقم ٣٥) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٣١٩/١) والمستغفري في فضائل القرآن (٧٢٧/٢، رقم ١٠٩١) والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤٩/٤) عن أحمد بن بديل، ثنا حفص بن غياث، ثنا عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر . قال النضر: ذكرت هذا الحديث لأبي زرعة الرازي! فقال: من حدثك به؟ قلت: ابن بديل . قال: شر له .

وقال الدارقطني في العليل (٢٧/١٣) : «حدث به أحمد بن بديل، عن حفص بن غياث عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر . وقال فيه : إن النبي ﷺ كان يقرأ في المغرب ... وليس هذا من الحديث بسبيل ...» . وقال الدارقطني في الغرائب (٤٦٧/٣ - الأطراف) : «تفرد به حفص بن غياث عنه» . =

وقال جابر بن سمرة: «كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة بـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ويقرأ في العشاء الآخرة ليلة الجمعة: الجمعة والمنافقين»^(١).

= وقال ابن قيم الجوزية في حكم تارك الصلاة (٢٣٣): «روي عنه أنه قرأ فيها بـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وتفرد به ابن ماجه ولعل أحد رواته وهم من قراءته بها في سنة المغرب فكان يقرأ بهما في سنة المغرب فقال كان يقرأ بهما في المغرب أو سقطت كلمة سنة من النسخة والله أعلم». وقال الحافظ في نتائج الأفكار (١/٤٦١): «قال الدارقطني: إن أحمد بن بديل أخطأ فيه، والمحفوظ عن ابن عمر». وكذا أعله الحافظ في فتح الباري (٤/٤٣٤).

(١) ضعيف جداً:

أخرجه ابن السباك في مجلسه (٢٨٩ رقم ٤٥) وابن حبان في الصحيح (٥/١٤٩ رقم ١٨٤١) وفي الثقات (٦/٣٦٧) ومن طريقه البيهقي في السنن الصغرى (١/٢٦٧ رقم ٥٧٠) وفي السنن الكبرى (٣/٢٠١) وأخرجه ابن مردويه في أولاد المحدثين (٥/١٤٠٢-الإعلام بسنته) والمستغفري في فضائل القرآن (٢/٧٢٨ رقم ١٠٩٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٢/٣٩١) ومغلطاي في الإعلام بسنته (٤/١٤٠٣) عن عبد الملك بن محمد الرقاشي، حدثني أبي، حدثني سعيد بن سبائك بن حرب، حدثني أبي سبائك بن حرب، قال ولا أعلم إلا جابر بن سمرة عنه به.

قال ابن حبان: والمحفوظ عن سبائك أن النبي ﷺ.

وفي إسناده سعيد بن سبائك قال عنه أبو حاتم كما في الجرح والتعديل (٤/٣٢): «متروك الحديث». والحديث ضعفه الحافظ ابن رجب في فتح الباري (٧/٣١)، والحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/١٤٠ رقم ٥٥٣)، والحافظ في فتح الباري (٤/٤٣٤).

المقصد الثاني

ما ورد في قراءتهما في الصلوات التطوعية

المبحث الأول : ما جاء في قراءتهما في ركعتي الفجر

عن أبي هريرة : «أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(١).

وعن عبد الله بن مسعود قال : «ما أحصي ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل الفجر ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(٢).

وعن عبد الله بن عمر قال : «رمت النبي ﷺ أربعاً وعشرين مرة أو خمساً وعشرين مرة يقرأ في الركعتين قبل الفجر وبعد المغرب ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(٣).

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (٦/٨ رقم ٧٢٦-نووي).

(٢) صحيح لغيره :

أخرجه الترمذي في السنن (٢/٢٩٦ رقم ٤٣١) والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/٢٩٨) والمروزي في قيام الليل (٣٥) والطبراني في المعجم الأوسط (٦/٥٢ رقم ٥٧٦٧) من طريقين عن عبد الملك بن الوليد بن معدان، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله .

قال الترمذي : «غريب من حديث ابن مسعود ، لا نعرفه إلا من حديث عبد الملك بن معدان عن

عاصم» اهـ.

قال الطبراني : «لم يرو هذا الحديث عن عاصم إلا عبد الملك بن الوليد بن معدان والحسين بن واقد».

وإسناده ضعيف : فيه : عبد الملك بن الوليد البصري، قال عنه الحافظ في التقريب (٣٦٦ رقم ٤٢٢٧) :

«ضعيف».

ومتنه صحيح لغيره ؛ فقد صح عن أبي هريرة كما سبق، وصح عن ابن عمر كما سيأتي.

=

(٣) صحيح لذاته:

وعن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يقول: «نعم السورتان هما يقرؤونها في الركعتين قبل الفجر ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمْ فَارِغُوا﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(١).

وعن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمْ فَارِغُوا﴾، و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يسر فيهما القراءة»^(٢).

= أخرجه أحمد في المسند (٢/٩٥،٩٩) والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/٢٩٨) من طرق عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر عنه به. وإسناده صحيح لذاته. ورواية إسرائيل عن جده أبي إسحاق جيدة، وكذا تابعه سفيان الثوري وأبو الأحوص، وهؤلاء روايتهم عن أبي إسحاق جيدة، انظر الكواكب النيرات (٣٥١) لابن الكيال. والحديث صححه أحمد شاكر في تعليقه على الترمذي (٢/٢٧٦).

وأخرجه أحمد في المسند (٢/٩٤) والترمذي في السنن (٢/٢٧٦ رقم ٤١٧) وابن ماجه في السنن (٢/٣٦٩ رقم ١١٤٩) وابن حبان في الصحيح (٦/٢١١ رقم ٢٤٥٩) عن أبي أحمد الزبيري، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن مجاهد عن ابن عمر نحوه.

وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/٥٩ رقم ٤٧٩٠) وعنه أحمد في المسند (٢/٣٥) وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/٤١٤ رقم ١٣٥٢٧) من طريق عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن أبي إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر نحوه.

وأخرجه أبو داود الطيالسي في المسند (٢٥٧ رقم ١٨٩٣) وابن أبي شيبة في المصنف (٢/٥٠ رقم ٦٣٣٦) وابن أخي ميمى الدقاق في فوائده (٢٥٣ رقم ٥٤٦) عن أبي الأحوص سلام عن أبي إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر نحوه.

قال الترمذي: «حديث ابن عمر حديث حسن».

(١) صحيح لذاته:

أخرجه أحمد في المسند (٦/٢٣٩) وابن ماجه في السنن (١/٣٦٣ رقم ١١٥٠) وابن حبان في الصحيح (٦/٢١٤ رقم ٢٤٦١) ومن طريقه البيهقي في شعب الإيثار (٢/٥١٠ رقم ٢٥٥٦) عن يزيد بن هارون، أنا الجريري، عن عبد الله بن شقيق، عن عائشة عنها به.

وأخرجه ابن خزيمة في الصحيح (٢/١٦٣ رقم ١١١٤) ثنا بندار، نا إسحاق بن يوسف الأزرق، ثنا الجريري، عنه به.

قال الحافظ في فتح الباري (٣/٤٧): «روى ابن ماجه بإسناد قوي عن عبد الله بن شقيق، عن عائشة».

ورواية يزيد بن هارون عن الجريري قبل الاختلاط؛ كما في الكواكب النيرات (١٨٧) لابن الكيال.

(٢) صحيح لغيره:

وعن أبي هريرة قال: «نام رسول الله عن ركعتي الفجر، فقضاها بعدما طلعت الشمس، وأن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر بـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(١).

المبحث الثاني: ما جاء في قراءتهما في ركعتي صلاة العصر

عن عبد الله رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الركعتين قبل صلاة الفجر وفي الركعتين بعد صلاة العصر بـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(٢).

= أخرج عبد الرزاق في المصنف (٣/٥٩ رقم ٤٧٨٨، ٤٧٨٩) وابن أبي شيبة في المصنف (٢/٥٠ رقم ٦٣٣٧) وأحمد في المسند (٦/١٨٤) و(٦/٢٣٨) والدارمي في السنن (١/٣٩٨ رقم ١٤٤١) وإسحاق بن راهوية في المسند (٣/٧٣٣ رقم ١٣٣٩-١٣٤١) وابن أبي عمر في المسند (٤/٤٦٤ رقم ٦١٢-المطالب) والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/٢٩٧) والمستغفري في فضائل القرآن (٢/٧٢٤ رقم ١٠٨٤) وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/٤٠-٤١) من طرق عن هشام، عن ابن سيرين، عن عائشة عنها به. وأخرجه إسحاق بن راهوية في المسند (٣/٧٣٢ رقم ١٣٣٨) من طريق أيوب، عن محمد، عنه به نحوه. قال الحافظ في نتائج الأفكار (١/٥٠٢): «هذا حديث حسن». أي بمجموع طرقه وإلا فابن سيرين لم يسمع من عائشة كما في جامع التحصيل (٢٦٤) للعلائي، وفيه: «قال أبو حاتم: لم يسمع ابن سيرين من عائشة شيئاً». ويرتقي الحديث للصحیح لغيره بشواهده.

(١) قال ابن أبي حاتم في العلل (١/١٤٥ رقم ٤٠٥): «سألت أبي عن حديث رواه مروان بن معاوية، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: «نام رسول الله عن ركعتي الفجر، فقضاها بعدما طلعت الشمس، وأن رسول الله قرأ في ركعتي الفجر بـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾». قال أبي: اختصر مروان من الحديث الذي نام النبي فلم يوقفه إلا حر الشمس».

قلت يشير لما أخرجه مسلم في الصحيح (١/٤٧١ رقم ٦٨٠) من طريق يحيى بن سعيد حدثنا يزيد بن كيسان حدثنا أبو حازم عن أبي هريرة قال عرّسنا مع نبي الله ﷺ فلم نستيقظ حتى طلعت الشمس فقال النبي ﷺ ليأخذ كل رجل برأس راحلته فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان قال ففعلنا ثم دعا بالماء فتوضأ ثم سجد سجدةين، وقال يعقوب: ثم صلى سجدةين، ثم أقيمت الصلاة فصلت الغداة».

وأخرج مسلم في الصحيح (١/٥٠٢ رقم ٧٢٦) من طريق مروان بن معاوية عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر بـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾».

(٢) منكر بذكر ركعتي صلاة العصر:

المبحث الثالث: ما جاء في قراءتهما في صلاة يوم السبت

عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد مرة و﴿قُلْ يَتَّأَمُّوا الْكُفْرُوتَ﴾ ثلاث مرات و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات، فإذا فرغ من صلاته قرأ آية الكرسي مرة، كتب الله له بكل يهودي ويهودية عبادة سنة، صيام نهارها وقيام ليلها، وبني الله له بكل يهودي ويهودية مدينة في الجنة، وكأنا أعتق كل يهودي ويهودية رقبة من ولد إسماعيل، وكأنا قرأت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وأعطاه بكل يهودي ويهودية ثواب ألف شهيد، ونور الله قلبه وقبره بألف نور، وألبسه ألف حلة، وستر الله عليه في الدنيا والآخرة، وكان يوم القيامة تحت ظل عرشه مع النبيين والشهداء، يأكل ويشرب معهم، ويدخل الجنة معهم، وزوجه الله بكل حرف حوراء، وأعطاه الله بكل آية ثواب ألف صديق، وأعطاه بكل سورة من القرآن ثواب ألف رقبة من ولد إسماعيل»^(١).

= أخرجه ابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه (٢٣٧ رقم ٢٥٣) حدثنا يوسف بن يعقوب بن خالد النيسابوري، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف، حدثنا بدل، أخبرنا عبد الملك بن الوليد بن معدان الضبي عن عاصم بن بهدله، عن زر، عن أبي وائل، عن عبد الله عنه به .
وقوله (وفي الركعتين بعد صلاة العصر) منكر، والمعروف: «والركعتان بعد المغرب» كما سبق تخريجه عن عبد الله بن مسعود .

وإسناده ضعيف؛ فيه إسحاق بن إبراهيم الصواف، قال عنه الحافظ في التقريب (٩٩ رقم ٣٢٦): «لين الحديث».

وفيه: عبد الملك بن الوليد البصري، قال عنه الحافظ في التقريب (٣٦٦ رقم ٤٢٢٧): «ضعيف».

(١) موضوع:

أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٨ رقم ٩٩٤) أنبأنا إبراهيم بن محمد الطيبي، أنبأنا الحسين بن إبراهيم، أنبأنا محمد بن عبد الغفار، أنبأنا علي بن محمد بن أحمد، أنبأنا أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر الحنفي، أنبأنا أبو الحسن محمد بن عبد الله البصري، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد العسكري، حدثنا أبو أيوب =

المبحث الرابع: ما جاء في قراءتهما في الركعتين بعد المغرب

عن عبد الله بن مسعود قال: «ما أحصي ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل الفجر ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(١).

وعن عبد الله بن عمر قال: «رمقت النبي ﷺ أربعاً وعشرين مرة أو خمساً وعشرين مرة يقرأ في الركعتين قبل الفجر وبعد المغرب ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(٢).

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن ينطق مع أحد يقرأ في الأولى الحمد لله ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفي الركعة الثانية الحمد ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ خرج من ذنوبه كما تخرج الحية من سلخها»^(٣).

= سليمان بن عبد الحميد، حدثنا يحيى بن صالح، حدثنا إسحاق بن يحيى، حدثنا الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة عنه به .

قال ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع فكافأ الله من شأن الإسلام بما يعتقده تزييناً له».

وفيه جماعة من المجهولين. قال يحيى: إسحاق بن يحيى ليس بشيء، وقال أحمد: متروك الحديث. ووافق السيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/٤٩).

وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/١٥١ رقم ٦١١): «حديث أبي هريرة: من صلى يوم السبت أربع ركعات الحديث: أبو موسى المدني في كتاب وظائف الليالي والأيام بسند ضعيف جداً». وأورده ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/٨٤). والشوكاني في الفوائد المجموعة (٤٤ رقم ٨٩).

(١) صحيح لغيره، وقد تقدم تحريجه في ما جاء في قراءتهما في ركعتي الفجر .

(٢) صحيح لغيره: وقد تقدم تحريجه في ما جاء في قراءتهما في ركعتي الفجر .

(٣) ضعيف جداً :

أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٧/٩٥) و(١٤/٢٨٨) ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/٤٣١ رقم ٧٣٤) من طريق بكر بن أحمد بن محمي البغدادي، حدثنا أبو يوسف يعقوب بن تحية، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك .

وعن عبد الله بن عمرو بن مرة عن النبي ﷺ: «من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم ركعتين يقرأ فيهما ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين وخواتيم الحشر، فمات من ليلته كان شهيداً»^(١).

المبحث الخامس: ما جاء في قراءتهما ما بين المغرب والعشاء يوم الخميس

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى ركعتين ليلة الخميس بين المغرب والعشاء يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ خمس مرات و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فإذا تشهد استغفر وجعل ثواب ذلك لوالديه فقد أدى حق والديه وإن لم يبرهما»^(٢).

= قال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح ولا يعلم رواه غير بكر بن أحمد، عن يعقوب بن تحية، وكلاهما مجهول الحال».

وفي إسناده: بكر بن أحمد البغدادي، قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال (٥٨/٢): «قال ابن الجوزي: مجهول. قلت لا». وقال الحافظ في لسان الميزان (٤٦/٢): «هذا الرجل لم يكن من أهل الحديث».

وفي إسناده: يعقوب بن إسحاق الواسطي، قال عنه الذهبي في المغني (٧٥٧/٢): «ليس بثقة قد اتهم».

(١) موضوع:

أخرجه النسفي في القند في ذكر علماء سمرقند (١٩٠) من طريق محمد بن وزير الدمشقي، حدثنا ضمرة، عن إسماعيل بن عياش، عن طلحة بن زيد، عن عبد الله بن عمرو بن مرة، عنه به.

وفي إسناده: طلحة بن زيد القرشي أبو مسكين أو أبو محمد الرقي، قال عنه الحافظ في التقريب (٢٨٢ رقم ٣٠٢٠): «متروك قال أحمد وعلي وأبو داود: كان يضع».

(٢) موضوع:

أخرجه أبو موسى المدني وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس (١/١٥٣ رقم ٦١٨-المغني عن حمل الأسفار) قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/١٥٣): «بسند ضعيف جداً وهو منكر».

وقال ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/١٢١ رقم ١٢٨): «(مى) من حديث أبي هريرة وفيه عاصم بن

مضرس متروك (قلت) سبحان الله في الحديث الحسن بن عثمان بن زياد وهو وضاع وشيخه إسماعيل بن عبد الله بن إسماعيل من ولد عثمان لم أقف له على ذكر لا في الضعفاء ولا في الثقات فتركها الشيخ وأعل =

المبحث السادس: ما جاء في قراءتهما في صلاة أربع ركعات بعد العشاء

عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ صَلَّى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ خَلْفَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، قرأ في الركعتين الأولىين: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وقرأ في الركعتين الأخيرين ﴿تَزِيلُ﴾ السجدة، و﴿تَبْرَكَ الَّذِي يَدِيرُ الْمُلْكَ﴾، كُتِبَ لَهُ كَأَرْبَعِ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ»^(١).

=الحديث بعاصم وغاية ما قيل فيه منكر الحديث ولا يلزم من ذلك أن يكون حديثه موضوعاً والله أعلم انتهى.

ومراده بالشيخ أي السيوطي .

وعاصم بن مضر قال عنه أبو حاتم كما في الجرح والتعديل (٣٥١/٦): «شيخ كان يكون بالري منكر الحديث».

والحسن بن عثمان بن زياد التستري قال عنه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣٤٥/٢): «كان عندي يضع ويسرق حديث الناس سألت عبدان الأهوازي عنه فقال هو كذاب». وانظر لسان الميزان (٢١٩/٢) للحافظ.

(١) ضعيف :

أخرجه المروزي في قيام الليل (٣٩-مختصر) والطبراني في المعجم الكبير (١١/٣٤٦ رقم ١٢٢٤٠) ومن طريقه عبد الغني المقدسي في أخبار الصلاة (٣٤ رقم ٥٤) (٥٥) وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢/٤٧٧) وأبو الشيخ (٤/٥٢ رقم ٥٦٥٤-تسديد القوس) من طريق عبد الله بن فروخ، حدثني أبو فروة، عن سالم الأبطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس . قال البيهقي: «تفرد به ابن فروخ المصري».

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٣١): «رواه الطبراني في الكبير وفيه يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوي ضعفه أحمد وابن المديني وابن معين وقال البخاري مقارب الحديث وثقه مروان معاوية وقال أبو حاتم محلة الصدق وكانت فيه غفلة».

وفي إسناده يزيد بن سنان التميمي، قال عنه الحافظ في التقريب (٦٠٢ رقم ٧٧٢٧): «ضعيف».

وعبد الله بن فروخ الخراساني، قال عنه الحافظ في التقريب (٣١٧ رقم ٣٥٣١): «صدوق يغلط».

فائدة: أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (٢/١٢٧ رقم ٧٢٧٣) حدثنا ابن إدريس، عن حصين، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو قال: «من صلى أربعاً بعد العشاء كُنَّ قَدْرَهُنَّ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ».

وإسناده صحيح. وهو في حكم الرفع؛ لأن مثله لا يقال بالرأي لكن ليس فيه قراءة سورتي الإخلاص

=

فيها.

المبحث السابع: ما جاء في قراءتهما في الصلاة في جوف الليل

عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ: « يا سلمان! ما من عبد يقوم في ظلمة الليل وغفلة الناس، فيستاك، ويتوضأ، ويمشط رأسه ولحيته، ويصلي ركعتين، يقرأ في أول كل ركعة بفاتحة الكتاب ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ، وفي الثانية بفاتحة الكتاب ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ويتشهد ويسلم ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجند منك الجند، ... جعل الله بينه وبين جهنم ستة خنادق ، ما بين الخندق والخندق كما بين السماء إلى الأرض ، وكتب الله له بكل ركعة سبعين ركعة ، وما من شيء فيه استعادة إلا وهو يقول : اللهم أعز هذا المصلي مني ، حتى إن النار تقول : اللهم كما جعلتني برداً وسلاماً على إبراهيم فنج هذا مني ، وكان له كفلان من الأجر في تلك الليلة ، والذي بعثني بالحق له في الجنان ، في كل جنة ألف مدينة من ذهب ، وألف مدينة من فضة ، وألف مدينة من لؤلؤ ، وألف مدينة من زبرجد ، وألف مدينة من ياقوتة حمراء، وألف مدينة من جوهر در ...»^(١).

= وقد صح الحديث عن جمع من الصحابة آخرين انظر السلسلة الصحيحة (رقم ٥٠٦٠) للألباني، وليس فيها قراءة سورتي الإخلاص.

(١) موضوع:

أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/٤٢٩ رقم ١٠٠٣) والرافعي في التدوين في أخبار قزوين (٤/٢٢) من طريقين عن أبي الفضل بن أحمد، عن أبي عمرو أحمد، أنبأنا عبد الله بن محمد، حدثنا سليمان بن داود، حدثنا إبراهيم بن يونس العبدي، أنبأنا أسد بن سعيد، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي .

قال ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، وفيه جماعة مجاهيل» .

المبحث الثامن: ما جاء في قراءتهما في صلاة الوتر

عن ابن عباس قال: «كان النبي ﷺ يوتر بـ ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(١).

وعن عائشة: «أن النبي ﷺ كان يوتر بثلاث فيقرأ في أول ركعة بـ ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وفي الثانية ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وفي الثالثة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»^(٢).

ووافقه السيوطي في اللآليء المصنوعة (٥٤/٢).

وقال الذهبي في تلخيص الموضوعات (١٨٣ رقم ٤٢٨): «استقل هذا في الكذب بقحة واضعه، وسنده مظلم إلى إبراهيم بن يونس العبدي، عن أسد بن سعيد، عن سليمان التيمي، عن النهدي».

(١) صحيح:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/٩٤ رقم ٦٨٨٠) وأحمد في المسند (١/٣٧٢) والنسائي في السنن الكبرى (١/٤٢٣ رقم ١٣٤٠) وابن ماجه في السنن (٢/٤٧ رقم ١١٧٢) والدارمي في السنن (١/٤٤٩ رقم ١٥٨٦)

والطبراني في المعجم الأوسط (٢/٣٤٢ رقم ٢١٧٢) وأبو الحسين بن المظفر في غرائب حديث شعبة (١٩٩ رقم ١٣٣) وأبو طاهر السلفي في معجم السفر (٣٩٥ رقم ١٣٤٠) من طريقين عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

وإسناده صحيح.

فائدة: الذي يظهر أن الحديث مشهور مستفيض، وقد أشار إلى ذلك الحافظ ابن كثير حين قال في التفسير (٤/٥٠٠): «قد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب، وعبد الله بن عباس، وعبد الرحمن بن أبزي، وعائشة أم المؤمنين: «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر بـ ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، زادت عائشة والمعوذتين.

وهكذا روي هذا الحديث من طريق جابر، وأبي أمامة صدي بن عمجلان، وعبد الله بن مسعود، وعمران بن حصين، وعلي بن أبي طالب - ؓ - ولولا خشية الإطالة؛ لأوردنا ما تيسر لنا من أسانيد ذلك ومتونه، ولكن في الإرشاد بهذا الاختصار كفاية» اهـ.

(٢) صحيح لغيره:

أخرجه البزار في المسند (١٨/٢٤٠ رقم ٢٦٦، ٢٦٧) والعقيلي في الضعفاء (٤/٣٩١) والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/٢٨٤، ٢٨٤) والطبراني في المعجم الأوسط (٣/٢٨٠ رقم ٣١٤٧) وابن الأعرابي في المعجم (١/٢٣٨ رقم ٤٣٩) وابن حبان في الصحيح (٦/١٨٨، ٢٠١ رقم ٢٤٣٢، ٢٤٤٨) والدارقطني في =

وعن عبد الرحمن بن سبرة يعني أبا خيثمة أن: أباه سأل النبي ﷺ ما يقرأ في الوتر؟ فقال: «سَبِّحْ أَسْمَاءَكَ الْأَعْلَى فِي الْأُولَى وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فِي الثَّانِيَةِ، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي الثَّلَاثَةِ»^(١).

وعن أبي أمامة: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُوتر بتسع ركعات فلما بَدَنَ وَكَثُرَ عَلَيْهِ اللَّحْمُ أوتر بسبع ركعات وصلَّى ركعتين وسجدتين وهو جالسٌ يقرأ فيهما بـ ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(٢).

= السنن (٢٤/٢) ومن طريقه ابن الجوزي في التحقيق (١/٥٨ رقم ٦٧٤) وأخرجه الدارقطني في السنن (٢/٣٤، ٣٥) والحاكم في المستدرک (١/٣٠٥) و(٢/٥٢٠) و(٢/٥٢١) والمستغفري في فضائل القرآن (٢/٧٤٩ رقم ١١٣٣) والبيهقي في شعب الإيمان (٢/١٣ رقم ٢٥٦٧) والواحدي في الوسيط (٤/٤٦٨) من طرق عن يحيى بن أيوب، عن يحيى بن سعيد، عن عمرة، عن عائشة.

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» اهـ.

وهذا إسناد حسن لذاته، قال الحافظ في نتائج الأفكار (١/٥١٤): «هذا حديث حسن».

والحديث يرتقي للصحيح لغيره بشواهد المذكورة هنا وغيرها.

(١) إسناده ضعيف :

أخرجه محمد بن عبد الله الحضرمي في الصحابة (٦/١/٢٨٢-الإصابة) وعنه الطبراني في المعجم الأوسط (٦/٦ رقم ٥٦٣٣) وأخرجه البارودي (٦/١/٢٨٣-الإصابة) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤/١٨٣١، ١٨٣٩ رقم ٤٦٤٢، ٤٦٢٤) وابن قانع في معجم الصحابة (٢/١٦٢) من طريقين عن يونس بن بكير، عن إسماعيل بن رزين، عن الشعبي، عن عبد الرحمن بن سبرة أن أباه سأل النبي ﷺ ما يقرأ في الوتر؟ إسناده ضعيف؛ فيه: إسماعيل بن رزين - وقيل: ابن زربي والأول أرجح - الكوفي، قال الأزدي (١/٢٢٨-الميزان): «يتكلمون فيه» اهـ.

قال الهيثمي في المجمع (٢/٢٤٤): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه إسماعيل بن زربي، ذكره ابن حبان في الثقات، قال الأزدي: يتكلمون فيه» اهـ.

وهذه الرواية فيها حكاية قول النبي ﷺ في قراءة السور، وبقية الروايات فيها حكاية فعل النبي ﷺ.

(٢) ضعيف :

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/٢٧٧ رقم ٨٠٦٤) والرويان في المسند (٢/٢٧٣ رقم ١١٨٥) من طرق عن عمارة بن زاذان، عن أبي غالب، عن أبي أمامة.

وفي إسناده عمارة بن زاذان البصري؛ قال عنه الحافظ في التقریب (٤٠٩ رقم ٤٨٤٧): «صدوق كثير

=

الخطأ».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة بياته عند خالته ميمونة ووصفه لقيام الليل وفيه : «... ثم قام حين بقي سدس الليل أو أقل فاستاك ثم توضأ ثم دخل مسجده فكبر فافتتح فاتحة الكتاب ثم قرأ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ثم ركع وسجد ، ثم قام فقرأ فاتحة الكتاب و﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكُفْرُوتُ﴾ ، ثم ركع وسجد ، ثم قام فقرأ فاتحة الكتاب و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، ثم قنت ثم ركع وسجد فلما فرغ قعد ، حتى إذا طلع الفجر قال : «يا عبد الله» ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : «قم» فوالله ما كنت بنائم ، فقممت فتوضأت ، ثم صليت خلفه ، فقرأ بفاتحة الكتاب و﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكُفْرُوتُ﴾ ثم ركع وسجد ثم قام في الثانية فقرأ فاتحة الكتاب و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما سلم سمعته يقول : «اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي بصري نوراً ، ومن بين يدي نوراً ، ومن خلفي نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن شمالي نوراً ، ومن فوقي نوراً ، ومن تحتي نوراً ، وأعظم لي نوراً ، يا رب العالمين»^(١).

= وقال ابن الملقن في خلاصة البدر المنير (٢٧٧ رقم ٥٩١) : «سنده ضعيف لأجل عمار بن زاذان» .
وقد اضطرب في متنه :

فأخرجه أحمد في المسند (٢٦٩ / ٥) والمروزي في صلاة الوتر (٢٦٩) والطحاوي في شرح المعاني (٢٩٠ / ١) وابن عدي في الكامل (٨٠ / ٥) ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (٣ / ٣٣) من طرق عن عمار بن زاذان، عن أبي غالب، عن أبي أمامة «أن رسول الله ﷺ كان يوتر بتسع ، فلما بدن وكثر لحمه أوتر بسبع وصلى ركعتين وهو جالس يقرأ فيها ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ و﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكُفْرُوتُ﴾ .
فلم يذكر قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فيها.

(١) ضعيف :

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢ / ١٣١ رقم ١٢٦٧٩) وفي الدعاء (٢ / ١٠٨٢ رقم ٧٦١) حدثنا الحسن ابن علي العمري، ثنا هشام، ثنا عطاء بن مسلم الحلبي، ثنا العلاء بن المسيب، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عباس .

وعن علي قال: «كان رسول الله ﷺ يوتر بثلاث يقرأ في الأولى ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ و﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ و﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾، ويقرأ في الثانية بالعصر و﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، و﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾، وفي الثالثة بـ ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ﴾. و﴿تَبَّتْ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(١).

= وإسناده ضعيف؛ فيه عطاء بن مسلم الخفاف، قال عنه الحافظ في التقریب (٣٩٢ رقم ٤٥٩٩): «صدوق يخطئ كثيراً».

وفيه: حبيب بن أبي ثابت قيس الكوفي، قال عنه الحافظ في التقریب (١٥٠ رقم ١٠٨٤): «ثقة فقيه جليل وكان كثير الإرسال والتدليس».

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٧٦): «في الصحيح بعضه رواه الطبراني في الكبير وفيه عطاء بن مسلم الخفاف وثقه ابن حبان وقال غيره ضعيف وهو رجل صالح ولكنه دفن كتبه فلا يثبت حديثه».

والرواية التي أشار إليها الهيثمي أخرجه البخاري في الصحيح (١/٦٤ رقم ١٣٨) ومسلم في الصحيح (١/٥٢٥ رقم ٧٦٣) من حديث ابن عباس: «بت ليلة عند خالتي ميمونة فقام النبي ﷺ من الليل فأتى حاجته ثم غسل وجهه ويديه ثم نام ثم قام فأتى القربة فأطلق شناقها ثم توضأ وضوءاً بين الوضوءين ولم يكثُر وقد أبلغ ثم قام فصلى فتمطيت كراهية أن يرى أنني كنت أتبه له فتوضأت فقام فصلى فتمت عن يساره فأخذ بيدي فأدارني عن يمينه فتتامت صلاة رسول الله ﷺ من الليل ثلاث عشرة ركعة ثم اضطجع فنام حتى نفيخ وكان إذا نام نفيخ فأتاه بلال فأذنه بالصلاة فقام فصلى ولم يتوضأ وكان في دعائه: «اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً وعن يميني نوراً وعن يساري نوراً وفوقي نوراً وتحتي نوراً وأمامي نوراً وخلفي نوراً وعظم لي نوراً».

قال كريب: «وسبعاً في التابوت! فلقيت بعض ولد العباس فحدثني بهن فذكر عصبي ولحمي ودمي وشعري وبشري وذكر خصلتين».

قال عياض في مشارق الأنوار (١/١١٨): «قوله في حديث ابن عباس في دعاء النبي عليه السلام في صلاته «وسبعاً في التابوت» قيل معناه: نسيته، وقد وقع هذا في رواية مسلم عن أبي الطاهر: «ونسيت ما بقي»، فقد يريد أنه كانت عنده مكتوبة في كتبه في تابوته كذا قال بعضهم.

وقد يحتمل عندي أن يكون قوله: «وسبعاً في التابوت» أي في جسده وجوفه؛ ألا تراه كيف قال في الحديث «فلقيت بعض ولد العباس فحدثني بهن فذكر عصبي ولحمي ودمي وشعري وبشري».

ويكون نسيانه لما بقي من تمام السبعة والله أعلم.

(١) ضعيف جداً:

أخرجه أحمد في المسند (١/٨٩) والترمذي في السنن (٢/٣٢٣ رقم ٤٦٠) وعبد بن حميد في المسند (١/١٢١ رقم ٦٨) والمروزي في الوتر (١٣٠) والبزار في المسند (٣/٨٢ رقم ٨٥١) وأبو يعلى في المسند =

وعن النعمان بن بشير قال: «قلت يا رسول الله، بم توتر؟» قال: «بـ ﴿سَبَّحَ
أَسْمَرَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(١).

المبحث التاسع: ما جاء في قراءتهما في الركعتين بعد الوتر

عن أنس: «أن النبي ﷺ كان يصلي ركعتين بعد الوتر يقرأ فيهما ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا
الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(٢).

= (١/٣٥٦ رقم ٤٦٠) والطحاوي في شرح المعاني (١/٢٩٠) والطبراني في المعجم الأوسط
(٢/٥٨ رقم ١٢٤١) وفي الصغير (١/٢٧٨ رقم ٤٥٧) من طرق عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي عنه به.
قال البزار: «هذه الأحاديث التي رواها عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن
علي لا نعلم أحدا رواها غير علي» اهـ.
وقال الحافظ في نتائج الأفكار (١/٥١٥): «هذا حديث غريب... أخرجه محمد بن نصر من طريق
أخرى عن علي موقوفاً وكأنه أرجح والله أعلم».
وإسناده ضعيف جداً؛ فيه: الحارث بن عبد الله الأعمور، قال عنه الحافظ في التقريب (١٤٦ رقم ١٠٢٩):
«كذبه الشعبي في رأيه ورمي بالرفض وفي حديثه ضعف».

(١) ضعيف جداً:

أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨/٣٣٧ رقم ٨٧٩٩) وابن عدي في الكامل (٣/٤٥٨) من طريقين
عن محمد بن عبد العزيز الرملي، ثنا نصر بن إسحاق الهمداني، عن السري بن إسماعيل، عن الشعبي، عن
النعمان ابن بشير عنه به.
وإسناده ضعيف جداً؛ فيه: السري، قال عنه الحافظ في التقريب (٢٣٠ رقم ٢٢٢١): «متروك الحديث».
قال الهيثمي في المجمع (٢/٢٤٣): «فيه السري بن إسماعيل، وهو ضعيف جداً» اهـ.
وهذه الرواية فيها حكاية قول النبي ﷺ في قراءة السور، وبقية الروايات فيها حكاية فعل النبي ﷺ.
(٢) منكر:

أخرجه البزار في المسند (١٣/٤٦٤ رقم ٧٢٤٦) حدثنا محمد بن عمرو، حدثنا ببيعة، نا، عتبة بن أبي
حكيم، عن قتادة، عن أنس عنه به.
قال البزار: «هذا لا نعلم رواه عن قتادة عن أنس إلا عتبة».
وقال ابن أبي حاتم في علل الحديث (١/١٥٧ رقم ٤٤٢): سألت أبي عن حديث رواه ببيعة، عن عتبة بن
أبي حكيم، عن قتادة، عن أنس أن النبي ﷺ كان يصلي بعد الوتر ركعتين وهو جالس يقرأ في الركعة الأولى
بأم القرآن ﴿وَإِذَا زُلْزِلَتْ﴾ وفي الآخرة بأم القرآن ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾؟
قال أبي: «هذا من حديث قتادة منكر».

المبحث العاشر: ما جاء في قراءتهما في ركعتي تحية المسجد

وعن علي بن رباح قال: « دخل ابن مسعود المسجد فأتى سارية فوقف يصلي ورسوله ﷺ في المسجد فقال: ((نابذ^(١) يا ابن مسعود وهو لا يسمعه » فقرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وركع وسجد ثم قام في الركعة الثانية فقال النبي ﷺ: «أخلص ابن مسعود» فقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم ركع وسجد وجلس فقال النبي ﷺ: «ادع تجب، سل تعطه». فقال: «اللهم إني أسألك النصيب الأوفى في جنات النعيم، وأسألك الهدى والتقى والعفو والثرى والبشرى عند انقطاع الدنيا، وأسألك إيماناً لا يرتد، وقررة عين لا تنفد، ورجاءً لا ينقطع، وتوفيقاً للحمد، ولباس التقوى، وزينة الإيثار، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد»^(٢).

= وهذه الرواية أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١/٤٣١ رقم ٧٥٩) والدارقطني في السنن (٤١/٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/٣٣) من طريق بقية، عن عتبة، عنه به. قال البيهقي: «عتبة بن أبي حكيم غير قوي». وعتبة بن أبي حكيم الهمداني، قال عنه الحافظ في تقريب التهذيب (٣٨٠ رقم ٤٤٢٧): «صدوق يخطئ كثيراً».

(١) نابذ من نبذ، وهو الطرح والرمي، قال ابن منظور في لسان العرب (٣/٥١١): «نبذ: النبذ طرحك الشيء من يدك أمامك أو وراءك. نبذت الشيء أنبذه نبذا إذا ألقيته من يدك، ونبذته، شدد للكثرة. ونبذت الشيء أيضاً إذا رميته وأبعده... وكل طرح: نبذ».

(٢) ضعيف:

أخرجه ابن أبي عمر في المسند (١٦/٤٦١ رقم ٤٠٦٣-المطالب العالية) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣/١٠٤) عن المقرئ، نا سعيد بن أبي أيوب، عن النعمان بن عمرو اللخمي، عن علي بن رباح. قال ابن عساكر: «هذا مرسل».

وفي إسناده النعمان بن عمرو اللخمي، ذكره البخاري في التاريخ الكبير (٨/٧٦) وابن حاتم في الجرح والتعديل (٨/٤٤٦) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات (٧/٥٣٠) وفي إسناده علي بن رباح اللخمي، لم يسمع من ابن مسعود كما في جامع التحصيل (٢٤٠) للعلاني.

المبحث الحادي عشر: ما جاء في قراءتهما في صلاة الضحى

عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى الضحى أربع ركعات في يوم الجمعة، في دهره مرة واحدة يقرأ فيهن: فاتحة الكتاب، و ﴿قُلْ يَتَّأَيَّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، وآية الكرسي، في كل ركعة عشر مرات، فإذا تشهد قال: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، أربعين مرة، رفع الله عنه شر أهل السماء وشر أهل الأرض...»^(١).

وعن ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الضحى يوم الجمعة أربع ركعات، يقرأ في كل ركعة الحمد عشر مرات، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ عشر مرات، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ عشر مرات، و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات، و ﴿قُلْ يَتَّأَيَّهَا الْكَافِرُونَ﴾ عشر مرات، وآية الكرسي عشر مرات، وشر النهار، ... إلى أن قال - : فمن فعل ذلك دفع الله عنه شر الليل، وشر النهار، ... إلى أن قال - والذي بعثني بالحق إن له من الثواب كثواب إبراهيم وموسى ويحيى وعيسى، ولا يقطع له طريق، ولا يعرف له متاع»^(٢).

(١) موضوع :

قال الحافظ ابن حجر في مجالس أمالي الأذكار في صلاة التسييح (٦٨): «أخرجه أبو نعيم في كتاب قربان المتقين بسندين متصل ومنقطع ... قال أبو نعيم بعد تحريجه: فيه ألفاظ مكذوبة، وأثار الوضع عليه لائحة».

(٢) موضوع :

أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١/٤١٦ رقم ٩٩٢) من طريق خلف بن علي القطيعي، حدثنا محمد بن الضريس، حدثنا الفضيل بن عياض، عن سفيان الثوري، عن مجاهد، عن ابن عباس عنه . وأخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/٢٩٩) وقوام السنة في الترغيب والترهيب (٣/١٠ رقم ١٩٦٦) من طرق عن سعد بن سعيد الجرجاني، عن سفيان الثوري، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس عنه به نحوه =

المبحث الثاني عشر: ما جاء في قراءتهما في ركعتي الطواف

عن جابر عن النبي ﷺ: «أنه كان يقرأ في الركعتين ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ يَتَّيَبُهَا الْكُفْرُوت﴾»^(١).

وعن يعقوب بن زيد: «أن النبي ﷺ قرأ في ركعتي الطواف ﴿قُلْ يَتَّيَبُهَا الْكُفْرُوت﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(٢).

وعن أبي رافع قال: «طاف رسول الله ﷺ بالبيت ثم جاء مقام إبراهيم فقرأ ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ ثم صلى فقرأ بفاتحة الكتاب و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فقال: «ذاك الله» ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ قال: «ذاك الله»

= قال ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع على رسول الله بلا شك، فلا بارك الله فيمن وضعه، فما أبرد هذا الوضع وما أسمعجه، وكيف يحسن أن يقال: «من صلى ركعتين فله ثواب موسى وعيسى»، وفيه مجاهيل أحدهم قد عمله».

ووافقه السيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/٣٥).

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (٢/٨٨٦ رقم ١٢١٨) من حديث جابر.

وقد أعل الخطيب في الفصل للمدرج (٢/٦٧١) هذا الجزء من الرواية بالإدراج، والصحيح أنها ثابتة مرفوعة وليست بمدرجة، وقد أجاز عن هذه العلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ١٩٠٩)، وقد جمعت بحثاً خاصاً بهذه الجملة من الرواية خلصت فيه إلى ثبوت هذه الجملة من الرواية.

(٢) حسن لغيره:

أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف (٣/٤٤٤ رقم ١٥٨٢٣) وابن أبي عمير في المسند (٦/٤٣٩ رقم ١٢٢٧) - المطالب العالية) عن وكيع، عن موسى بن عبيدة، عن يعقوب بن زيد.

قال الحافظ: «هذا مرسل وموسى ضعيف».

وموسى بن عبيدة المدني، قال عنه الحافظ في تقريب التهذيب (٥٥٢ رقم ٦٩٨٩): «ضعيف ولا سيما في عبدالله بن دينار وكان عابداً».

ويعقوب بن زيد بن طلحة التيمي، قال عنه الحافظ في تقريب التهذيب (٦٠٨ رقم ٧٨١٦): «صدوق من الخامسة» فهو من طبقة التابعين.

ويشهد له حديث جابر السابق.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ قال: «ذاك الله» ثم ركع وسجد ثم قرأ بفاتحة الكتاب و﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرَتِمْ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۗ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ قال: «لا أعبد إلا الله» ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۗ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ فقال: «لا أعبد إلا الله» ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ثم ركع وسجد^(١).

المبحث الثالث عشر: ما جاء في قراءتهما في صلاة التوبة

عن أبي ذر قال: « قيل: يا رسول الله كيف ينبغي للمذنب أن يتوب من الذنوب؟ » قال: « يغتسل ليلة الاثنين بعد الوتر، ويصلي اثني عشرة ركعة، يقرأ في كل ركعة: بفاتحة الكتاب و﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرَتِمْ﴾ مرة وعشر مرات ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، ثم يقوم ويصلي أربع ركعات ويسلم ويسجد، ويقرأ في سجوده آية الكرسي مرة، ثم يرفع رأسه ويستغفر مائة مرة، ويقول مائة مرة: لا حول ولا قوة إلا بالله ويصبح من الغد صائماً ويصلي عند إفطاره ركعتين بفاتحة الكتاب وخمس مرات ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، ويقول: يا مقلب القلوب، تقبل توبتي كما تقبلت من نبيك داود! واعصمني كما عصمت يحيى بن زكريا! وأصلحني كما أصلحت أولياءك الصالحين! اللهم إني نادى على ما فعلت فاعصمني حتى لا أعصيك! ثم يقوم نادماً فإن رأس مال التائب الندامة، فمن فعل ذلك تقبل الله توبته وقضى حوائجه ويقوم من مقامه وقد غفر الله الذنوب كما غفر لداود عليه السلام، وبعث الله إليه ألف ملك يحفظونه من إبليس وجنوده إلى أن يفارق الروح جسده ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه

(١) أخرجه ابن مردويه في التفسير (٨/ ٦٥٥ - الدر المنثور) ولم أقف على إسناده. وهذه الرواية فيها قراءة الإخلاص في الأولى والكافرون في الثانية! وهي تخالف ما في الصحيح.

من الجنة ، ويقبض الله روحه والله عنه راض ويغسله جبريل عليه السلام مع ثمانين ألف ملك يستغفرون له ويكتبون له الحسنات إلى يوم القيامة ، ويشهره منكر ونكير بالجنة ، وفتح الله في قبره بابين من الجنة ويدخل الجنة بغير حساب، ويجاور فيها يحيى بن زكريا عليه السلام»^(١).

(١) موضوع :

أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/٤٥١ رقم ١٠٢٠) أنبأنا محمد بن ناصر، أنبأنا أحمد بن عبد الملك النيسابوري، حدثنا إسماعيل بن سعيد، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن محمد بن علي الأشعث، حدثنا شريح بن عبد الكريم التميمي، حدثنا جعفر بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، حدثنا شداد بن حكيم، حدثنا جرير، عن عبد العزيز بن رفيع، عن زيد بن وهب، عن أبي ذر، عنه به.
قال ابن الجوزي: « هذا حديث موضوع لم يقله رسول الله ولا رواه أبو ذر ولا زيد بن وهب وفي إسناده مجاهيل ولقد أبدع الذي وضعه واجترأ على الشريعة بأشياء باردة قال أبو عامر الحافظ: هذا حديث باطل منكر لا يتابع عليه راويه والحمل فيه على من دون جرير». وأقره السيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/٦٣).
وقال الذهبي في تلخيص الموضوعات (١٨٨ رقم ٤٤٣): « وضع على جرير بن عبد الحميد عن عبد العزيز بن رفيع عن زيد بن وهب عن أبي ذر ! وسنده مجاهيل».

المقصد الثالث

الصلوات التي استحسنتها العلماء قراءتهما فيها ولم أقف لها على دليل خاص

المبحث الأول : قراءتهما في صلاة التسبيح^(١)

قال ابن طولون^(٢) : «قد ذكر الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الحلبي رحمة الله عليه أن من صلى صلاة التسبيح يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الأولى ﴿سَبِّحْ أَسْمَاءَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وفي الثانية ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ وفي الثالثة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفي الرابعة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(٣).

المبحث الثاني : قراءتهما في ركعتي الاستخارة^(٤)

قال الغزالي^(٥) : «صلاة الاستخارة: من هم بأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أن الخير في تركه أو في الإقدام عليه فقد أمره رسول الله ﷺ بأن يصلي ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ، وفي الثانية الفاتحة و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ..»^(٦).

(١) صلاة التسبيح ثابتة : انظر بغية المتطوع (٩٩-١٠٢) لمحمد بازمول.

(٢) الترشيح (٦١).

(٣) لم أقف على دليل خاص في تخصيص قراءتهما فيها .

(٤) صلاة الاستخارة ثابتة : انظر بغية المتطوع (١٠٣-١٠٦) لمحمد بازمول.

(٥) إحياء علوم الدين (٢/٢٠٦). وانظر: الغافقي، لمحات الأنوار في فضائل القرآن (٣/١٣٢٣) و

النووي، الأذكار (٢١١).

(٦) لم أقف على دليل خاص في تخصيص قراءتهما فيها؛ قال الحافظ في نتائج الأفكار (١/٥١٠) متعباً

النووي في ذكره قراءة السورتين في الاستخارة : «أما القراءة في ركعتي الاستخارة فلم أقف عليها في شيء من

الأحاديث .

وقد ذكر شيخنا في شرح الترمذي كلام النووي، وقال : سبقه إليه الغزالي في الإحياء. ولم أجد لذلك

=

أصلاً ولكنه حسن؛ لأن المقام يناسب الإخلاص...».

المبحث الثالث : قراءتهما في ركعتي الخروج من المنزل عند السفر^(١)

قال الغزالي في آداب السفر^(٢): « الثالثة : في الخروج من الدار ينبغي إذا هم بالخروج أن يصلي ركعتين أولاً يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفي الثانية الإخلاص^(٣) .

المبحث الرابع : قراءتهما في صلاة الإحرام^(٤)

= وتعقبه الشيخ محمد بازمول في بغية المتطوع (١٠٥) بقوله: «لكن هذه المناسبة لا تسوغ القول بالمشروعية والتعيين» انتهى .

قلت : أخرج البخاري في الصحيح (١/ ٣٩١ رقم ١١٠٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن يقول إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك... الحديث . فلم يعين في الحديث ما يقرأ به في صلاة الاستخارة، قال الشيخ محمد بازمول في بغية المتطوع (١٠٥) : «فيه أنه لا يتعين في الركعتين قراءة سورة أو آيات معينة بعد الفاتحة» .

وقد ذكرها اللكنوي في الآثار المرفوعة (١٠٤) في فصل قال في أوله (١٠٣) : « ذكر صلوات وأدعية مخصوصة : ولنذكر نبذاً منها أخذاً من وسيلة الطالبين إلى محبة رب العالمين من تأليفات بعض مریدی شیخ الإسلام مولانا حسام الدين المانكبوري خليفة شيخ المشايخ نور الدين أحمد بن عمر بن أسعد اللاهوري وقد رتب تلك الرسالة على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة الباب الأول في وظائف الليل والنهار والأسبوع الثاني في وظائف المواسم والأيام والشهور والسنين والباب الثالث في صلوات وأدعية مخصوصة لقضاء الحوائج ودفع العلل والبلايات وكل ذلك نقلاً عن شيخه وغيره من المشايخ والصوفية» . يعني لا دليل عليها من السنة فلا تشرع أصلاً .

(١) ثبت عن النبي ﷺ الترغيب في صلاة ركعتين عند دخول بيته وعند خروجه مطلقاً دون تقييد بسفر أو غيره . انظر : بغية المتطوع (٩١) لمحمد بازمول .

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٢٤٧) .

(٣) لم أفد على دليل خاص في تخصيص قراءتهما فيها؛ قال النووي في الأذكار (٣٥٤) : « قال بعض أصحابنا: يستحب أن يقرأ في الأولى منها بعد الفاتحة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفي الثانية : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ » .

فتعقبه الحافظ كما في تحفة الأبرار (٩٨) بقوله : « قاسه على ركعتي الفجر» .

أي لا دليل عليها .

(٤) قال الألباني في مناسك الحج والعمرة (١٥) : «ليس للإحرام صلاة تحضه، لكن إن أدركته الصلاة قبل إحرامه فصل، ثم أحرم عقب صلاته، كان له أسوة برسول الله ﷺ حيث أحرم بعد صلاة الظهر» .

قال النووي^(١): « إذا أراد الإحرام اغتسل وتوضأ ولبس إزاره ورداءه ... ثم يصلي ركعتين ... ويستحب أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفي الثانية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ »^(٢).

المبحث الخامس : قراءتهما في صلاة الحاجة^(٣)

وهي ركعتان يصليهما بعد صلاة التهجد في الأولى يقرأ الفاتحة سبع مرات وسورة قل يا أيها الكافرون مرة وفي الثانية الفاتحة سبع مرات وسورة الإخلاص ويقول بعد السلام سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم عشر مرات ويقول : يا غياث المستغيثين . أَعْتَنَّا عَشْرَ مَرَاتٍ وَكَذَلِكَ ﴿رَبِّنَا أْتَمَمْنَا نُورَنَا وَأَعْفِرْنَا لِنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٨] ^(٤).

المبحث السادس : قراءتهما في صلاة عاشوراء

وهي ست ركعات: في الأولى بعد الفاتحة سورة الشمس ، وفي الثانية: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ ، وفي الثالثة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ وفي الرابعة: سورة الإخلاص ، وفي الخامسة: سورة الفلق ، وفي السادسة: سورة الناس ، ويسجد بعد السلام ، ويقرأ فيها: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ سبع مرات ، ويسأل الله حاجته^(٥).

المبحث السابع : قراءتهما في صلاة الخصماء

وهي أربع ركعات يصليها في يوم عاشوراء وآخر جمعة من رمضان ويوم التروية ويوم عيد الأضحى ويوم عرفة وخامس عشر- شعبان ويقرأ في الأولى بعد الفاتحة

(١) الأذكار (٣١٩). وانظر الابتهاج بأذكار المسافر والحاج (٥٩) للسخاوي .
(٢) لم أقف على دليل خاص في تخصيص قراءتهما فيها؛ سمعت الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى يسأل عن قراءة هاتين السورتين في ركعتي الإحرام فأجاب: «تخصيص الركعتين بهاتين السورتين لا دليل عليه، بل لها أن تقرأ ما شاءت كالرجل بعد الفاتحة» اهـ.
(٣) ثبتت صلاة الحاجة، ولكنها خاصة بالنبى ﷺ . انظر : صحيح الترغيب والترهيب (١/٤٢٨ رقم ٦٨١) والتوسل أنواعه وأحكامه (٧٥-٨٣) للألباني .
(٤) لم أقف على دليل خاص في تخصيص قراءتهما فيها؛ انظر : لأثار المرفوعة (١١٠) للكنوي.
(٥) هذا الصلاة مبتدعة لا دليل عليها. انظر : الأثار المرفوعة (١١٠) للكنوي.

سورة الإخلاص إحدى عشر مرة وفي الثانية سورة قل يا أيها الكافرون ثلاث مرات وسورة الإخلاص إحدى عشرة مرة وفي الثالثة سورة التكاثر مرة وسورة الإخلاص إحدى عشر مرة وفي الرابعة آية الكرسي ثلاث مرات وسورة الإخلاص خمسا وعشرين مرة^(١).

المبحث الثامن : قراءتهما في صلاة يوم العاشر من المحرم

وهي ركعتان في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص ثلاث مرات ، ﴿قُلْ يَتَّيْبَهَا الْكٰفِرُونَ﴾ مرة^(٢).

المبحث التاسع : قراءتهما في صلاة يوم الاستفتاح

يوم الاستفتاح هو الخامس عشر من رجب ، وهي خمسون ركعة ، في كل ركعة يقرأ بعد الفاتحة سورة الإخلاص والمعوذتين مرة مرة ، هذا وقت الإشراق ، وبعد الزوال من ذلك اليوم يصلي ثمان ركعات ، يقرأ فيها ما شاء ، ثم يصلي ثمان ركعات بعد الظهر ، في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص وسورة الكافرون ، ثم بعد الفراغ يقرأ الفاتحة مائة مرة ، وكذلك سورة الإخلاص وآية الكرسي عشر مرات ، وآمن الرسول إلى آخر سورة البقرة عشر مرات ، وسورة الأنعام والكهف ومريم وطه وآلم السجدة ويس والصافات وحم السجدة وسورة الدخان وسورة الفتح والواقعة والمملك وإذا السماء انشقت إلى آخر القرآن ، ثم يقول : يا قاضي حوائج الطالبين مرة ، ويدعو بدعاء الاستفتاح ، وهذا كله منقول عن جعفر الصادق^(٣).

المبحث العاشر : قراءتهما في صلاة آخر جمعة من رجب

(١) هذا الصلاة مبتدعة لا دليل عليها . انظر : الآثار المرفوعة (١١١) للكنوي.

(٢) هذا الصلاة مبتدعة لا دليل عليها . انظر : الآثار المرفوعة (١١١) للكنوي.

(٣) هذا الصلاة مبتدعة لا دليل عليها . انظر : الآثار المرفوعة (١١٢) للكنوي.

صلاة آخر جمعة من رجب لطول العمر وهي اثنتا عشر ركعة بثلاث تسلييات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة آية الكرسي مرة، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ مرة، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات، وبعد كل سلام يقرأ عشر مرات هذا الدعاء: يا أجل من كل جليل، ويا أعظم من كل عظيم، ويا أعز من كل عزيز، ويا أكرم من كل كريم، ويا أرحم من كل رحيم، ويا أوحده من كل واحد، ويا خير من كل أحد، أنت ربي لا رب لي غيرك، يا غياث المستغيثين ورجاءهم أغثني بفضلك ورحمتك، يا أرحم الراحمين، ومد عمري مدا في خير وعافية، وهب لي عمرا طويلا في رضاك يا كريم يا وهاب يا رحيم يا تواب، ويقول ثلاث مرات: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم واستعصمه واستنصره وأتوب إليه إنه هو التواب الرحيم^(١).

المبحث الحادي عشر: قراءتهما في صلاة يوم التروية

وهي ست ركعات: في الأولى بعد الفاتحة سورة العصر، وفي الثانية ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾ وفي الثالثة سورة الكافرون، وفي الرابعة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ثم يسلم، ثم يصلي ركعتين، في كل ركعة سورة الإخلاص ثلاث مرات^(٢).

(١) هذا الصلاة مبتدعة لا دليل عليها . انظر : الآثار المرفوعة (١١٣) للكنوي.

(٢) هذا الصلاة مبتدعة لا دليل عليها . انظر : الآثار المرفوعة (١١٦) للكنوي.

الخاتمة

أحمد ربي العلي الكريم وأشكره على نعمه وآلائه التي لا تعد ولا تحصى، والتي منها نعمة الابتداء والانتهاء من هذا البحث الذي تشرفت فيه بخدمة القرآن الكريم والسنة النبوية، وعشت معه أياماً أمهل فيها من المعين الصافي واستنير بأقوال أهل العلم .

وأسجل في **خاتمة البحث** تلخيصاً للبحث مع أبرز النتائج :

- أنه وردت في سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عدة أحاديث نبوية تدل على فضائلها.

- أني لم أقف على حديث مقبول فيه قراءة هاتين السورتين في صلاة مفروضة، وما ورد فهو ضعيف. وإنما ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه قرأهما في صلاة الفجر في السفر.

- ثبت أن النبي ﷺ قرأهما في بعض الصلوات التطوعية وهي الصلوات التالية في :

١ - ركعتي الفجر .

٢ - الركعتين بعد المغرب .

٣ - صلاة الوتر .

٤ - ركعتي الطواف .

- وورد أن النبي ﷺ قرأهما في بعض الصلوات المفروضة والتطوعية ولكن لم يثبت منها شيء، وهي الصلوات التالية :

١ - صلاة الفجر .

٢ - صلاة المغرب .

٣ - ركعتا صلاة العصر .

- ٤- صلاة يوم السبت .
 - ٥- صلاة ما بين المغرب والعشاء يوم الخميس .
 - ٦- صلاة أربع ركعات بعد العشاء .
 - ٧- الصلاة في جوف الليل .
 - ٨- الركعتان بعد الوتر .
 - ٩- ركعتا تحية المسجد .
 - ١٠- صلاة الضحى .
 - ١١- في صلاة التوبة .
- ووقفت على استحباب العلماء لقراءة هاتين السورتين في بعض الصلوات التطوعية الثابتة لكن لا يوجد دليل خاص في ذلك، وفي بعض الصلوات التي لم تثبت عن النبي ﷺ أصلاً:
- ١- صلاة التسييح. وأصل صلاة التسييح ثابتة، لكن لم تثبت القراءة فيهما بسورتي الإخلاص.
 - ٢- ركعتا الاستخارة. وأصل صلاة الاستخارة ثابتة، لكن لم تثبت القراءة فيهما بسورتي الإخلاص.
- والصلوات التالية فهي غير ثابتة عن النبي ﷺ أصلاً:
- ١- ركعتا الخروج من المنزل عند السفر.
 - ٢- صلاة الإحرام.
 - ٣- صلاة الحاجة.
 - ٤- صلاة عاشوراء .
 - ٥- صلاة الخصاء .

- ٦- صلاة يوم العاشر من المحرم .
- ٧- صلاة يوم الاستفتاح .
- ٨- صلاة آخر جمعة من رجب .
- ٩- صلاة يوم التروية .
- وأوصي بكثرة الاعتناء بالأحاديث المتعلقة بتفسير القرآن وفضائله .

المصادر والمراجع

- ١- الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، لأبي الحسنات عبدالحفي بن محمد عبد الحلیم اللكنوي ت ١٣٠٤هـ، تحقيق: محمد زغلول، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر البوصيري ت ٨٤٠هـ، تحقيق: عادل بن سعد، والسيد بن محمود، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ، مكتبة الرشد - الرياض.
- ٣- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٤١٢هـ. مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٤- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ت ٥٠٥هـ، طبعة دار المعرفة - بيروت.
- ٥- أخبار الصلاة، لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ت ٦٠٠هـ، تحقيق: مجدي حمودة، الطبعة الأولى عام ١٤٢٤هـ، دار الآثار - القاهرة.
- ٦- الأذكار، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ت ٦٧٦هـ، تحقيق: علي الشربجي، قاسم النوري، الطبعة الأولى عام ١٤٢٤هـ.
- ٧- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١هـ، تحقيق: خالد عبد الفتاح، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
- ٨- الإصابة في تمييز الصحابة: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق محمد علي الجاوي، تصوير دار المعرفة.
- ٩- أطراف الغرائب والأفراد لحمد بن طاهر المقدسي، تحقيق: محمود حسن نصار، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٠- الإعلام بسنته عليه السلام لعلاء الدين مغلطاي بن قليج الحنفي ت ٧٦٢هـ، تحقيق: كامل عويضة، مكتبة نزار البار - مكة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- ١١- الأمالي، لعبد الملك بن محمد ابن بشران ت ٤٣٠هـ، تحقيق: عادل العزازي، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ، دار الوطن - الرياض.
- ١٢- الإمتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع، لأبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني ت ٨٥٢هـ، تحقيق: صلاح الدين مقبول، طبعة عام ١٤٠٨هـ، الدار السلفية - الكويت.
- ١٣- بغية المتطوع في صلاة التطوع، لمحمد بن عمر بازمول، الطبعة الرابعة عام ١٤٢٣هـ، دار الهجرة - السعودية.

- ١٤ - تاريخ دمشق : لأبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي ابن عساكر : تحقيق عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ .
- ١٥ - تاريخ بغداد ، لأحمد بن علي الخطيب البغدادي . الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ ، مكتبة الخانجي - القاهرة .
- ١٦ - تاريخ جرجان : لحمزة بن يوسف السهمي . تحت مراقبة : محمد خان . الناشر عالم الكتب - بيروت ، ١٤٠١ هـ .
- ١٧ - التاريخ الكبير : لمحمد بن إسحاق البخاري . الطبعة الأولى ١٩٩٤م - ١٩٨٧م . مطبعة دار المعارف العثمانية - الهند . تصوير دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٨ - تالي تلخيص المشابه : لأحمد بن علي ثابت أبي بكر الخطيب البغدادي ٣٩٢-٤٦٣ هـ . تخريج وتعليق : أبي عبدة مشهور بن حسن آل سلمان وأبي حذيفة أحمد الشقيرات . الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م . دار الصميعي - السعودية .
- التحرير للسمعاني = المنتخب من معجم شيوخ أبي سعد السمعاني .
- ١٩ - التحقيق في أحاديث الخلاف ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي ت ٥٩٧ هـ ، تحقيق : مسعد السعدني ، الطبعة الأولى عام ١٤١٥ هـ ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٢٠ - التدوين في أخبار قزوين : لعبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي : تحقيق : عزيز الله العطاري . دار الكتب العلمية ١٤٠٨ هـ . عن طبعة المطبعة العزيرية - الهند .
- ٢١ - تسديد القوس ، للحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ٨٥٢ هـ ، تحقيق : فواز الزمرلي ، ومحمد البغدادي ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ هـ ، دار الكتاب العربي - بيروت .
- ٢٢ - الترغيب والترهيب : لأبي القاسم إسحاق بن محمد بن الفضل الأصبهاني التيمي ، تحقيق : أيمن بن صالح بن شعبان . الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م . دار الحديث - القاهرة .
- ٢٣ - تفسير القرآن العظيم ، لإسحاق بن عمر بن كثير ت ٧٧٤ هـ . طبعة دار المعرفة - بيروت .
- ٢٤ - تقريب التهذيب : لأبي الفضل أحمد بن ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ تحقيق : صغير الباكستاني . دار العاصمة - الرياض . الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ .
- ٢٥ - تلخيص المستدرک : لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . بحاشية المستدرک تصوير دار المعرفة - بيروت .
- ٢٦ - تلخيص الموضوعات ، لمحمد بن أحمد الذهبي ت ٧٤٨ هـ ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم ، الطبعة الأولى عام ١٤١٩ هـ ، مكتبة الرشد - الرياض .

الأحاديث النبوية الواردة بقراءة سورتي الإخلاص في الصلاة: جمع ودراسة د.أحمد بن عمر بازمول

- ٢٧- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : لأبي عمر يوسف بن عبد الله القرطبي ابن عبد البر . تحقيق : هيئة من العلماء بوزارة الأوقاف - في المملكة المغربية . الطبعة الأولى .
- ٢٨- تزييه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ، لعلي ابن عراق الكناني ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، وعبد الله محمد . الطبعة الأولى . تصوير سنة ١٣٩٩ هـ دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٢٩- تهذيب الكمال في أسماء الرجال : لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي . تحقيق : بشار عواد معروف . الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٤١٣ هـ . مؤسسة الرسالة - بيروت
- ٣٠- الثقات : لأبي حاتم محمد بن حبان البستي . تحت مراقبة : الدكتور محمد عبد المعيد خان . الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ - ١٤٠٣ . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند .
- ٣١- جامع التحصيل في أحكام المراسيل : لصالح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلي العلائي . تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي . الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ . عالم الكتب . مكتبة النهضة الحديثة - بيروت .
- ٣٢- الجامع المختصر من السنن ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل : لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي . تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، وإبراهيم عطوة عوض . تصوير دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٣٣- الجرح والتعديل : لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم ت ٣٢٧ هـ . الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند . تصوير دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٣٤- خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي ، لعمر بن علي بن الملتن الأنصاري ، الطبعة : الأولى عام ١٤١٠ هـ ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، دار النشر : مكتبة الرشد - الرياض .
- ٣٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ .
- ٣٦- الدعاء لأحمد بن سليمان الطبراني ت ٣٦٠ هـ تحقيق : محمد سعيد البخاري ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ هـ ، دار البشائر - بيروت .
- ٣٧- ذكر أخبار أصبهان ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت ٤٣٠ هـ . نشره : سفن ديرنغ . يربل ، ليدن ١٩٣١ هـ - ١٩٣٤ م . تصوير الدار العلمية - الهند ١٤٠٥ هـ .
- ٣٨- ذكر الأقران ورواياتهم عن بعضهم بعضاً ، لأبي الشيخ عبد الله بن محمد الأصبهاني ت ٣٦٩ هـ ، الطبعة الأولى عام ١٤١٧ هـ ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٣٩- زاد المعاد في هدي خير العباد ، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ت ٧٥١ هـ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط . الطبعة الثالثة عشر ١٤٠٦ هـ . مؤسسة الرسالة - بيروت .

- ٤٠ - سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، طبعة عام ١٤١٥هـ، مكتبة المعارف - الرياض .
- ٤١ - السنن : لسعيد بن منصور الخراساني : تحقيق : سعد آل حميد ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ . دار الصعيبي - الرياض .
- ٤٢ - السنن ، لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، فواز زمزلي وخالد العلمي ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ ، دار الريان - القاهرة .
- ٤٣ - السنن : لعلي بن عمر الدارقطني ت ٣٨٦هـ ، حديث أكاديمي - باكستان .
- ٤٤ - السنن الصغرى ، لأحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨هـ ، تحقيق : محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ ، مكتبة الرشد - الرياض .
- ٤٥ - السنن : لمحمد بن يزيد القزويني ابن ماجه . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي وتصوير دار الفكر .
- ٤٦ - السنن الكبرى : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨هـ ، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - الهند .
- ٤٧ - السنن الكبرى ، لأحمد بن شعيب النسائي . تحقيق : دكتور عبد الغفار البنداري ، وسيد كسروي . الطبعة الأولى ١٤١١هـ . دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٤٨ - السنن لأبي داود السجستاني . تحقيق : عزت عبيد الدعاس ، وعادل السيد . الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ . دار الحديث - بيروت .
- ٤٩ - سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد الذهبي ت ٧٤٨هـ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وغيره ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة العاشرة عام ١٤١٤هـ .
- ٥٠ - شرح معاني الآثار : لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي . تحقيق : محمد زهري النجار . الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ . دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٥١ - شعب الإيمان : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي . تحقيق : محمد زغلول . الطبعة الأولى ١٤١٠هـ . دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٥٢ - صحيح ابن خزيمة محمد بن إسحاق بن خزيمة . تحقيق : الدكتور محمد مصطفى الأعظمي . الطبعة الأولى . المكتب الإسلامي - بيروت .
- ٥٣ - صحيح البخاري : مع شرحه فتح الباري ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، مصورة الطبعة السلفية - دار المعرفة - بيروت .
- ٥٤ - صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت .

الأحاديث النبوية الواردة بقراءة سورتي الإخلاص في الصلاة: جمع ودراسة د. أحمد بن عمر بازمول

- ٥٥ - الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجاوي، الطبعة الأولى عام ١٤١٦ هـ، دار ابن حزم - بيروت .
- ٥٦ - الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة، لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل لله، الطبعة الثالثة عام ١٤١٨ هـ، دار العاصمة - الرياض.
- ٥٧ - الضعفاء: لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي . تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعجي . الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٥٨ - طبقات الخدثين بأصبهان والواردين عليها: لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني أبي الشيخ . دراسة وتحقيق عبد الغفور عبد الحق البلوشي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- ٥٩ - العلل: للدارقطني علي بن عمر من ج ١-١١ . تحقيق: الدكتور محفوظ الرحمن زين الله السلفي . الطبعة الأولى ١٤٠٥ - ١٤١٢ هـ دار طيبة - المدينة المنورة .
- ٦٠ - علل الحديث ، اسم المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن مهرا ن الرازي أبو محمد ٣٢٧ هـ، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٥ ، تحقيق: محب الدين الخطيب
- ٦١ - العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: لابن الجوزي ت ٥٩٧ . تحقيق: إرشاد الحق . ط. إدارة ترجمان السنة - لاهور .
- ٦٢ - غرائب شعبة بن الحجاج الواسطي ، لأبي الحسين محمد بن المظفر بن موسى ت ٣٧٩ هـ، تحقيق: حمزة أحمد الزين ، طبعة عام ١٤٢٤ هـ ، دار الحديث - القاهرة .
- ٦٣ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، اسم المؤلف: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الوفاة: ٧٩٥ هـ ، دار النشر: دار ابن الجوزي - السعودية / الدمام - ١٤٢٢ هـ ، الطبعة: الثانية ، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد
- ٦٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الوفاة: ٨٥٢ ، دار النشر: دار المعرفة - بيروت ، تحقيق: محب الدين الخطيب.
- ٦٥ - فضائل القرآن، لجعفر بن محمد المستغفري ت ٤٣٢ هـ، تحقيق: أحمد بن فارس السلوم، الطبعة الأولى عام ١٤٢٧ هـ، دار ابن حزم - بيروت.
- ٦٦ - فضائل القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أيوب ابن الضريس . تحقيق: غزوة بدير . الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ دار الفكر - دمشق .

- ٦٧- فضائل القرآن : لأبي عبيد القاسم بن سلام . أ تحقيق: وهبي سليمان غاوجي . الطبعة الأولى ١٤١١هـ . دار الكتب العلمية - بيروت . ب تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ دار ابن كثير - دمشق - بيروت
- ٦٨- فوائد ابن أخي ميمي الدقاق محمد بن عبد الله البغدادي ت ٣٩٠هـ ، تحقيق : نبيل جرار ، الطبعة الأولى عام ١٤٢٦هـ ، أضواء السلف - الرياض
- ٦٩- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة : لمحمد بن علي الشوكاني . تحقيق: عبد الرحمن المعلمي . وأشرف على طبعه زهير الشاويش . الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ المكتب الإسلامي - بيروت .
- ٧٠- الفوائد المعللة، لعبد الرحمن بن عمرو الدمشقي ت ٢٨١هـ، تحقيق رجب بن عبدالمقصود، الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ، مكتبة الإمام الذهبي - الكويت .
- ٧١- القند في ذكر علماء سمرقند، لعمر بن بن محمد النسفي ت ٥٣٧هـ، تحقيق: نظر محمد، الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ، مكتبة الكوثر - السعودية .
- ٧٢- قيام الليل، لمحمد بن نصر المرزبي ت ٢٩٤هـ، اختصره أحمد بن علي المقرئ ت ٨٤٥هـ، الطبعة الثانية عام ١٤٠٣هـ، دار عالم الكتب - بيروت .
- ٧٣- الكامل في ضعفاء الرجال ، لعبد الله بن عدي الجرجاني ت ٣٦٥هـ ، تحقيق : يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ .
- ٧٤- الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة : لأبي البركات محمد بن أحمد ابن الكيال . تحقيق : عبد القيوم عبد رب النبي . الطبعة الأولى . . دار المأمون - بيروت .
- ٧٥- اللآلئ المصنوعة : لجلال الدين السيوطي . الطبعة الأولى ، مصورة عنها في ١٣٩٥هـ ، دار المعرفة - بيروت .
- ٧٦- لسان الميزان، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، تحقيق : عبدالفتاح أبوغدة، الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب .
- ٧٧- نحات الأنوار ونفحات الأزهار وري الظمان لمعرفة ما ورد من الآثار في ثواب قارئ القرآن، لمحمد بن عبد الواحد الغافقي ت ٦١٩هـ، تحقيق : رفعت فوزي، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ، دار البشائر الإسلامية - بيروت .
- ٧٨- مجالس أمالي الأذكار في صلاة التسيح، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، تحقيق: كيلاني خليفة، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ، مطبعة المدني - مصر .
- ٧٩- مجلسان من حديث ابن السماك (مجموع فيه عشرة أجزاء حديثة)، تحقيق: نبيل جرار ، الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ ، دار البشائر الإسلامية - بيروت .

الأحاديث النبوية الواردة بقراءة سورتي الإخلاص في الصلاة: جمع ودراسة د.أحمد بن عمر بازمول

- ٨٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي ت٨٠٧هـ، تحقيق: حسام الدين القدسي، طبعة عام ١٤١٤هـ، مكتبة القدسي.
- ٨١- المستدرک علی الصحیحین: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. الطبعة الأولى عام ١٣٣٤هـ دائرة المعارف العثمانية- الهند. تصوير دار المعرفة.
- ٨٢- المسند: لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي. تصوير دار المعرفة - بيروت. * مسند أبي عوانة مستخرج أبي عوانة.
- ٨٣- المسند: لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلی. تحقيق: حسين الأسد. الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ دار المأمون للتراث- دمشق.
- ٨٤- مسند ابن أبي شيبه، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه، تحقيق: عادل العزازي وأحمد الزبيدي، الطبعة: الأولى عام، دار الوطن - الرياض.
- ٨٥- مسند إسحاق بن راهوية ت٢٣٨هـ، تحقيق: عبد الغفور البلوشي، الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ، دار الإيمان - المدينة النبوية.
- ٨٦- مسند ابن الجعد: لأبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي. تحقيق: د. عبد المهدي بن عبد القادر، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ مكتبة الفلاح، الكويت.
- ٨٧- مسند البزار أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العنكي تحقيق: الدكتور محفوظ الرحمن زين الله. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ مؤسسة علوم القرآن - دمشق، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.
- ٨٨- مسند الروياني محمد بن هارون الطبري، تحقيق: أيمن علي أبو بياني، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ، مؤسسة قرطبة.
- ٨٩- مسند الشاميين: لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٩٠- المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل: أ الطبعة الأولى ١٣١٣هـ القاهرة.
- مسند عبد بن حميد = المنتخب من مسند عبد بن حميد.
- ٩١- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي ت٥٤٤هـ، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.
- ٩٢- المصنف: لعبد الرزاق بن همام الصنعاني. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ المكتب الإسلامي - بيروت.
- ٩٣- المصنف في الأحاديث والآثار: لأبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العسبي- ابن أبي شيبه. تقديم وضبط كمال يوسف الحوت. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ دار التاج - بيروت.

- ٩٤ - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، لأبي الفضل أحمد بن ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ ، تحقيق : مجموعة من الباحثين ، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ ، دار العاصمة - الرياض .
- ٩٥ - المعجم : لأبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد ابن الأعرابي . تحقيق : عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني . الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م دار ابن الجوزي - السعودية .
- ٩٦ - المعجم ، لأبي بكر محمد بن إبراهيم ابن المقرئ الأصبهاني ت ٣٨١هـ ، تحقيق : عادل بن سعد ، مكتبة الرشد - الرياض .
- ٩٧ - المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت ٣٦٠هـ ، له عدة طبعات ، الأولى : تحقيق : طارق عوض وزملائه . ط . دار الحرمين . الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .
- ٩٨ - معجم السفر : لأبي طاهر السلفي ت ٥٧٦هـ . تحقيق : عبد الله عمر البارودي ١٤١٤هـ دار الفكر - بيروت .
- ٩٩ - معجم الصحابة : لأبي الحسين عبد الباقي بن قانع ٢٦٥-٣٥١هـ . بتعليق : أبي عبد الرحمن صلاح ابن المصراي . الطبعة الأولى ١٤١٨هـ . مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة .
- ١٠٠ - المعجم الصغير : لأبي القاسم بن أحمد بن أيوب الطبراني . مع تحريجه الروض الداني . تحقيق : محمد شكور محمود الحاج أمرير . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي . بيروت ، دار عمار - عمان .
- ١٠١ - المعجم الكبير : للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني . تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي . الطبعة الأولى ١٣١٩هـ الدار العربية للطباعة - بغداد . وطبعت قطعة من الجزء الثالث عشر ، تحقيق حمدي السلفي أيضاً ، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ ، دار الصمعي - الرياض .
- ١٠٢ - معرفة الصحابة ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني ت ٤٣٠هـ ، تحقيق : عادل العزازي ، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ ، دار الوطن - الرياض .
- ١٠٣ - المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تحريج ما في الأحياء من الأخبار : للعراقي ت ٨٠٦هـ اعتناء أشرف عبد المقصود . ط دار طبرية - الرياض . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .
- ١٠٤ - المغني في الضعفاء : للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ . تحقيق : نور الدين عتر ، دار إحياء التراث الإسلامي - قطر .
- ١٠٥ - من فضائل سورة الإخلاص وما لقارئها ، اسم المؤلف : أبو محمد الحسن بن أبي طالب محمد بن الحسن بن علي البغدادي الخلال الوفاة : ٤٣٩هـ ، تحقيق : محمد بن رزق بن طهوني ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ ، دار النشر : مكتبة لينة - القاهرة .
- ١٠٦ - الموضوعات من الأحاديث المرفوعات ، لعبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ ، تحقيق نور الدين بن شكري ، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ ، مكتبة أضواء السلف - الرياض .

- الأحاديث النبوية الواردة بقراءة سورتي الإخلاص في الصلاة: جمع ودراسة د. أحمد بن عمر بازمول
- ١٠٧- المنتخب من مسند عبد بن حميد ، لعبد بن حميد الكشي.، تحقيق : صبحي السامرائي. الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، عالم الكتب - بيروت.
- ١٠٨- المنتخب من معجم شيوخ أبي سعد السمعاني، تحقيق : موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الطبعة الأولى عام ١٤١٧ هـ، دار عالم الكتب - الرياض .
- ١٠٩- الموضح لأوهام الجمع والتفريق : لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي . تحقيق : عبدالرحمن بن يحيى المعلمي . الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ . تصوير دار الفكر الإسلامي .
- ١١٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال : لمحمد بن أحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . تحقيق : علي محمد البجاوي . الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ . دار المعرفة - بيروت .
- ١١١- ناسخ الحديث ومنسوخه ، لأبي حفص عمر بن أحمد ابن شاهين ت ٣٨٥ هـ، تحقيق : سمير الزهيري ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ ، مكتبة المنار - الأردن.
- ١١٢- نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار ، لأبي الفضل أحمد بن ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي . الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ١٤١١ هـ . مكتبة المثني : بغداد، ومكتبة ابن تيمية : القاهرة .
- ١١٣- السوتر ، لمحمد بن نصر المروزي ، اختصار أحمد بن علي المقرئ ت ٨٤٥ هـ ، طبعة عام ١٤٠٣ هـ، عالم الكتب - بيروت .
- ١١٤- الوسيط : لأبي الحسن محمد بن أحمد الواحدي . تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وفريقهما . الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ . دار الكتب العلمية - بيروت .

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
١٥٣	الملخص
١٥٤	المقدمة
١٥٤	سبب اختيار البحث
١٥٥	تسمية البحث
١٥٥	المنهج المتبع في كتابة البحث
١٥٥	خطة البحث
١٥٩	التمهيد : ما جاء في فضل قراءتهما
١٦١	المقصد الأول : ما ورد في قراءتهما في الصلوات المفروضة
١٦١	المبحث الأول : ما جاء في قراءتهما في صلاة الفجر
١٦٢	المبحث الثاني : ما جاء في قراءتهما في صلاة المغرب
١٦٤	المقصد الثاني : ما ورد في قراءتهما في الصلوات التطوعية
١٦٤	المبحث الأول : ما جاء في قراءتهما في ركعتي الفجر
١٦٦	المبحث الثاني : ما جاء في قراءتهما في ركعتي صلاة العصر
١٦٧	المبحث الثالث : ما جاء في قراءتهما في صلاة يوم السبت
١٦٨	المبحث الرابع : ما جاء في قراءتهما في الركعتين بعد المغرب
١٦٩	المبحث الخامس : ما جاء في قراءتهما ما بين المغرب والعشاء يوم الخميس
١٧٠	المبحث السادس : ما جاء في قراءتهما في صلاة أربع ركعات بعد العشاء
١٧١	المبحث السابع : ما جاء في قراءتهما في الصلاة في جوف الليل
١٧٢	المبحث الثامن : ما جاء في قراءتهما في صلاة الوتر
١٧٦	المبحث التاسع : ما جاء في قراءتهما في الركعتين بعد الوتر
١٧٧	المبحث العاشر : ما جاء في قراءتهما في ركعتي تحية المسجد

١٧٨ المبحث الحادي عشر : ما جاء في قراءتها في صلاة الضحى
١٧٩ المبحث الثاني عشر : ما جاء في قراءتها في ركعتي الطواف
١٨٠ المبحث الثالث عشر : ما جاء في قراءتها في صلاة التوبة
	المقصد الثالث: الصلوات التي استحسنت العلماء قراءتها فيها، ولم أقف لها على
١٨٢	دليل خاص
١٨٢ المبحث الأول : قراءتها في صلاة التسييح
١٨٢ المبحث الثاني : قراءتها في ركعتي الاستخارة
١٨٣ المبحث الثالث : قراءتها في ركعتي الخروج من المنزل عند السفر
١٨٣ المبحث الرابع : صلاة الإحرام
١٨٤ المبحث الخامس : قراءتها في صلاة الحاجة
١٨٤ المبحث السادس : قراءتها في صلاة عاشوراء
١٨٤ المبحث السابع : قراءتها في صلاة الخصماء
١٨٥ المبحث الثامن : قراءتها في صلاة يوم العاشر من المحرم
١٨٥ المبحث التاسع : قراءتها في صلاة يوم الاستفتاح
١٨٥ المبحث العاشر : قراءتها في صلاة آخر جمعة من رجب
١٨٦ المبحث الحادي عشر : قراءتها في صلاة يوم التروية
١٨٧ الخاتمة : أبرز النتائج
١٩٠ المصادر والمراجع

دعاء الأنبياء في القرآن الكريم

دراسة بلاغية تحليلية

د . عبد الرحمن بن رجاء الله الجامعي السلمي *

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة الملك عبد العزيز

* من مواليد عام ١٣٩٢ هـ بالمملكة العربية السعودية.

- تخرج في كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بمدينة جدة عام ١٤١٨ هـ.
- نال شهادة الماجستير من قسم الأدب والبلاغة بكلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٢٥ هـ بأطروحته: "شعر الأسر بين أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد"، كما نال منه أيضا شهادة الدكتوراه عام ١٤٢٨ هـ بأطروحته: "خطب خلفاء بني أمية وأمراهم: خصائصها الموضوعية وسماتها الفنية".
- من كتبه ومجثه المحكمة المنشورة: "النص القرآني في منظور الدراسة الأدبية الموقف والمنهج"، "كنز الإيجاز في شرح علاقات المجاز لحسن جمال الدين الحلبي: تحقيق ودراسة"، "خطب الإملاك في التراث الأدبي القديم دراسة تحليلية".
- البريد الإلكتروني: alsulami101@hotmail.com

المخلص

يتناول هذا البحث دراسة آيات دعاء الأنبياء في القرآن الكريم دراسة بلاغية تحليلية فيها تحدث المؤلف عن مقاصد دعوات الأنبياء والمطالب التي أكدوا عليها سواءً أكانت هذه المطالب لأقوامهم أم لأنفسهم أم لأهلهم .
ثم تناول الباحث دراسة هذه الآيات دراسة بلاغية تحدث فيها عن البناء اللغوي لأدعيتهم إضافة إلى بلاغة التناسب و التشابه والتنوع .
ثم جاءت الخاتمة وفيها تناول الباحث أبرز النتائج والتوصيات .

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن أفضل ما تفنى فيه الأعمار وتصرف فيه الأوقات دراسة كتاب الله العزيز والتعمق في معرفة بعض أسراره، وكشف بعض درره التي تنوعت وتعددت بتنوع أساليبه وأحكامه.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة ذكر الله فيها جملة من دعوات الأنبياء والمرسلين، ومناجاتهم ربهم وتوسلهم إليه، وانكسارهم بين يديه، في ذلٍ وخضوع، مع كمال أدبهم مع ربهم، وذلك ليتعلم المؤمنون منهم المنهج السديد والمسلك القويم في دعاء الرب سبحانه وتعالى.

والأنبياء هم صفوة البشر، وخير الخلق، وفي أخبارهم وقصصهم عبر وعظات في مقام التوحيد والعبودية، وفي مقام الدعوة لله، والثبات عند المحن والشدائد، وفي مقام الصدق والصبر، والثقة بنصر الله، فدراسة سيرهم تفتح في النفس منافذ الإلهام؛ فنأخذ عنهم ونتعلم على أيديهم، ونثبت معهم في رحلتهم إلى الله، إضافة إلى ما في ذلك كله من تسلية المؤمنين وتثبيتهم؛ ومن هنا عنيت في هذا البحث بدراسة أدعيتهم التي كانت حاضرة في جميع مواقفهم.

ولأهمية دعاء الأنبياء الوارد في القرآن الكريم وعظم مكانته، ولإياني بأثر المنهج البلاغي في الكشف عن المعاني والإقناع بها، ولأهمية الكشف عما في الأساليب البليغة من أسرار ومزايا بلاغية، والتي يأتي في مقدمتها وذروتها القرآن الكريم، أحببت أن أجعل من آيات دعاء الأنبياء في القرآن موضوعاً للدراسة والبحث، وذلك لمعرفة الإعجاز البياني لهذه الآيات، ومحاولاً تدبر الآيات الكريمة

وتجلية مسائل البلاغة فيها والكشف عن أسرارها البيانية، وآيات دعاء الأنبياء - عليهم السلام - كغيرها من آيات القرآن الكريم زاخرة بالإعجاز غنية بالبيان، ولن يستطيع أحد مهما أوتي من قدرة أن يحيط بكل أسرارها ومعانيها.

وقد قيل: « لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودع الله في كتابه، لأنه كلام الله، وكلامه صفته، وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه... وإنما يفهم كلُّ بمقدار ما يفتح الله على قلبه، وكلام الله غير مخلوق، ولا يبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة »^(١).

إطار البحث :

جعلت من آيات دعاء الأنبياء في القرآن الكريم موضوعاً لهذا البحث، اجتهدت من خلالها في توظيف مسائل البلاغة وفنونها، لفهم هذه الآيات وتدووقها وتجلية مظاهر الإعجاز فيها، مما يسهم في إثراء الأبحاث التطبيقية المتعلقة بالقرآن الكريم.

منهج البحث :

سأقوم بدراسة دعاء الأنبياء الوارد في القرآن الكريم من خلال المنهج البلاغي التحليلي، الذي يدرس النص القرآني من خلال سياقه ومفرداته وتراكيبه، مع إبراز القضايا البلاغية في مواضعها، ومن خلال سياقها بحسب الموضوعات الواردة في خطة البحث، وقد استعنت في البحث بكتب التفسير وبخاصة تلك التي عنت بالجوانب البلاغية التطبيقية، بالإضافة إلى جملة من المصادر والمراجع البلاغية، واللغوية، والأدبية المثبتة في آخر البحث.

(١) تفسير البسيط - الواحدي، ٣٤ / ١، وهذا النص ينسب إلى سهل بن عبد الله التستري رحمته الله.

خطة البحث :

جعلت هذا البحث في مقدمة وتمهيد وفصلين، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيّنت أهمية الموضوع وإطاره، ومنهجه، وخطته .

التمهيد : وفيه تناولت :

- مفهوم الدعاء واستعمالاته اللغوية وأنواعه.

- منزلة دعاء الأنبياء في القرآن الكريم.

الفصل الأول : مقاصد دعاء الأنبياء، وفيه مبحثان:

المبحث الأول : ما يتعلق بأقوامهم وأممهم وفيه مطلبان:

المطلب الأول : الدعاء لأقوامهم وأممهم بالهداية والخير.

المطلب الثاني : الدعاء على أقوامهم بالهلاك والعذاب.

المبحث الثاني : ما يتعلق بأنفسهم وأهليهم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : ما يتعلق بالذات.

المطلب الثاني : ما يتعلق بالأهل.

الفصل الثاني : الخصائص البلاغية لدعاء الأنبياء في القرآن، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : بناء لغة دعاء الأنبياء.

المبحث الثاني : بلاغة التناسب في دعاء الأنبياء.

المبحث الثالث : أسرار التشابه والتنوع في دعاء الأنبياء.

الخاتمة : وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

الفهرس .

التمهيد

أولاً : مفهوم الدعاء واستعمالاته اللغوية
الدعاء في اللغة: مأخوذ من مادة (دعو) التي تدلّ في الأصل على «إمالة الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك»^(١).
وهو مصدر لفعل دعا يدعو دعواً ودعاءً^(٢).
يقال: دعا الرجل دعواً ودعاءً: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلاناً أي صحت به واستدعيته^(٣).

وقد ورد الدعاء في اللغة بعدة معانٍ منها:

- ١ - العبادة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦].
- ٢ - الاستغاثة كما في قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]. أي استغيثوا بأهتكم^(٤).
- ٣ - التوحيد كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]. أي: يقول: لا إله إلا الله ويدعوه^(٥).
- ٤ - السؤال والطلب كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. أي: سألتني وطلبني.
- ٥ - النداء ومنه قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ [القمر: ١٠]. قال

(١) معجم مقاييس اللغة / ٢٧٩ .

(٢) جمهرة اللغة - ابن دريد، ٢/ ٢٨٣ .

(٣) لسان العرب ، ١٤ / ٢٥٧ مادة (دعا) .

(٤) ينظر : معاني القرآن - الفراء ١ / ١٩ .

(٥) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٢٣ / ٦٦٨ . وينظر : الدر المشور، للسيوطي، ٨ / ٣٠٨ .

الراغب: « الدعاء كالنداء، إلا أن النداء قد يقال بـ"ياء" أو "أيا"، ونحو ذلك من أدوات النداء من غير أن يضم إليه الاسم، أما الدعاء فلا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم، نحو: يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر»^(١).

وأما الدعاء في الاصطلاح فهو: التضرع إلى الله والافتقار إليه بالسؤال والطلب؛ لتحقيق المطلوب أو دفع المكروه بصيغة طلبية أو خبرية^(٢).

ثانياً: أنواع الدعاء :

ينقسم الدعاء باعتبار معناه إلى قسمين: دعاء العبادة والثناء، ودعاء الطلب والمسألة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة»^(٣).

وكلٌّ من نوعي الدعاء متلازمان؛ لأن الله - تعالى - يدعى للنعمة والضرر- دعاء المسألة، ويدعى خوفاً ورجاءً دعاء عبادة، فعلم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة، مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة^(٤). والمتأمل في منهج القرآن في عرض آيات الدعاء يلحظ مجيء دعاء الثناء تارة بين يدي دعاء المسألة وتارة في ثنايا دعاء المسألة وتارة ينفرد أحدهما عن الآخر.

وأما باعتبار صيغته فينقسم إلى نوعين :

١ - صيغة الطلب: وهي إنشاء الدعاء بصيغة (افعل) أو (لا تفعل)، كدعاء

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٥/١٩، وينظر: فتح الباري لابن حجر: ٩٥/١١.

ولسان العرب لابن منظور (دعو): ١٤/٢٥٧.

(٣) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٠/٢٣٧.

(٤) ينظر: بدائع الفوائد، لابن القيم ٣/٥١٤.

موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلَاخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥١]، وكقول زكريا عليه السلام: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

٢- صيغة الخبر: وهي أن يتضمن الدعاء ثناء ووصفاً لحال المسؤول، أو وصفاً لحال الداعي أو الأمرين معاً.

فأمّا وصف حال المسؤول فذلك كدعاء آدم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣]. فهذا ليس بصيغة طلب، وإنما هو إخبار عن الله - تعالى - أنه إن لم يغفر له ويرحمه فسيكون من الخاسرين. وأمّا وصف حال الداعي فذلك كقول موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤].

وأمّا وصف الحالين معاً فذلك كقول أيوب عليه السلام: ﴿ أَيُّ مَسْكِينٍ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. فوصف نفسه وحاله بما يوجب الإجابة، ووصف ربه بكمال الرحمة، وهذا أدعى للقبول والظفر بالمطلوب.

منزلة دعاء الأنبياء في القرآن الكريم :

في القرآن الكريم آيات كثيرة ذكر الله تعالى فيها جملة من أدعية الأنبياء، ومناجاتهم ربهم، وتوسلهم إليه، وانكسارهم بين يديه، في ذل وخضوع ومحبة وإجلال، مع كمال أدبهم وحسن توسلهم لربهم؛ ليتعلم المؤمنون منهم حسن الصلة بالله وكمال الإقبال عليه، وأدب الدعاء والمناجاة لله تبارك وتعالى.

وقد أمر الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين باتباع سنتهم، ولزوم نهجهم والتأسي بهم؛ فقال سبحانه وتعالى بعد أن ذكر طرفاً من أخبارهم، وأوصافهم العظيمة ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أُمَّتُهُمْ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وأنبياء الله الكرام هم صفوة الخلق، وفي أخبارهم وقصصهم دروس وعظات في

مقام تحقيق التوحيد والعبودية لله، وفي مقام الدعوة إلى دينه، والثبات عند المحن والشدائد، وفي مقام التوكل عليه، وتفويض الأمر إليه، وما في ذلك كله من تسلية المؤمنين وتثبيتهم، وتوجيههم للاقتداء بهم، ولهذا قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

وقد وصف الله أنبياءه وصفوة خلقه بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْأَخْيَارِ وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وهذه الآية الكريمة تصف حالهم وهم يدعون ربهم في جميع أحوالهم متذللين خاضعين. وقد فصل الله لنا جملة من تلك الدعوات التي تبرز جانباً من ابتهالاتهم لربهم سبحانه وتعالى، وطمعهم في فضله، ورحمته وفزعهم إليه في جميع أحوالهم، وذكر تعالى إجابته لدعواتهم، وتحقيقه لرغباتهم وتيسيره لأموالهم.

وقد ألهم الله تبارك وتعالى أنبياءه الكرام الدعاء والطلب، وعلمهم كيف يلتجئون إليه، وكيف يثنون عليه ثناء يليق بجلاله وعظيم سلطانه. ف«لقصورهم وعجزهم تولى الله الوكيل على كل شيء الإنباء عنهم بما كان يجب عليهم مما لا يبلغ إليه وسع خلقه، وجعل تلاوتهم لما أنبأ به على ألسنتهم نازلاً لهم منزلة أن لو كان ذلك النطق ظاهراً منهم لطفاً بهم، وإتماماً للنعمة عليهم؛ لأنه تعالى لو وكلهم في ذلك إلى أنفسهم لم يأتوا بشيء تصلح به أحوالهم في دينهم ودنياهم، ولذلك لا يستطيعون شكر هذه النعمة إلا أن يتولى هو تعالى بما يلقنهم من كلامه مما يكون أداء لحق فضله عليهم»^(١).

وقد خصَّ الله - سبحانه وتعالى - نبينا الكريم محمدًا ﷺ من بين سائر الأنبياء

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ١٧/١.

بأن أرشده، وعلمه أدعية مخصوصة، وأمره أن يدعو بها، وجعل ذلك الدعاء المأمور به نازلاً منه منزلة أن لو كان ذلك النطق ظاهراً منه إكراماً له، وإتماماً للنعمة عليه.

وقد جاءت دعوات نبينا محمد ﷺ مصدرة بأمر الله تبارك وتعالى له كقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٠]، وقوله: ﴿ قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تَرَبَّيْتَنِي مَا يُوعَدُونَ ﴾ [١٣] رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٩٣-٩٤]، وقوله: ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَأَرْحَمَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١١٨]، وقوله: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١٤].

وعندما اشتد إعراض المشركين وتكذيبهم للنبي ﷺ أرشده ربُّه أن يدعو بهذا الدعاء: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٩].

وأمره أن يدعو بتفويض الأمر إليه بعد إصرار المشركين على الكفر والجحود، فأرشده إلى أن يقول: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَدِلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ٤٦].

ولا نكاد نجد قصة من قصص الأنبياء -عليهم السلام- إلا وفيها دعاء وابتهاج، وهذا يدل على أن الدعاء يعدّ أحد أهم المعاني الكبرى في حياتهم، وأنه مكوّن أساسي من مكونات رسالتهم، وكاشفٌ -في الوقت ذاته- عن جوانب مهمة في شخصياتهم الموصولة بالله ﷻ، وعن العناية الربانية التي رافقتهم وقادتهم إلى النصر والنجاة.

ولهذه الأهمية والمكانة -الظاهرة- عني السلف الصالح، وعلماء الأمة يربط الناس بأدعية الأنبياء -عليهم السلام- وما ورد في القرآن الكريم؛ لما في ذلك من

كمال الاقتداء والتأسي بهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وَيَنْبَغِي لِلْخَلْقِ أَنْ يَدْعُوا بِالْأَدْعِيَةِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا رَيْبَ فِي فَضْلِهِ وَحُسْنِهِ وَأَنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا»^(١).

ودعوات الأنبياء الواردة في القرآن الكريم من أعظم الأدعية وأجمعها، فلا ينبغي لأحد العدول عنها إلى غيرها؛ ولهذا قال القرطبي رحمته الله: «فعلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَعْمَلَ مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ مِنَ الدُّعَاءِ وَيَدْعَ مَا سِوَاهُ، وَلَا يَقُولَ أَخْتَارُ كَذَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اخْتَارَ لِنَبِيِّهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَعَلِمَهُمْ كَيْفَ يَدْعُونَ»^(٢). ومن لزم الدعاء المأثور الوارد في كتاب الله فقد جاء بأصح المعاني، وأسمى المقاصد، وسلم من الخطأ والزلل.

وذلك لأن الله - تبارك وتعالى - «عَلَّمَ الدُّعَاءَ فِي كِتَابِهِ لِخَلْقِهِ، وَعَلَّمَ النَّبِيَّ صلوات الله عليه الدُّعَاءَ لِأُمَّتِهِ، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأمة»^(٣).

كما أن المتدبر لمجموع دعواتهم يجد نفسه أمام فقه عظيم، وأدب جم وأسلوب بياني رفيع، يتميز بخصائص فريدة عالية في بلاغته وفصاحته، مع سمو غاياته وشريف مقاصده.



(١) مجموع الفتاوى : ٣٤٦ / ١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ٢٣١ / ٤.

(٣) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، لمحمد بن علان المكي : ١٧ / ١.

الفصل الأول

مقاصد دعاء الأنبياء

المبحث الأول : ما يتعلق بأقوامهم وأممهم

المطلب الأول : الدعاء لأقوامهم وأممهم بالهداية والخير

الذي يتأمل دعاء الأنبياء لأقوامهم سواء بطلب الهداية التي تتعلق بالدين والإيمان بالله وحده، أو بطلب الأرزاق والخيرات التي تتعلق بأمر المعاش والحياة الدنيا يجد أن ذلك جاء من سيدنا إبراهيم وسيدنا عيسى - عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- وهو عند كل منهما يختلف منه عند الآخر.

فدعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام تكرر في موضعين، بينما دعاء عيسى عليه السلام جاء في موضع واحد، كما أن دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام أكثر وأشمل.

أمَّا بالنسبة لدعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام فنجد أنه جاء في سورة البقرة، وفي سورة إبراهيم، وفي هذين الموضعين اختلفت مطالبه لأتمته ومن تبعه من المؤمنين. والمتأمل في هذين الدعاءين يلتمس التنوع البديع الذي تصرف حسب السياق والموضوع، فالدعاء في سورة البقرة جاء في سياق ما امتنَّ الله به من جعل الكعبة مثابة للناس وأمناً، وقد أخبر الله - سبحانه وتعالى - ذلك بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦].

ففي هذه الآية بدأ إبراهيم عليه السلام الدعاء لأتمته بنداء الرب عز وجل: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ وذلك بحذف حرف النداء (يا)، والأصل (يا رب)، وإنما قدّرت (يا) دون غيرها؛ لأنها «تختص دون سواها بأنها هي وحدها التي يجوز حذفها مع

المنادى، عندما لا يكون هناك مانع من الحذف^(١). وهذه الأداة وضعت أصلاً لنداء البعيد، والله تبارك وتعالى قريب من خلقه فكيف ينادى بأداة النداء الخاصة بالبعيد؟

وجواب ذلك أن يقال: إنَّ في هذا إشارة إلى بُعد منزلته سبحانه ورفعة مكانته فينزل بعد منزلته منزلة بعد مكانه^(٢).

والحكمة من حذف حرف النداء الدلالة على التعظيم، والتنزيه واستشعار الداعي قرب المنادى؛ لأنَّ النداء يتشرب معنى الأمر، فإذا حذفت منه أداة النداء زال معنى الأمر وتمخض للتعظيم والإجلال^(٣). وربما نلمس أن للحذف دلالة نفسية في نفس البليغ، وهو استشعاره «أنَّ المنادى في أقرب منازل القرب من المنادي حتى لم يحتج إلى ذكر أداة نداء له لشدة قربيه، وهذا يليق بمقام دعاء الرب جل وعلا»^(٤).

و﴿رَبِّ﴾ منادى أصله: (رَبِّي) فحذفت منه ياء المتكلم تخفيفاً، وهو كثير في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، وعوض عن ياء المتكلم بالكسرة^(٥)، ولعلَّ السرَّ في ذلك أن كلمة (رَبِّ) من أكثر الكلمات استعمالاً في الدعاء فروعيَّ فيها الخفة مما يجعلها أطوع في اللسان، وأسهل في النطق^(٦). وإيثار لفظ الرَّبِّ على غيره من أسماء الله الحسنى ومنها لفظ الجلالة (الله) في الدعاء؛ «لما في ذلك من

(١) النداء في اللغة والقرآن، أحمد محمد فارس: ص ٨٠.

(٢) المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، ص ١٩٠.

(٣) من أسرار التعبير في القرآن (حروف القرآن)، عبد الفتاح لاشين، ص ١٧٧.

(٤) البلاغة العربية، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ١/٢٤٢.

(٥) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش، ١١/٢.

(٦) خصائص التعبير القرآني، عبد العظيم المطعني: ٨/٢.

تلطف السؤال والنداء بالوصف الدال على قبول السائل، وإجابة ضراعتة^(١).
ولأنَّ إجابة الدعاء من مقتضى الربوبية والإقرار بتفرد الله بإجابة الدعاء من توحيده في ربوبيته ذلك أن «الإله هو المعبود الذي يستحقُّ أن يعبد، والرب هو الذي يربُّ عبده فيدبره؛ ولهذا كانت العبادة متعلقة باسمه: (الله)، والسؤال متعلقاً باسم الرَّبِّ»^(٢).

وتتكبير ﴿بَلَدًا﴾ في هذا الموضع لبيان المبالغة والتعظيم أي: اجعله من البلدان الكاملة في الأمن، و﴿ءَامِنًا﴾ اسم فاعل أي: ذا أمن كامل، كقوله: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١][الفارعة: ٧]. وعليه يكون الإسناد مجازاً عقلياً حيث نسب الأمن إلى الحرم وهو لأهله، وعلاقته المفعولية، ويمكن أن يكون المراد «آمناً مَنْ فِيهِ» أي: يأمن من فيه من الخوف والرعب كقولهم: «ليل نائم» فيكون الإسناد - أيضاً - مجازاً عقلياً وعلاقته حينئذ المكانية^(٣).

ولما دعا الخليل عليه السلام، بطلب الأمن أتبع ذلك بطلب الرزق فقال: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ، مِنْ الثَّمَرَاتِ﴾ وإنما دعا الله أن يرزق أهل مكة من الثمرات؛ لأن مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر ولا ماء، ورزق أهل البلد من الثمرات ظاهر معلوم، فالثمرات تجنى وتجيى إليه من كل مكان.

وقد خصَّ الخليل المؤمنين بدعائه فقال: ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وذلك «إظهار لشرف الإيمان وإبانة لخطره واهتمام بشأن أهله»^(٤). والاسم الموصول ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من ﴿أَهْلَهُ﴾ في قوله: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ، مِنْ﴾

(١) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي ١/ ٥٥٤.

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): ٥/ ٢٥٣.

(٣) ينظر: الكشف، للزمخشري: ١/ ٢١٢.

(٤) تفسير أبي السعود: ١/ ١٥٩.

أَثَرَتْ ﴿﴾، وهذا بدل بعض من كل، أو بدل اشتغال مخصص لما دلَّ عليه المبدل منه وفائدته: «أن يصير مذكوراً مرتين، إحداهما بالعموم السابق في لفظ المبدل منه، والثانية بالتنصيص عليه، ويتبين أنَّ المبدل منه إنَّما عني به وأريد البديل فصار مجازاً إذا أريد بالعام الخاص»^(١). والتنصيص هنا احتراز حسن من الخليل عليه السلام وذلك لأنه سبق أن دعا ربَّه أن يجعل من ذريته أئمة للناس دون أن يخص المؤمنين، فكان جواب الله تعالى له أنه لا يعطي هذا العهد من الإمامة والنبوة للظالمين كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. فكان من المناسب أن يحترز الخليل عليه السلام بعد هذا الجواب عندما دعا ربَّه أن يرزق أهل بيته الحرام من الثمرات، فخصَّ المؤمنين بدعائه دون غيرهم مبدلاً لإياهم من لفظ (أهل) الدال على العموم تبعاً لردِّ الله عليه في الموضوع الأول، ولكن الأمر كان مختلفاً في الموضوعين. ففي الموضوع الأول يتعلق الطلب بأمر النبوة، والهداية، وهما أمران لا يناهما إلا من اصطفاه الله من عباده المؤمنين، فوجب التنصيص. وأمَّا الطلب الثاني فهو يتعلق بالرزق، وهو أمر كفله الله لجميع خلقه فكان من المناسب في هذا الموضوع أن ينبِّه الله تعالى نبيَّه عليه السلام إلى أن رزقه شامل للجميع فقال: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾^(٢).

ونلاحظ أن دعاء الخليل عليه السلام في هذه الآية يتعلق بأمرين عظيمين في حياة الناس هما: الأمن والرزق، وتقديم الدعاء بطلب الأمن من باب تقديم ما هو أوَّلَى، وقد كان من عادة العرب الفصحاء «إذا أخبرت عن أمرٍ ما، وأناطت به حكماً، وقد يشركه غيره في ذلك الحكم أو فيما أخبر به عنه، وقد عطف أحدهما على

(١) البحر المحيط، ١/٥٥٥.

(٢) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي، ٣/١٣٤.

الآخر بالواو المقتضية عدم الترتيب فإنهم - مع ذلك - إنما يبدؤون بالأهم والأولى»^(١).

وفائدة تقديم الأمن على الرزق ظاهر؛ لأن الإنسان إذا عاش في بلد مطمئن آمن أعانه ذلك على المحافظة على دينه وعبادة ربه وإصلاح أمور معاشه دون خوف من أحد في حين إذا انتفى الأمن «لم يفرغ الإنسان إلى شيء آخر من أمور الدين والدنيا»^(٢).

ولما دعا الخليل ربه بالأمن ملكة والرزق لأهلها وأن يجعل من ذريته أمة مسلمة ختم الدعاء بما فيه سعادة أمته في الدنيا والآخرة بأن يبعث فيهم رسولا منهم فشمّل دعاؤه لهم بالأمن والرزق والهداية فقال: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]. والدعاء بلفظ ﴿رَبَّنَا﴾ خاصة على سبيل الاستعطاف؛ طلباً لرحمة الله ورعايته، وتكراره هنا بعد وروده سابقاً بدون حرف النداء للمبالغة في تصوير قرب المنادى ﴿رَبِّ﴾ الذي فيه معاني التربية والعناية، واللفظ، واستحضار هذه المعاني في قلب الداعي يجعله أكثر قرباً من ربه.

وإيثار الفعل (ابعث) على ما سواه فيه دقة لا نعهد مثلها إلا في القرآن الكريم، فالفعل (ابعث) إضافة إلى دلالاته على معنى الإرسال نجده يحمل معاني الإثارة والإيقاظ. وكل شيء بعثته فقد أثرته، والبعث من الله الإحياء^(٣). وهذه المعاني

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٣/ ٢٣٥.

(٢) فتح القدير، للشوكاني، ٣/ ١٦٠.

(٣) ينظر: لسان العرب، ٢/ ١١٦ مادة (بعث).

تتوافق ومهمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقد فصل سيدنا إبراهيم عليه السلام ما يأتي به الرسول من خير لمن أرسل إليهم بقوله: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] وكل هذه الأمور فيها من الخير الكثير الذي يستحقونه معه رحمة الله تعالى ولطفه بهم.

وأما دعاء الخليل عليه السلام في سورة إبراهيم فجاء في سياق بيان دلائل القدرة الدالة على وحدانية الله تعالى والامتنان بنعم الله على عباده، وقد استهل هذا الدعاء بقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٣٥) رَبِّ إِنِّي أَضَلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦].

والابتداء في هذا الدعاء بطلب الأمن لأمته يدل على أهميته بالنسبة إلى غيره من النعم كما سبق بيان ذلك، وقد قرن الخليل إلى جانب ذلك أمراً في غاية الأهمية لأمته وهو تحقيق العبودية لله تعالى، والبعد عن عبادة الأصنام، فقال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، والمراد بينيه: أبناء صلبه، وقيل: جميع نسله تعميماً للخير فاستجيب له في بعضهم^(١)، ويؤكد الخليل في هذا الدعاء على نعمة الهداية وأن يخرج القلب من ظلمات الشرك وجهالاته، إلى نور الإيمان بالله وتوحيده، فيخرج من التيه والحيرة والضلال، إلى الطمأنينة والاستقرار والهداية.

وفي إسناد الإضلال إلى الأصنام مجاز فقد «أسند الإضلال إلى الأصنام مع كونها جمادات لا تعقل؛ لأنها سبب إضلالهم فكأنها أضلتهم»^(٢)، وهو مجاز عقلي علاقته

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢٣٨/١٣.

(٢) فتح القدير: ١٦٠/٣.

السببية، وفي ذلك إشارة إلى قوة السبب في إضلال الناس وتغيير معتقداتهم. وتقييد الإضلال بـ ﴿كثيراً﴾ التي جاءت نكرة تدلّ على العموم يشعروننا بكثرة الناس الذين أضلتهم الأصنام إضافة إلى أنها تدلّ على وجود عدد قليل من الناس الذين كانوا في منأى وسلامة من إضلال الأصنام.

ويتوالى دعاء الخليل عليه السلام فيقسم أمته بعد ذلك إلى قسمين فيقول: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ، ف(من) في قوله ﴿مَنِّي﴾ يحتمل أن تكون للتبعيض فيكون ذلك على التشبيه والمعنى: فمن تبعني، وكان حنيفاً مسلماً ﴿فإنه﴾ مَنِّي أي: هو بعضي «لفرط اختصاصه بي وملاسته لي»^(١)، وجمال التشبيه هنا يكمن في كون التابع بعضاً من متبوعه لفرط اختصاصه به.

ويحتمل أن تكون اتصالية، أي فإنه متصل بي لا ينفك عني في أمر الدين وتسميتها اتصالية؛ لأنه يفهم منها اتصال شيء بمجرورها^(٢).

والتأكيد في قوله: ﴿فإنه﴾ يبين عظم رغبة الخليل عليه السلام في تبعية أمته له يوم القيامة، وهذا الأسلوب وإن أفاد الإخبار فإنَّ القصد منه الدعاء لأُمَّته بتبعيتهم له في الآخرة.

ونلاحظ جمال التعبير في الطباق المعنوي بين ﴿تَبِعَنِي﴾ و﴿عَصَانِي﴾ فالاتباع طاعة وعدم الاتباع معصية مما ساهم في إبراز المعنى في أجلى صورة وأوضح بيان، فالضد يظهر حسنه الضدّ ويجعل صورته حاضرة في الذهن. وقدم ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي﴾ على ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾؛ لأنّ هذا هو الأهمّ بالنسبة لسيدنا إبراهيم عليه السلام، وهذا ما يريده

(١) الكشاف: ٥٢٤/٢.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود، ٥١/٥.

وتتعلق به نفسه، بخلاف المعصية فهي مكروهة عنده مؤخره في نفسه، فلذا أخرها في اللفظ، حتى يتلاءم ترتيب الكلام مع ما في الجنان.

ومن دعوات الأنبياء لأمتهم وأقوامهم، ما جاء على لسان عيسى عليه السلام في قول الله - تبارك وتعالى - : ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [المائدة: ١١٤].

وهذا الدعاء جاء بناءً على طلب الحواريين من عيسى عليه السلام كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [المائدة: ١١٢].

وكان هذا السؤال منهم في ابتداء أمرهم قبل استحكام إيمانهم ومعرفتهم بالله^(١).

ولما كان سؤال الآيات منافياً لأدب الانقياد والإذعان لأمر الله المطلق وعظهم عيسى عليه السلام بقوله: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢] فأخبروه أن مقصودهم من سؤال المائدة الأكل منها وزيادة الإيمان واليقين بصدق ما جاء به حين يرونها أمامهم فيكون إيمانهم عن اليقين؛ ف«تطمئن قلوبهم بسكون الفكر إذا عاينوا هذا المعجز العظيم النازل من السماء»^(٢).

فلما اطمأن عيسى عليه السلام إلى مقصودهم دعا الله - تبارك وتعالى - لقومه بأن ينزل عليهم هذه المائدة فيكون وقت نزولها عيداً وموسماً يتذكرون فيه قدرة الله تعالى، ثم سأل ربّه الرزق له ولقومه، فكان دعاء عيسى عليه السلام بنزول المائدة على قومه لهاتين المصلحتين « مصلحة الدين بأن تكون آية باقية، ومصلحة الدنيا

(١) تفسير القرطبي: ٦ / ٣٦٤.

(٢) البحر المحيط، ٤ / ٥٩.

وهي أن تكون رزقاً^(١).

وفي هذه الآية استهل عيسى عليه السلام دعاءه لقومه بنداء الرب بقوله: ﴿اللَّهُمَّ﴾ وهي في الأصل «يا الله» فلما كثر النداء بها حذف منها حرف النداء الياء، ثم عوض عنه بالميم^(٢).

ونستشعر في ابتداء الدعاء بـ ﴿اللَّهُمَّ﴾ نوعاً من الإجلال لا توجد في لفظ «يا الله» وكان هذا اللفظ تتهياً به نفس المؤمن لمناجاة الله في خشوع وتبتل وكمال ثقة في أنه سبحانه قريب من عبده إذا دعاه.

و ﴿رَبَّنَا﴾ نداء ثانٍ، وقد جمع عيسى عليه السلام بين النداء باسم الذات الجامع لصفات الجلال ﴿اللَّهُمَّ﴾ والنداء بوصف الربوبية له وللحواريين ﴿رَبَّنَا﴾، وذلك استعطاف يوحى بتدلل العبد لخالفه، والتأكيد على إظهار الرغبة الملحة في إجابة الدعاء.

وتقديم شبه الجملة ﴿عَلَيْنَا﴾ على قوله: ﴿مَا يَدَّءُ مِنَ السَّمَاءِ﴾؛ لإفادة التخصيص والقصر أي: أنزل علينا لا على غيرنا، كما أن في هذا التقديم تشويقاً إلى المؤخر الذي حقه التقديم؛ لأنه إذا أخرج تبقى النفس مرتقبة إيراده، ومتشوقة إلى معرفته.

وقوله: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ أي: يكون يوم نزولها عيداً بأن يجعلوا اليوم الموافق يوم نزولها من كل سنة عيداً، فإسناد العيد للمائدة إسناد مجازي، وإنما العيد اليوم الموافق ليوم نزولها^(٣)، وإنما أسند ذلك إلى المائدة لأن شرف اليوم مستعار من شرفها^(٤).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: ٢٤٩.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢/٢٤٢.

(٣) التحرير والتنوير: ١٠٨/٧.

(٤) تفسير أبي السعود: ٩٨/٣.

وتقديم الجار والمجرور ﴿لَنَا﴾ على ﴿عِيدًا﴾ يفيد معنى القصر والاختصاص أيضاً، وقوله: ﴿لَاؤَلَيْنَا وَءَاخِرِنَا﴾ بدل من قوله: ﴿لَنَا﴾ وقد أفاد تأكيد الإحاطة والشمول.

واختيار عيسى عليه السلام يوم نزول المائدة ليكون عيداً لأمته، فيه إشارة إلى «ابتهاج الروح بالنعمة لا من حيث إنها نعمة بل من حيث إنها صادرة عن المنعم»^(١). وقد استعير لفظ العيد للسرور وأدخل المشبه في المشبه به حتى صار من جنسه وأصبح يعبر عن الفرح والابتهاج بالعيد «والاستعارة أبلغ؛ لأن العادة جرت في الأعياد بتوفير السرور عند الصغير والكبير، فتضمن من معنى السرور ما لا تتضمنه الحقيقة»^(٢)، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

وفي قوله: ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ نلمس إيثار عيسى عليه السلام للفعل ﴿ارزقنا﴾ دون سواه من مثل «أعطنا» أو «امنحنا»؛ وذلك لأن الرزق عطاء الله سبحانه والحلال الذي يجري على الإدراج^(٣)، وهو نوعان: ظاهر للأبدان كالأقوات ونحوه، وباطن للقلوب والنفوس كالإيمان والمعارف والعلوم^(٤).

وقد ختم الدعاء بما يؤكد مضمون طلبه فقال: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، وهذا الختام تذييل جار مجرى التعليل أي: أنت خير من يرزق لأنك خالق الأرزاق ومعطيها بلا عوض. ويبرز هذا التأكيد من خلال ضمير الفصل ﴿أَنْتَ﴾ والقصر المستفاد من خير الرازقين، إضافة إلى صيغة التفضيل في ﴿خَيْرُ﴾ والمبالغة المستوحاة من دخول (أل) في قوله: ﴿الرَّازِقِينَ﴾.

(١) مفاتيح الغيب، للرازي، ١٠٩/١٢. وينظر البحر المحيط: ٦١/٤.

(٢) الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري: ص ٢٦٨.

(٣) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري ص ١٦٠.

(٤) ينظر: لسان العرب، ١٠/١١٥، مادة (رزق).

وفي هذا الختام ما يسمى بـ «التصدير» أو «ردّ العجز على الصدر» وهو في النشر: «أن تجعل أحد اللفظين المكررين المتفقين في اللفظ والمعنى، أو المتجانسين وهما المتشابهان في اللفظ دون المعنى، أو الملحقين المتجانسين وهما اللفظان اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبهه، في أول الفقرة واللفظ الآخر في آخرها»^(١).
والتوافق هنا بين الفعل ﴿ارزقنا﴾ ولفظ ﴿الرزقين﴾ أضفى على جوّ الدعاء رقة وعضوبة، وأكد حاجة عيسى عليه السلام، إلى كرم الله تعالى وإجابة دعائه.

المطلب الثاني: الدعاء على أقوامهم بالهلاك والعذاب

لئن كان في دعاء الأنبياء السابق رقة وعضوبة، ففي بعض أدعيتهم على أقوامهم قوّة وشدة يقتضيها المقام ويستدعيها الصراع بين أهل الإيمان وأهل الكفر والعناد. ومن تلك الأدعية دعاء نوح عليه السلام على قومه، فبعد أن تلقى قومه دعوته بالكفر والإعراض، دعا عليهم بالهلاك والعذاب.

وقد قصّ الله سبحانه ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهِمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خُسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نُرِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا حَطَبْتُمْ لَهُمْ أُغْرُفًا فَأَدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيًّا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَّهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فٰجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ [نوح: ٢١-٢٧].

وهذا الموقف من نوح عليه السلام لا يمثل موقفه العام من قومه، فموقفه منهم الإشفاق عليهم، وحرصه الشديد على هدايتهم بسلوك جميع أنواع الطرق، وشتى

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم، ٩٤/٣.

الوسائل، فقد مكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهم يتنادون في غيهم ويزدادون في كفرهم، وقد صور نوح ذلك الجهد وتلك المعاناة في قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۚ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۖ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۗ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۚ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۚ ﴾ [نوح: ٥-٩].

ولمَّا يئس من إيمانهم، وضاق بهم ذرعاً، وأوحى الله إليه: ﴿ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ أَمَنَ ﴾ [هود: ٣٦]، دعا عليهم بالهلاك والعذاب.

استهل نوح ﷺ دعاءه بقوله: ﴿ رَبِّ إِنَّمْ عَصَوْنِي ﴾ وفي هذه البداية نلاحظ أنه بدأ بمناجاة الله بلفظ ﴿ رَبِّ ﴾ المشعر بالقرب؛ والغرض من ذلك إظهار «الشكاية وإيداء العجز واليأس منهم وطلب النصرة عليهم»^(١).

وأكد ذلك بحرف التوكيد (إِنَّ) والضمير (هم)، وليس الغرض منه إخبار الله تعالى بأنهم عصوه لعلمه ﷺ أن الله عالم بذلك مطلع على أحوالهم، وكان مقتضى الظاهر أن يلقي الخبر غير مؤكد، ولكنه ساقه بهذا التأكيد إخراجاً للخبر عن مقتضى الظاهر.

وتأمل جمال الطباق بين ﴿ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا ﴾ وهو تعبير مشرق من وجوه النظم القرآني المؤثر في النفس يصور حالة نوح ﷺ ومعاناته مع قومه.

وفي قوله: ﴿ لَا نَذْرُنَّ الْهَتَكُمْ وَلَا نَذْرُنَّ وَدًّا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾، والإطناب: «زيادة اللفظ على المعنى لفائدة»^(٢)، حيث عطف بالخاص على العام، فالأصنام المخصوصة بالذكر داخله في ﴿ لَا نَذْرُنَّ الْهَتَكُمْ ﴾ وبذلك تكون الأصنام

(١) روح المعاني للألوسي، ٢٩/ ٧٨.

(٢) المثل السائر لابن الأثير: ٢/ ١٢٠. وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني: ١/ ١٨٦.

قد ذكرت مرتين، مرة تحت العام، وأخرى على جهة الخصوص، والغرض من ذلك إظهار مكانة هذه الأصنام، وعظيم شأنها في قلوب قوم نوح.

ومن أسلوب هذا الدعاء البليغ العدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله: ﴿وَلَا نُرِدُّ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ بعطفه على قوله: ﴿رَبِّ إِيْتَهُمْ عَصَوْنِي﴾ فكان مقتضى الظاهر التعبير عنهم بالضمير، فعدل عن الإضمار إلى الإظهار، وسرَّ العدول إلى الإظهار «إشعار باستحقاقهم الدعاء عليهم وإبداء لعذره ﷺ وتحذير ولطف لغيرهم»^(١).

وربما أشكل على بعض البلاغيين هذا العطف؛ لأنه من عطف الإنشاء على الخبر وهو محذور في قواعد البلاغيين، ولا يجوز العمل به، ولكن المتأمل يلحظ أن جملة ﴿رَبِّ إِيْتَهُمْ عَصَوْنِي﴾ ليس المقصود بها الإخبار بل الشكاية والإعلام بعجزه ويأسه منهم فهو طلب للنصرة عليهم، وعليه تكون الآية كناية عن قوله: اخذلهم وانصري وأظهر دينك ونحوه، فيكون من عطف الإنشاء على الإنشاء، ويؤيد ذلك أن الله تعالى سمى مثل هذا التعبير دعاء كما في قوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ﴾ [الدخان: ٢٢]، وهذا ما ذهب إليه شهاب الدين الخفاجي في حاشيته^(٢).

ثم اشتدَّ دعاء نوح ﷺ على قومه ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾^(٣) إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦-٢٧].

وجملة ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي﴾ عطف على جملة ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِيْتَهُمْ عَصَوْنِي﴾ وأعيد فعل "قال" لوقوع الفصل بين أقوال نوح ﷺ بجملة ﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ﴾ [نوح: ٢٥] وقرنت بواو العطف؛ لتكون مستقلة فلا تتبع جملة ﴿إِيْتَهُمْ عَصَوْنِي﴾ وذلك للإشارة إلى أن دعوة نوح ﷺ حصلت بعد شكايته بقوله: ﴿إِيْتَهُمْ عَصَوْنِي﴾^(٣).

(١) تفسير الألوسي: ٧٨/٢٩.

(٢) ينظر: حاشية الخفاجي على البيضاوي: ٢٥٣/٨.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/٢١٣.

وفي إظهار اسم (نوح) في الآية رغم ذكره سابقاً تشریف لعبده بذكر اسمه صريحاً.

وفي قوله: ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ دون قوله مثلاً «من قومي» ما يدل على أن موقفه لم يكن مع قومه فحسب، ولو كان كذلك لأشعر برغبته في الانتقام منهم والتشفي بهلاكهم، ولكن موقفه كان مع الكفر وأهله، وبهذا يتضح أن دعاء سيدنا نوح ﷺ إنما كان لمصلحة دينية محضة.

و (الدَّيَّار) من الأسماء التي لا تستعمل إلا في النفي العام يقال: ما بالدار ديَّار أو ديُّور أي: ما بها من أحد، وهو فيعال من الدار أو من الدور^(١)، وفي هذا اللفظ كناية لطيفة والمراد به هنا الإنسان كأنه قيل: لا تذر على الأرض من الكافرين من يسكن داراً أو لا تذر عليها من الكافرين من يدور ويتحرك^(٢).

ثم علل الدعاء عليهم بقوله: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾. وهذا التعليل «اعتذاراً مما عسى أن يقال: من أن الدعاء بالاستئصال مع احتمال أن يكون من أخلافهم من يؤمن مما لا يليق بشأن الأنبياء عليهم السلام»^(٣). وفي قوله: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ لفظان موحيان، فالفاجر هو المنبعث بقوة لارتكاب الجرائم والظلم والطغيان^(٤). والكفار، هو المبالغ في كفره جحوداً للحق، وتغطية لأدلتته، بالأكاذيب والجدال بالباطل^(٥).

والمعنى أنهم لا يلدون إلا من سيصير فاجراً كفَّاراً عند بلوغه، وعليه ففي

(١) ينظر: تفسير البيضاوي: ٣٩٦/١.

(٢) ينظر: تفسير الألوسي: ٧٩/٢٩.

(٣) تفسير الألوسي: ٨٠ / ٢٩.

(٤) ينظر: لسان العرب: ٤٦/٥ مادة (فجر)

(٥) ينظر: المصدر السابق: ١١٤/٥ مادة (كفر)

﴿فَاجِرًا﴾ و﴿كَفَّارًا﴾ مجازان مرسلان من تسمية الشيء بما سيؤول إليه والقرينة حالية؛ لأنّ المولود منهم لا يكون ﴿فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ عند ولادته، وإنّما يفجر ويكفر عند بلوغه، وعلاقة المجاز المرسل اعتبار ما سيكون، وهو وصف يشير إلى أنهم سيربّون أبناءهم على شاكلتهم وأنّ الأبناء سيتبعون ضلال آبائهم، فلا محل للأسى عليهم والرافة بهم. وبذلك أصبح هذا الإخبار علّة للدعاء بإهلاكهم، واستئصالهم على أنّ هذا الإخبار وإن كان ظاهره المعنى المجازي لعلاقة الاستقبال إلا أنه إخبار عن وحي يصل إلى الأمر الحقيقي وذلك مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَّ أَمَنَ فَلَا نَبْتِيسَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦].

وبعد أن دعا عليهم استجاب الله دعاءه فأغرقهم، وقد صورّ الله نهايتهم في هذه الآيات فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝١ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ۝١٠ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَمَرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢﴾ [القمر: ٩-١٢].

والفاء في ﴿فَدَعَا﴾ عاطفة، والجملة معطوفة على جملة ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ و﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ بالفتح على تقدير باء محذوفة أي: دعا بأني مغلوب، وبالكسر «إني» على تقدير إرادة القول، أي: دعا فقال إني^(١). والمعنى: أي غلبني الكفار فانتصر، وفي قوله: ﴿فَانْتَصِرَ﴾ إيجاز بالحذف، والتقدير: فانتصر لي منهم، وقيل: فانتصر لنفسك، والأول أولى؛ لأنّ انتصر لي مناسب لقوله: إني مغلوب^(٢).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧/ ١٨٢.

(٢) ينظر: المصدر السابق نفسه، وتفسير البحر المحيط: ٨/ ١٧٥.

وفي كلمة ﴿مَعْلُوبٌ﴾ مجاز، حيث شبه يأسه من إجابتهم بحال الذي قاتل أو صارع فغلبه مقاتله^(١).

فكان جواب الله له بقوله: ﴿فَفَنَحْنَا أَيْدِيَهُمْ وَأَمْشَرَ الْأَعْيُنَ عَلَىٰ رِجَالِهِم مِّمَّا يَتْلُونَ﴾ فجملة (فتحننا) معطوفة على جملة (دعا) والماء المنهمر: المنصب انصباباً شديداً، والفاء التي جاءت للتعقيب تصوّر لنا سرعة استجابة الله تعالى لنبيه ﷺ، فكان إرسال الطوفان عليهم بهذه الكيفية المحكمة والسريعة.

وفي الآية استعارة تمثيلية؛ وذلك بتشبيه هيئة تدفق المطر من السحاب بانصباب أنهار انفتحت بها أبواب السماء^(٢)؛ وذلك أن الماء كان من السحاب، وعلى هذا فهو كما يقول القائل: في المطر الوابل الشديد جرت ميازيب السماء وفتح أفواه القرب أي كأنه كان كذلك، وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين^(٣).

وجملة ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ معطوفة على جملة ﴿فَفَنَحْنَا أَيْدِيَهُمْ﴾، والمعنى: جعلنا الأرض كأنها عيون متفجرة، وفي تعدية الفعل (فجّرنا) إلى الأرض مجاز؛ إذ «جعلت الأرض من كثرة عيونها كأنها عينٌ تتفجّر، وفي هذا إجمال جيء من أجله بالتمييز له بقوله: ﴿عُيُونًا﴾»^(٤).

ولو سيق الكلام على ظاهره فقليل: فجّرنا عيون الأرض أو العيون من الأرض «لم يند ذلك ولم يدلّ عليه، وكان المفهوم منه أن الماء قد كان فار من عيون متفرقة في الأرض، وتبجّس من أماكن فيها»^(٥).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧ / ١٨٢.

(٢) ينظر: تفسير الألوسي: ٢٧ / ٨٠.

(٣) ينظر: تفسير الرازي: ٢٩ / ٣٣، وتفسير اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: ١٤ / ٤٩٨.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧ / ١٨٣.

(٥) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ص ١٠٢.

وإنما جاء الإخبار باستجابة الله تعالى لدعاء سيدنا نوح عليه السلام في سورة القمر ولم يذكر ذلك في سورة نوح؛ لأن سورة نوح تقوم على بيان معاناة نوح عليه السلام مع قومه في دعوته لهم وإصراره على هدايتهم، وإصرارهم مع ذلك على الكفر والعناد. هذا بخلاف سورة القمر فهي مبنية على بيان نهايات الأقوام المكذبة لرسولهم. ومن تلك الدعوات التي امتازت بالشدة والقسوة التي اقتضتها طبيعة الصراع بين الإيمان والكفر، دعاء موسى عليه السلام على فرعون وملئه، وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾

[يونس: ٨٨].

وتكرار ﴿ رَبَّنَا ﴾ في الآية ثلاث مرّات ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ ... رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ ... رَبَّنَا اطْمِسْ ﴾ إطناب الغرض منه (الإلحاح في التضرّع)^(١) واستجلابه للإجابة وتأكيد النداء السابق، وفي هذا «ضرب من الربط بين الجمل المفتحة بالنداء ربط المثل بمثله»^(٢). ثم يتصاعد دعاء موسى عليه السلام على فرعون وملئه بقوله: (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ). و«طمس الشيء: إذهابه عن صورته، والمعنى: الدعاء عليهم أن يمحق الله أموالهم ويهلكها»^(٣).

ومعنى الشد على القلوب: الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان، فتصبح قاسية مطبوعة لا تقبل الحق ولا تنشرح للإيمان^(٤).

وفي قوله: ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ مجاز لأن في إسناد "الأليم" وإضافته إلى

(١) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي: ١٥٠/٢.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٤٠/١٣.

(٣) فتح القدير: ٦٧٧/٢.

(٤) المصدر السابق نفسه.

العذاب مجاز عقلي؛ لأن المراد الأليم أثره فالعلاقة هنا الفاعلية.

وقد استشكل على بعض أهل العلم ما في دعاءي نوح وموسى - عليهما السلام - على أقوامهما وقالوا: إن الرسل إنما تطلب هداية قومهم وإيمانهم وليس الدعاء عليهم بالهلاك والعذاب. وأجيب بأن نوحاً وموسى - عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام - ما دعوا ذلك الدعاء على قومهما إلا بعد أن علما من الله أنهم أشقياء في علم الله، لا يؤمنون أبداً، أمّا نوح فقد صرّح الله تعالى له بذلك في قوله: ﴿وَأوحىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَّ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦].

وأما موسى فقد فهم ذلك من قول قومه له: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢].

وبعد أن نجّى الله موسى ومن معه وأغرق فرعون وملاه قام موسى عليه السلام يحرض بني إسرائيل على دخول الأرض المقدسة وقتال الكفار فيها، ويبشرهم بالنصر والظفر عليهم: ويخبرهم خبراً مطمئنً إليه النفس بأن الله قد كتب لهم دخولها وانتصارهم على عدوهم، فامتنعوا وعصوا أمر موسى عليه السلام بحجة أن فيها قوماً جبارين أشداء، وأنهم لن يدخلوها حتى يخرجوا منها، فحاورهم موسى ومعه رجلا من الذين أنعم الله عليهما فأصرّوا على موقفهم وقالوا: ﴿يَمْؤَسَىٰ إِنَّآ لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

وهذا من أشنع الكلام الذي يدلّ على ضعفهم وجبنهم، وسوء أدبهم وتخليهم عن نبيهم، ففي قولهم: ﴿يَمْؤَسَىٰ﴾ «مخاطبين له باسمه جفاءً وجلافة وقلّة أدب»^(١)، ولم يقولوا يا نبي الله أو يا كليم الله، ثم أكدوا امتناعهم أشدّ تأكيد يعبر

(١) نظم الدرر: ٤٢٥/٢.

عنه وذلك بعدة مؤكدات هي: "إنَّ" و"لن" و"ظرف الزمان" "أبدا" والفعل "ما داموا" الذي يفيد معنى استمرار اتصاف المسند إليه بالمسند وذلك كله يدل على تماذيمهم في العصيان وأثمهم مصرون على ترك الجهاد.

وقولهم: ﴿إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ تأكيد آخر بالجملة الاسمية التي تفيد الثبوت والدوام. والهاء للتنبيه وهنا ظرف مكان للقريب، وهو تعبير يدل على أنهم قد «خارت طباعهم فلم يقدرُوا على النهوض معه للقتال ولا على الرجوع من حيث جاءوا بل أقاموا حيث كانت المحاورة بين موسى وبينهم»^(١).

ولما كان امتناعهم معصية وقولهم لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا﴾ استهانة واستهزاء به - سبحانه - ورسوله ﷺ، دعا عليهم موسى فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥]. وقد بدأ موسى ﷺ دعاءه بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ وهو افتتاح يشعرنا ببث الحزن والشكوى إلى الله، مع رقة القلب التي يمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصر^(٢).

وليس القصد به الإخبار، وكذا كل خبر يخاطب به علام الغيوب لا يقصد به إفادة الحكم أو لازمه كما سبق.

وقوله: ﴿وَأَخِي﴾ عطف على ﴿نَفْسِي﴾ أي: «لا يجيبني إلى طاعتك ويوافقني على تنفيذ أمرك سوى نفسي وأخي»^(٣). فموسى ﷺ قصر الإجابة إلى طاعة الله وتنفيذ أوامره على نفسه وأخيه قصراً حقيقياً ادعائياً، لوجود من يوافقه على الطاعة من بين القوم وهما الرجلان اللذان أنعمهم الله عليهما، ولكن موسى ﷺ لضيقه

(١) تفسير البحر المحيط، ٤٧١ / ٣.

(٢) ينظر: الكشاف: ٦٥٥ / ١، وتفسير البحر المحيط: ٤٧١ / ٣، وتفسير أبي السعود: ٢٥ / ٣.

(٣) تفسير الألويسي: ١٠٨ / ٦.

من تبرم القوم وتقلب آرائهم وخذلانهم لم يعتدّ بهما كأنه لم يثق بهما، ولم يعتمد عليهما لقلة ثقته بالقوم^(١).

والقصر في الدعاء جاء بالنفي مع الاستثناء ﴿لَا أَمْلِكُ﴾ وهذا الأسلوب يأتي في المعنى الذي يحتاج إلى فضل تقرير وتوكيد^(٢).

وقيل: ليس القصد حقيقة القصر- بل بيان قلة من يوافقه بدليل أنه لم يذكر الرجلين اللذين أنعم الله عليهما، وقد كانا يوافقانه^(٣).

وعليه، فيكون في الأسلوب تشبيه، حيث شبه حاله في قلة من يوافقه بحال من لا يملك إلا نفسه وأخاه^(٤).

وقوله: ﴿فَأَفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ دعاء عليهم، والفرق: هو الفلق والفصل بين الشيئين^(٥)، والمعنى: افصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق وعليهم بما يستحقون؛ ولذلك «وصل به قوله "فإنها محرمة عليهم" على وجه التشبيه»^(٦).

والنصريح بلفظ ﴿الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ إظهار في موضع الإضمار، وكان يصح أن يقال: فافرق بيني وبينهم؛ وذلك لورود ما يشير إليهم قبل ذلك، ولكنه عدل إلى الإظهار لينبه إلى العلة الموجبة للتفريق وهي اتصافهم بصفة الفسوق، فالمطيع لا يريد صحبة الفاسق ولا يؤثرها، ومن هنا كان التيه في الأرض عقاباً خُصَّ به الفاسقون العاصون.

(١) الكشاف: ١/٦٥٦، وتفسير الألوسي: ٦/١٠٨.

(٢) دلالات التراكيب - محمد محمد أبو موسى، ص ١٠٩.

(٣) وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ [المائدة: ٢٣]، الآيات.

(٤) تفسير الألوسي: ٦/١٠٨.

(٥) ينظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٦/٢٧.

(٦) تفسير البحر المحيط: ٣/٤٧٢.

والفءاء في ﴿فَأَفْرَقَ﴾ استئنافية تشعر برغبة موسى ﷺ في سرعة مفارقة هؤلاء المتهادين في عنادهم ومعصيتهم.

ولما كان فعلهم وقولهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق قال الله تعالى مجيباً دعوة نبيه إجابة متصلة بدعائه ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوَّورِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

وهكذا في إجابة الله تعالى لأنبيائه يؤتى بالفءاء مسارعة في استجابة دعواتهم، وتطيب خواطرهم؛ مما يدل على مكانتهم ومنزلتهم عند الله تعالى.

ومن الأنبياء من واجه كفر قومه وعنادهم بتفويض الأمر إلى الله، ومن هذا القبيل دعاء شعيب ﷺ، فبعد أن عانده قومه وكذبوه، وتوعده بالطرده والرجم، توجه إلى الله داعياً: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، فتقديم الجار والمجرور "على الله" على الجملة الفعلية لإفادة التخصيص وهو قصر إضافي حيث قصروا توكلهم على الله وحده دون غيره، وفي إظهار الاسم الجليل (الله) مبالغة في حسن التوسل، وكمال التضرع لله تعالى.

وفي هذا الأسلوب إعراض عن مجادلتهم بعد أن ردَّ عليه قومه بالتكذيب وتوعده بالرجم والنفي من البلاد، وفيه إقبال على الله تعالى بالدعاء ليفصل ما بينه وبين قومه. وكلمة ﴿أَفْتَحْ﴾ بمعنى: أظْهِرْ وَبَيِّنْ، ومنه فتح المشكل لبيانه وحلّه تشبيهاً له بفتح الباب وإزالة الإغلاق حتى يوصل إلى ما خلفها^(١). والمعنى: أظْهِرْ أَمْرَنَا حَتَّى يَنْكَشِفَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، ويتميز الحق من الباطل، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية.

(١) حاشية الشهاب ٤/ ١٩٢.

المبحث الثاني : ما يتعلق بأنفسهم وأهليهم

المطلب الأول : ما يتعلق بالنفس

تنوعت مقاصد الأنبياء ومطالبهم فيما يتعلق بالدعاء لأنفسهم، وقد اشتمل دعاؤهم على مطالب عالية من خيري الدنيا والآخرة من أبرزها: طلب المغفرة والرحمة والتوبة، وطلب الخير والنفعة المطلق، وطلب كشف الكرب والغم، وطلب السلامة من الفتن والبلاء، وطلب ما يعين على تبليغ دعوتهم والقيام برسالتهم. وسأتناول هذه المقاصد والمطالب فيما يأتي:

١- طلب المغفرة والرحمة :

أول تلك الدعوات دعاء آدم وحواء -عليهما السلام- ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وكان هذا الدعاء منهما -عليهما السلام- بعد أن أكلا من الشجرة المنهي عنها، وقد استهلاً الدعاء هنا بلفظ "ربننا" المشعر بالاسترحام والاستعطاف والتضرع وكمال الخضوع لله تبارك وتعالى.

وحذف حرف النداء "الياء" للمبالغة في تعظيم المنادى وتنزيهه؛ وذلك لأن فيه طرفاً من معنى الأمر، وحذف حرف النداء ليزول معنى الأمر ويخلص للتعظيم والتنزيه كما مرّ سابقاً.

والتعبير بالجملة الفعلية "ظلمنا" دون التعبير بالجملة الاسمية يدل على الحدوث والطوارئ للدلالة على أنّها زلة طارئة وليست معصية إصرار، ولا يكون هذا المعنى لو عبّر بالجملة الاسمية وقال: إنا ظالمون؛ لأن التعبير بالجملة الاسمية يدل على الثبات على الظلم والإصرار عليه، وهذا غير مراد ولا وارد.

وإسناد الظلم إلى نفسيهما في قولهما ﴿ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ اعتراف بالخطأ والذنب، وهي عادة الأولياء والصالحين في استعظام الصغائر منهم، ولم يجادلوا عليهما السلام - كما فعل إبليس في مجادلة ربه، وفي ذلك إشارة إلى أن المبادرة إلى الإقرار بالذنب والندم لا مثيل له في اقتضاء العفو وإنزال الرحمة «وهذا السر ما سرى في أحد من ذريته إلا كانت عاقبته إلى خير في دنياه وأخراه»^(١).

وجملة ﴿قَالَ رَبِّنا﴾ جواب عن قول الله لهما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وفصلت عنها كما يفصل السؤال عن الجواب وهذا القول «مما حصل عند ذوق الشجرة، وقد رتب الإخبار عن الأمور الحاصلة عند ذوق الشجرة على حسب ترتيب حصولها في الوجود، فإنها بدت لهما سواتهما فطفقا يخصفان وأعقب ذلك نداء الله إياهما»^(٢)، ثم قولهما: ﴿رَبِّنا ظَلَمْنَا﴾ مما يدل على سرعة توبتهما عليهما السلام. وقوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ شرط حذف جوابه لدلالة جواب القسم المقدر عليه، ولما كان الشرط مرتبطاً بجوابه ومفتقراً إليه أفاد تشويقاً في الأسلوب وأثراً في النفس. ويلاحظ هنا أنهما لم يطلبوا الرحمة والمغفرة مباشرة فيقولوا مثلاً: ربنا اغفر لنا وارحمنا، وهذا فيه دلالة على إحساسهم بالذنب فلم تستسغ نفوسهما أن يطلبوا ذلك مباشرة من الله تعالى، وإنما ساقا ذلك على سبيل الشرط ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾، وهذا من كمال أدبهما مع الله تعالى.

وطلب المغفرة والرحمة نوح عليه السلام في قوله: ﴿وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]. وهذا الدعاء صدر من نوح عليه السلام بعد أن سأل ربه أن ينجي ابنه من الغرق بعد أن وعده الله أن ينجي معه أهله فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ

(١) البداية والنهاية : ١ / ١٨٤ .

(٢) التحرير والتنوير : ٨ / ٦٥ .

وَعَدَكَ الْحَقُّ ﴿ هود: ٤٥ ﴾ . فقال الله له : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّبِعَنَّ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [هود: ٤٦] .

وتأمل الفرق بين قول آدم وحواء عليهما السلام : ﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ ، وقول نوح عليه السلام : ﴿ أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ .

حيث جاء دعاء أبونا -عليهما السلام- بمؤكدتين هما اللام ونون التوكيد الثقيلة في حين جاء دعاء نوح عليه السلام خالياً من التوكيد وذلك حسبما يقتضيه المقام.

ففعل نوح عليه السلام ليس بمعصية كمعصية آدم عليه السلام ؛ لأنه فهم أن ابنه داخل مع أهله الذين وعد الله بنجاتهم فين الله - تعالى - له أنه ليس من أهله ؛ لأنه كافر، فطلب من ربه الرحمة والمغفرة حين عاتبه على سؤاله وساق كلامه بدون توكيد.

ولما كان فعل آدم عليه السلام معصية لربه أكد طلبه بمؤكدتين اثنتين ليتناسب ذلك وقدر الذنب والخطأ الذي حصل منه، ومن هنا جاء التوكيد بحسب ما يقتضيه المقام، فقد يكون الكلام لا يحتاج إلى توكيد، وقد يحتاج إلى مؤكّد واحد أو أكثر بحسب الحاجة إلى ذلك.

ونلاحظ في الدعاءين السابقين تقديم المغفرة على الرحمة، وذلك؛ لأن المغفرة رحمة خاصّة بالمؤمنين في حين أن الرحمة لعموم الخلق، ويدخل في رحمة الله المؤمن والكافر، فكلهم يعيشون في رحمة الله، حتى البهائم تعيش برحمة الله وتتراحم فيما بينها. إضافة إلى أن «المغفرة سلام والرحمة غنيمة والسلام مطلوب قبل الغنيمة»^(١). وطلّب المغفرة والرحمة موسى عليه السلام وذلك عندما اختار من قومه سبعين رجلاً ووعدهم الله ميقاتاً يحضرون فيه، فلما حضروا قالوا: ﴿ أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهْرَةً ﴾

(١) البرهان في علوم القرآن: ٣ / ٢٩١.

[النساء: ١٥٣].

فتجرؤ على الله جرأة كبيرة وأسأؤوا الأدب مع الله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ﴾

[النساء: ١٥٣] فصعقوا جميعاً.

فدعا موسى عليه السلام ربه متضرعاً فقال: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَائِي

أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ

لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُنَا

إِلَيْكَ ﴿[الأعراف: ١٥٥-١٥٦].

وقد بدأ موسى عليه السلام دعاءه بلفظ ﴿رَبِّ﴾ دون أن يذكر حرف النداء (يا)

استشعاراً بقرب المنادى إلى نفسه وإيثار كلمة ﴿رَبِّ﴾ للدلالة على معنى التربية

والرعاية، والإضافة إلى ضمير المتكلم يوحي بتدلل موسى عليه السلام، لخالقه، وحرصه

على إجابة دعائه.

وتأمل القصر المستفاد من تقديم المسند إليه ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا﴾ أي: أنت وحدك لا

غير.

وفي إضافة الولاية إلى الضمير ﴿وَلِيْنَا﴾ ما ينبئ عن عظيم التضرع والتبتل

وحسن التوسل إلى الله تعالى.

وتقديم المغفرة على الرحمة في قوله: ﴿فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ أولى كما سبق بيان

ذلك^(١).

وفي الجملة إيجاز حذف والتقدير: اغفر لنا ذنبا - وكذا فيما سبق - وحذف

المفعول به هنا لإفادة العموم وشموله لغير محدد فلم يذكر مفعولاً به معيناً حتى لا

ينحصر الحكم به، فالمطلوب مغفرة شاملة، ولو ذكر في السياق مع تقدم ما يشير

(١) ينظر: ص ٢٢٦ من البحث.

إليه وهو الظلم لأفاد طلب مغفرة ذلك الذنب على سبيل الخصوص، ولم يفد معنى: اغفر لي كل ذنوبي، وكل ظلم لنفسي، وفي الحذف إشارة إلى استعجال طلب المغفرة والرحمة من الله تعالى.

وقد جاء طلب المغفرة والرحمة هنا طلباً صريحاً ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا﴾ بخلاف دعاء آدم ونوح - عليهما السلام - ، ولعل السبب في ذلك ما تقدم دعاء آدم ونوح - عليهما السلام - من تقصير في بعض الأمور، فأدم خالف أمر الله وأكل من الشجرة، ونوح دعا لابنه بالنجاة وهو ممن لم يؤمن به، وهذا بخلاف دعاء موسى عليه السلام فلم يسبق بما يدل على المخالفة أو التقصير منه على وجه الخصوص، بل تقدم ما يدل على أنه ممن يدخل في رحمة الله كما في قوله -تعالى-: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي دُخَانِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]

وهو داخل فيمن يخاف الله فهو يستحق المغفرة والرحمة ولذا طلبها طلباً صريحاً. ونظراً لأهمية الدعاء بطلب المغفرة والرحمة أرشد الله تبارك وتعالى نبيه محمداً ﷺ أن يدعو بهذا الدعاء على وجه الخصوص بقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَأَرْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨]، وفي هذا الدعاء نلمس إيجازاً بالحذف من خلال حذف المفعول به للفعلين ﴿اغْفِرْ وَأَرْحَمْ﴾، وذلك كما سبق لإفادة العموم فيشمل كل ذنب وتقصير دون تحديد أمر بعينه، كما نلمس إيجازاً بحذف متعلق الفعلين، وفي ذلك نوع من التلطف وحسن الأدب من خلال تفويض الأمر إلى الرب في تعيين المغفور لهم والمشمولين بالرحمة، ولا يكون هذا المعنى لو قيل: «اغفر لنا وارحمنا». ثم ختم الدعاء بـ ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾، وهو تذييل مناسب للاستغفار والاسترحام.

٢- طلب الخير والنفع المطلق:

ومن تلك الدعوات دعاء إبراهيم عليه السلام في سياق التبرؤ من قومه ومعبوداتهم الباطلة وذلك في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨)

وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾
 وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِيقَةَ
 بِالصَّلَاحِ كَمَا أَجْعَلُ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ
 لِأَيِّئِ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ
 بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء: ٧٧-٨٩].

وهذه الآيات جاءت بعد أن دعا إبراهيم عليه السلام أباه وقومه إلى عبادة الله عز وجل ونبذ عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر. فبعد أن وجههم إلى النظر والتأمل في عجز آلهتهم عن النفع والضرر وإجابة الدعاء، أظهر التبرؤ من آلهتهم بقوله: ﴿فَأَنبَهُمْ عَدُوًّا لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ، وقد عبر بـ ﴿رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ دون (ربي) لإثبات ربوبية الله تعالى للعالمين في مواجهة أربابهم الذين لا حول لهم ولا قوة ، ثم تخلّص بعد ذلك إلى الثناء على الله معدداً بعض ما أفاض عليه من النعم التي تستوجب تخصيص العبادة له فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾. وفي نظم هذا الثناء بين يدي الدعاء وجوه بلاغية كثيرة فهو أولاً: جاء بالضمير ﴿هُوَ﴾ مع أمر الهداية والإطعام والإسقاء والإشفاء؛ لتأكيد نسبتها إلى الله وتخصيصه بها؛ لأن هذه الأفعال مما يمكن أن يدعيها الخلق؛ ولما كان الأمر كذلك ناسب توكيدها بالضمير. بينما لم يأت بالضمير ﴿هُوَ﴾ مع الإماتة والإحياء في قوله: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ لأن الإماتة والإحياء من الأمور التي لا يدعيها أحدٌ غالباً، وإنها أمرهما بيد الله وحده، فلم يكن ثمَّ ضرورة إلى التوكيد بالضمير^(١).

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش: ٩٢/٧.

وتكرار الاسم الموصول ﴿الَّذِي﴾ في المواضع الثلاثة مع إمكان الاكتفاء بالعطف على صلة الموصول الأول «إطنا ب الغرض منه الإيدان بأن كل واحدة من تلك الصلوات نعت جليل له تعالى مستقل»^(١).

وتقديم المسند إليه على خبره الفعلي في قوله: ﴿خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ قصر إضافي وهو قصر صفة على موصوف أي: هو يهديني وحده، دون غيره وهذا القصر - يفيد التخصيص فهو سبحانه المختص بأمر الهداية، والفاء تدل على مجيء الهداية عقب الخلق مباشرة.

وعبر عن الخلق بلفظ الماضي ﴿خَلَقَنِي﴾؛ لأنَّ خلق الذات لا يتجدد في الدنيا، بينما عبر عن الهداية بلفظ المستقبل ﴿يَهْدِينِ﴾ لأن الهداية مما يتجدد ويتكرر كل حين^(٢). وإطلاق الهداية عن القيد لإفادة العموم والشمول لكل ضروب الهدايات، وكذا إطلاق (يطعمني - ويسقين - ويشفين) لتشمل كل أنواع الطعام والشراب والشفاء، وجملة: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ عطف على جملة ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾، ونظمت معها في سلك الصلة لموصول واحد، ولم تتفرد بموصول على حدة؛ لأنَّ «الصحة والمرض من متفرعات الأكل والشرب غالباً»^(٣).

وانظر إلى حسن أدب الخليل عليه السلام حين أسند المرض إلى نفسه فقال: ﴿مَرِضْتُ﴾ وأسند الشفاء إلى الله تعالى فقال: ﴿يَشْفِينِ﴾ مع أن المرض والشفاء كلّه من الله تعالى وذلك رعاية لحسن الأدب مع الله تعالى. كما أنّ في إسناد المرض

(١) البحر المديد لابن عجيبة: ٢٥٩/٥. وينظر: تفسير أبي السعود: ٢٤٩/٦.

(٢) ينظر: تفسير الرازي ١٢٥/٢٤، واللباب في علوم الكتاب: ٤٣/١٥.

(٣) تفسير أبي السعود ٢٤٩/٦. وينظر: تفسير الألوسي: ٩٦/١٩.

إلى نفسه إشارة إلى أن كثيراً من الأمراض تحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه^(١).

وبعد أن أثنى الخليل عليه السلام على ربه تعالى بما هو أهله، وأسند النعم إليه، حملة ذلك على مناجاته ودعائه تنبيهاً إلى أن تقديم الثناء بين يدي الدعاء من مسوغات الإجابة، فقال عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾، والبداية هنا بلفظ ﴿رَبِّ﴾ المشعر بمعاني التربية والرعاية والولاية، والتعبير بالفعل ﴿هَبْ﴾ ليشير إلى أن استجابة الله تعالى له محض فضل منه سبحانه وتعالى ومنحةً يمنحها إياه وليست أمراً مستحقاً يناله الإنسان بمجرد سعيه وكده.

ولبيان حرصه على إجابة الدعاء جاء بتقديم الجار والمجرور ﴿لِي﴾ على المفعول الصريح ﴿حُكْمًا﴾ إضافة إلى ما في هذا التقديم من سرّ التشويق إلى المؤخر، فإن ما حقه التقديم إذا أحر تبقّى النفس مترقبة لوروده ولاسيما إذا كان من المنافع التي يحرص المؤمن عليها. ثم طلب من ربه أن يكون موفقاً للانضمام إلى زمرة الصالحين فقال: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ وأصل الإلحاق وحقيقته جعل الشيء لاحقاً أي مدركاً من سبقه في السير وأطلق هنا مجازاً على اللحاق بالسابقين من الأنبياء والصالحين.

ثم قال: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ أي: اجعل لي ذكراً حسناً، وثناءً جميلاً في الأمم الآتية، والمراد باللسان: ما يوجد به من الكلام والثناء، ولسان القوم لغتهم^(٢). وعليه ففي "اللسان" مجاز حيث عبّر عن الذكر الحسن والثناء الجميل

(١) ينظر: تفسير الرازي: ٢٤/١٢٥، وتفسير البحر المحيط: ٧/٢٣.

(٢) ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤].

باللسان، وذلك لأنّ الذكر والثناء يكون باللسان فهو مجاز مرسل علاقته الآلية من إطلاق الآلة وإرادة ما ينشأ عنها.

وإضافة ﴿لِسَانَ﴾ إلى ﴿صِدْقٍ﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته أي: لساناً صدقاً، وهذا الوصف بالمصدر للدلالة على المطابقة التامة بين الثناء والصدق فيه، ومن نظائره في القرآن الكريم: قدم صدق، ومقعد صدق، ومدخل صدق، ومخرج صدق، كما سيأتي في دعاء نبينا محمد عليه الصلاة والسلام^(١)، وفي الوصف بالمصدر مبالغة بجعله ذات الصدق مما يشعر برغبة الخليل عليه السلام في بقاء أثره الطيب، وقد استجاب الله دعاء الخليل فجعله محبوباً مقبولاً معظماً منى عليه في جميع الملل، ولا أدلّ على ذلك من أنّ المسلمين يذكرونه في صلواتهم ويستغفرون له وذلك في التشهد الأخير من كل صلاة.

ثم يترقى الخليل في دعائه فيسأل الله بقوله: ﴿وَجَعَلَنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾. أي: اجعلني من المستحقين لجنة النعيم، والإرث مستعار لأهل الاستحقاق؛ لأن (الوارث) من يصير إليه ما كان لغيره من مال أو ملك أو غيرهما بمجرد موت المالك السابق^(٢). وربما نلحظ في التعبير بلفظ (الإرث) أنّ الجنة معدة إعداداً صالحاً لنعيم كلّ الإنس والجنّ إن آمنوا وأسلموا، لكن من كفر منهم وكان من أهل النار فإن أهل الجنة يرثون ما كان مهيباً لهم، فيملكونه ميراثاً بلا عوض^(٣).

(١) ينظر: ص ٢٤٥، من البحث.

(٢) ينظر: لسان العرب، ١٩٩/٢، مادة (ورث)

(٣) كما في الحديث الصحيح « ما منكم أحد إلا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فإن مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ ». ينظر: صحيح سنن ابن ماجه لمحمد ناصر الدين الألباني، ١٤٥٣/٢، رقم ٤٣٤١.

ثم دعا بقوله: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ

سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ .

وقد طلب الخليل عليه السلام في هذا الدعاء من ربه ألا يعرضه لما يجزئه ويخزيه يوم البعث، وجملة ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ دعاء بأسلوب النهي، وجملة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ جيء بها تأكيداً لذلك اليوم وتعظيماً لشأنه، والاستثناء هنا منقطع وهو ما كان فيه المستثنى ليس بعضاً من المستثنى منه^(١)، والمعنى: لكن من أتى الله بقلب سليم تنفعه سلامة قلبه^(٢).

ولا يكون الاستثناء منقطعاً - على رأي الزمخشري - إلا مع «تقدير المضاف وهو الحال المراد بها السلامة، وليست من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى إلى أن المال والبنين لا ينفعان، وإنما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يحصل للاستثناء معنى»^(٣).

وقدم ذكر المال على البنين للاهتمام والعناية؛ وذلك أن المال أهم وأعنى في قضية الفداء ولذلك جعل أولاً.

ولما تمت النعمة على يوسف عليه السلام، واجتماع أبويه وإخوته وما من الله به عليه من النبوة والملك سأله فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وحذف حرف النداء في دعائه ﴿رَبِّ﴾ يشعر بقرب صلته بربه - سبحانه

(١) ينظر: الأصول في النحو لابن السراج: ٢٩٠/١.

(٢) تفسير البحر المحيط: ٢٤/٧.

(٣) الكشاف: ٣٢٦/٣.

وتعالى - وإيثاره وصف الربوبية؛ لما توحىه كلمة ﴿ رَبِّ ﴾ من التضرع والابتهاال؛ ولأنَّ إجابة الدعاء من مقتضيات الربوبية كما سبق بيان ذلك.

وإضافة الضمير إلى ﴿ رَبِّ ﴾ يوحي بتذلل العبد لخالقه وحرصه على إجابة الدعاء، و﴿ مِنْ ﴾ في قوله: ﴿ مِنْ الْمَلِكِ ﴾ للتبعيض، والمعنى بعضاً من الملك وهو ما آتاه الله من تدبير خزائن ملك مصر، وكذلك ﴿ مِنْ ﴾ في قوله ﴿ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ فهي للتبعيض، والمعنى بعضاً من تأويل أحاديث الكتب المنزلة وتأويل الرؤى^(١).

وفي جعل الذي أوتيها بعضاً من الملك، وبعضاً من التأويل إشعار بأن ذلك في جنب ملك الله وفي جنب علمه شيء قليل جداً^(٢).

وهاتان الجملتان وإن كانتا تفيدان الاعتراف بالنعمة والثناء على موجدتها فهما متضمنتان معنى الدعاء والطلب أن يعينه الله على شكرهما وتسخيرهما في طاعته. وقوله: ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: مبدعهما وخالقهما على غير مثال سابق، ونصب على أنه نعت لرب أو بدل منه^(٣).

وقد خصَّ يوسف عليه السلام السموات والأرض بالذكر لعظم خلقهما الذي يدلُّ على عظمة الخالق - سبحانه وتعالى - ؛ ولأنهما بالنسبة للإنسان بمثابة الغطاء والفرش لجميع المخلوقات، وسرّ تقديم السموات على الأرض لأن الآيات في السموات أعظم منها في الأرض لسعتها وعظمتها وما فيها من الأفلاك الدائرة واستغنائها عن عمد تُقلُّها إضافة إلى استوائها واتساقها وسلامتها من الخلل

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن - عبد الرحمن السعدي: ص ٤٠٦.

(٢) التحرير والتنوير: ٥٩/١٢.

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢/٣٤٥.

والفطور، وهذا السرّ - والله أعلم - يفسر لنا مجيء لفظ السموات بصيغة الجمع للدلالة على عظم الآيات فيها.

وتأمل القصر المستفاد من قوله: ﴿أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ﴿١﴾ أي أنت وحدك لا غير، وهذه الجملة وإن جاءت بصيغة الخبر فإنّ المراد بها الإنشاء أي: رب كن أنت وليي في الدنيا والآخرة، وقدم يوسف عليه السلام ولاية الدنيا على الآخرة؛ لأن الدنيا هي المكان الأول الذي تحققت فيه ولاية الله له؛ ولأنّ من كان الله وليه في الدنيا فهو وليه في الآخرة؛ إذ الدنيا هي دار العمل فيقع فيها التقصير والعصيان والزلل، فمن عصمه الله في الدنيا من التقصير وتولاه بالرعاية والهداية، فهو وليه في الآخرة بلا ريب.

ثم دعا ربه ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ وهي دعوة أن يتوفاه مسلماً حين يتوفاه، وأن يلحقه بال صالحين، وأصل اللحاق وحقيقته كما سبق جعل الشيء لاحقاً من سبقه في السير وأطلق هنا مجازاً على اللحاق بأثر السابقين من الأنبياء والصالحين.

وهذه الدعوة العظيمة جمعت «الإقرار بالتوحيد، والاستسلام للرب، وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاة غيره سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام أجلاً غايات العبد، وأنّ ذلك بيد الله لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد، وطلب مرافقة السعداء»^(١).

٣- طلب كشف الكرب والسلامة من الفتن:

ومن ذلك: دعاء أيوب عليه السلام فقد ابتلاه الله ابتلاءً عظيماً في بدنه وأهله وماله،

(١) الفوائد لابن القيم، ص ٢٠١ .

فلم يزد ذلك إلا صبراً واحتساباً، وابتهاً إلى الله - تبارك وتعالى - وتضرعاً إليه أن يكشف ما به من الضر والبلاء، قال تعالى مخاطباً نبينا محمداً ﷺ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

وقد راعى عليّ الأديب مع ربه فلم ينسب المرض إلى الله في دعائه مع أنه فاعله، ولم يصرح بدعائه بل عرض بطلبه حياءً من الله ﷻ.

وجملة ﴿نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ بدل اشتغال من ﴿عَبَدْنَا﴾، و﴿أَيُّوبَ﴾ عطف بيان له، والإضافة في ﴿عَبَدْنَا أَيُّوبَ﴾ للتشريف والتكريم.

و﴿إِذْ﴾: ظرف زمان مقيد لتذكر زمن ندائه ربه، وخصّ هذا الحال بالذكر من بين أحواله؛ لأن هذا الوقت هو أحسن أحوال توكله، وغاية كمال الإيمان والرضا في نفسه، وهو وقت استجابة الله دعاءه بكشف الضر عنه، وافتتاح آية الدعاء ب﴿إِذْ﴾ ليتوجه الأمر بالذكر في قوله: ﴿أَذْكُرْ﴾ إلى الوقت أي: اذكر وقت نداء أيوب لربه اهتماماً بحاله وقت الدعاء، وفي هذا إشارة للعناية بزمن الخطاب، إضافة إلى ما يبعثه التعبير ب﴿إِذْ﴾ الظرفية من تهيئة النفس لتلقي ما يعقبها من توجيه فيتمكن فيها فضل تمكن.

وأصل النداء وحقيقته: ارتفاع الصوت، وهو مشتق من الندى، ويراد منه في الأصل طلب إقبال المنادى، وتفرع عنه طلب الإصغاء وإقبال الدّهن من القريب منك، وهو إقبال مجازي^(١).

ويثار أيوب ﷺ للفعل ﴿مَسَّنِيَ﴾ دون أصابني على سبيل المثال، تأدباً مع ربه تبارك وتعالى، إذ جعل ما حلّ به من الضر كالمسّ الخفيف.

(١) التحرير والتنوير: ٦٥ / ٨.

وتأمل كيف قدم ﴿بُنْصِبِ﴾ على ﴿عَذَابِ﴾ حيث بدأ بالأهون ثم أتبعه بالأشد، وهذا التقديم من باب الترتي حيث روعي فيه التدرج في الشدة بدءاً بالأضعف ثم الأشد منه.

وتأمل جمال الروعة في دعائه عليه حين لجأ إلى ربه طالباً الرحمة: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

و﴿أَيُّ﴾ بفتح الهمزة على تقدير باء الجر، أي: نادى ربه بأي مسني الضر، وقرئ: ﴿إِنِّي﴾ على إضمار القول أو لتضمين النداء معناه^(١).

وإسناد المس إلى الضر مجاز عقلي؛ لأن الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى وليس الضر، ولكن أسنده إليه تأدباً مع الله.

وتأمل حسن أدبه مع الله حيث جعل ما أصابه مساً خفيفاً، ولم يصرح بالدعاء، وهذا من كمال أدبه عليه، وإنما عرض بطلبه، وتلطف بذكر مصابه، ووصف حاله بما يوجب الرحمة، وأثنى على ربه بكمال الرحمة فقال: ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. ولما كان ثناء أيوب عليه، تعريضاً بالدعاء فرع عليه قوله: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ﴾ [الأنبياء: ٨٤] والفاء والسين والتاء في ﴿فَأَسْتَجِبْنَا﴾ للمبالغة في الإجابة، وفيها إشارة إلى سرعة كشف الضر الذي نزل به.

وقد جمع أيوب عليه في هذا الدعاء «بين حقيقة التوحيد، وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه، ووجود طعم المحبة في التملق له، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنه أرحم الراحمين والتوسل بصفاته سبحانه وشدة حاجته هو وفقره، ومتى وجد المبتلى هذا كشفت عنه بلواه»^(٢).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧/١٢٦، وفتح القدير: ٤/٢٤٢.

(٢) تفسير القرآن الكريم، لابن القيم، ١/٣٨١.

ولما استقرَّ يونس عليه السلام في بطن الحوت نادى ربّه مستغيثاً معترفاً بخطئه كما أخبر عنه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلِظًا فَنَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَيْرِ وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

و ﴿ذَا التُّونِ﴾ وصف أي صاحب الحوت لقّب به يونس عليه السلام لا ابتلاع الحوت له.

و ﴿مُغْلِظًا﴾ حال من ﴿ذَهَبَ﴾، والمراد به هنا التشبيه، أي: خرج كالغاضب^(١)، والمفاعلة هنا تحتل أن تكون على باهما من المشاركة، أي: غاضب قومه وغاضبوه حين لم يؤمنوا به أول الأمر. وقيل: المفاعلة هنا للمبالغة في الغضب^(٢).

و ﴿نَقْدِرَ﴾ من القدر وهو: التضيق. والمعنى ظنّ أن الله لا يضيق عليه، وقيل: ﴿نَقْدِرَ﴾ بمعنى نحكم، مأخوذ من القدرة فيكون على هذا «من باب التمثيل بمعنى: فكانت حالته مماثلة بحال من ظنّ أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمر الله»^(٣).

والفاء في ﴿فَنَادَى﴾ فصيحة، وأل في ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ لاستغراق الجنس فشملت ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل^(٤).

و ﴿سُبْحَانَكَ﴾ مصدر - ملازم النصب - من التسييح، وقيل: اسم مصدر

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧ / ١٣١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧ / ١٣١.

(٣) الكشاف ٣ / ١٣٢، وينظر: تفسير أبي السعود: ٦ / ٨٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ١٨ / ٥١٧.

سَبَّحَ المضاعف^(١)، وتصدير الكلام به من قبيل براعة الاستهلال والتلطف، وفائدة التسييح هنا الاعتذار عما حصل من خطئه، وسوء تقديره، والمعنى: أنزهك تنزيهاً عظيماً. قال أبو السعود: «وفيه التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من (السيح) ومن جهة النقل إلى (التفعيل)، ومن جهة العدول إلى المصدر ما لا يخفى، والمراد: أنزهك تنزيهاً حقيقياً»^(٢).

وهذا الدعاء العظيم تضمن ثلاثة أمور:

- ١- قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ وفي هذا إثبات انفراده سبحانه بالألوهية التي تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته.
- ٢- قوله: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ وفيه إثبات تنزيه الله من كل نقص وعيب، وإثبات عظمته الموجبة له براءته من النقائص والعيوب.
- ٣- قوله: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وفيه اعتراف بذنبه، وبحقيقة حاله، وهو يتضمن طلب كشف الكرب من خلال وصف حاله.

قال ابن القيم رحمته: «وأما دعوة ذي النون.. فإنَّ فيها من كمال التوحيد والتنزيه للربِّ تعالى، واعتراف العبد بظلمه وذنبه ما هو من أبلغ أدوية الكَرْبِ والهَمِّ والغَمِّ، وأبلغ الوسائل إلى الله سبحانه في قضاء الحوائج، فإنَّ التوحيد والتنزيه يتضمنان إثبات كل كمال لله، وسلب كل نقصٍ وعيبٍ وتمثيل عنه. والاعتراف بالظلم يتضمن إيمان العبد بالشرع والثواب والعقاب، ويوجب انكساره ورجوعه إلى الله، واستقالته عشرته، والاعتراف بعبوديته، وافتقاره إلى ربه، فهنا أربعة أمور

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري: ٤٩/١. وينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي: ١١٦-١١٧.

(٢) تفسير أبي السعود: ١٠١/٣. بتصرف يسير.

قد وقع التوسلُ بها: التوحيد، والتَّزْيِيهِ، والعبودية، والاعتراف»^(١).
ولمَّا كان توسله إلى ربه بهذه الأمور الأربعة تعريضاً بالدعاء فرَّع عليه قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا﴾ للمبالغة في الإجابة، وفيها إيحاء إلى سرعة استجابة الله تبارك وتعالى لعبده.

وقد جاء الترغيب في هذا الدعاء في حال البلاء كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله: أنه قال: «دعوة ذي النون إذ دعا ربَّه وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له»^(٢).

ولمَّا تعرض يوسف عليه السلام لفتنة النسوة اللاتي أردن منه فعل الفاحشة، لجأ إلى الله تعالى وطلب منه العصمة من فتنتهن والسلامة من شرهن فقال: ﴿قَالَ رَبِّ أَلْسِنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا نَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

وجملة ﴿قَالَ رَبِّ أَلْسِنُ﴾ استئناف بياني فكأن سائلاً يقول: فماذا صنع يوسف حينئذ؟ فقيل: قال مناجياً ربه: ﴿رَبِّ أَلْسِنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾، و﴿أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ أي: أثير عندي وأسهل عليّ وأهون من الوقوع في المعصية واقتراف الخطيئة، وقد بدأ دعاءه بلفظ ﴿رَبِّ﴾ المشعر بمعاني التربية والرعاية والولاية، وإيثار وصف الربوبية في مثل هذا الموقف ينبئ عن إضافة ما فيه صلاح المربوب، وإضافة الضمير إلى

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، ٢٠٨/٤.

(٢) سنن النسائي الكبرى، للنسائي، (ذكر دعوة ذي النون): ١٦٨/٦، رقم: ١٠٤٩٢. وشعب الإيمان للبيهقي: ٢٥٦/٧، رقم: ١٠٢٢٤. والجامع الصحيح (سنن الترمذي) لأبي عيسى الترمذي: ٥٢٩/٥، برقم ٣٥٠٥. وصححه الألباني، ينظر: صحيح سنن الترمذي ٥٢٩/٥.

﴿رَبِّ﴾ يوحى بتذله لخالقه وحرصه على إجابة دعائه. وصيغة التفضيل: ﴿أَحَبُّ﴾ ليست على بابها إذ ليس له ﷺ محبة ولا ميل لما يدعونه إليه، وإنما الفتنة والسجن شران أهونها وأقربهما إلى الإيثار السجن^(١).

وأضاف الدعوة إليهنّ - مع أنّ التي دعتها امرأة العزيز خاصة - خروجاً من التصريح إلى التعريض، وقيل لأنهنّ جميعاً رغبته في مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها^(٢).

وقوله: ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: إن وكلتني إلى نفسي فليس لي من نفسي إلا العجز والضعف، وفيه حسن تأدب مع الله حيث تبرأ من حوله وقوته، وأنه لا عصمة له إلا بالله، وأنه لم يمتنع عن المعصية ولم يسلم من الوقوع فيها إلا بعون الله وتوفيقه. والخبر مستعمل في الدعاء، ولذلك فرّع عنه جملة ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ [يوسف: ٣٤]

٤ - طلب ما يعين على تبليغ الدعوة والقيام بأعباء الرسالة :

ومن تلك الدعوات دعاء موسى ﷺ فحين بعثه الله إلى فرعون وقومه يدعوهم لتوحيد الله وإفراده بالعبادة، علم أنه كلف أمراً عظيماً يحتاج معه إلى صبر عظيم فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي (٢٧) يَقْفَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَذُرُونَ أَخِي (٣٠) أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ تَسِيْحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) [طه: ٢٥-٣٥].

وقد استهل موسى ﷺ دعاءه بحذف حرف النداء الدال على شعوره بالقرب من ربه، إضافة إلى المبالغة في تعظيم المنادى وتنزيهه، وإيثاره لفظ الرب؛ لما فيه من

(١) تفسير أبي السعود: ٢٧٤ / ٤.

(٢) ينظر: فتح القدير: ٣ / ٣٤.

معنى الربوبية المشعر بالرعاية والولاية كما سبق بيان ذلك.

ومعنى ﴿أَشْرَحَ لِي صَدْرِي﴾ أي: وسَّعه ونورّه بالإيمان والنبوة^(١). وذلك ليقبل على القيام بواجب الدعوة والتبليغ ويتحمَّل ما عسى أن يرد عليه من الأعباء والشدائد.

وأصل الشرح: البسط والتوسعة، والتشريح: تقطيع اللحم^(٢)، وحقيقته: تقطيع ظاهر شيء ليّن ورقيق حتى يشفَّ عن رقته^(٣)، وفي هذا اللفظ استعارة حيث استعير الشرح «لإزالة ما في نفس الإنسان من خواطر تكدره أو توجب ترده في الإقدام على عملٍ ما تشبيهاً بتشريح اللحم بجامع التوسعة»^(٤).

ومع سعة الصدر وانسراحه لا بدَّ من تيسير الله وتوفيقه، ولهذا دعا موسى عليه السلام ربّه بذلك فقال: ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾، والمعنى: سهِّل عليَّ كلَّ أمرٍ أسلكه وكلَّ طريق أقصده في سبيل تبليغ دعوتك وأداء رسالتك.

وفي تقديم الجار والمجرور ﴿لِي﴾ في ﴿أَشْرَحَ لِي﴾ وفي ﴿وَيَسِّرْ لِي﴾ ما يدلُّ على الاختصاص، وفائدة ذكرهما تأكيد طلب الشرح لصدره والتيسير لأمره، وفي تقديمها على المفعول به وتكرارهما «إظهار مزيد اعتناء بشأن كلِّ من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به»^(٥)، وفي الآيتين إطناب يفيد التفخيم والتعظيم؛ لأنَّ «قوله: ﴿أَشْرَحَ لِي﴾ يفيد طلب شرح شيء ما له. وقوله: ﴿صَدْرِي﴾ يفيد تفسيره وبيانه. وكذلك قوله: ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾، والمقام مقتضٍ

(١) تفسير القرطبي، ١١/١٩٢.

(٢) لسان العرب، ٢/٤٩٧، مادة (شرح).

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) التحرير والتنوير: ١٦/٢١٠.

(٥) تفسير أبي السعود: ٦/١٢.

للتأكيد للإرسال المؤذن بتلقي المكاره والشدائد»^(١).

ولما علم موسى عليه السلام أن الفصاحة والبيان مما يعين على إقامة الحجّة، دعا ربّه أن يفتح عليه بذلك فقال: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي﴾ وقد ذكر المفسرون: أنه كان في لسان موسى عليه السلام ثقل وعسر فسأل ربّه أن يحلّ عقدة لسانه ليفهموا قوله، وليحصل له المقصود من المخاطبة والمراجعة والإفصاح عن المعاني.

وأصل العقدة: موضع العقد من الخيط أو الحبل حين يدار بعضه على بعض ويشدّ^(٢)، «أطلقت على عسر النطق بالكلام أو بعض الحروف على وجه الاستعارة لعدم تصرف اللسان عند النطق بالكلمة وهي استعارة تصريحية»^(٣).

ويقال للعقدة حبسة، ومنه: عقد اللسان فهو أعقد إذا كان لا يبين الكلام، واستعار لإزالتها فعل ﴿احلل﴾ من الحلّ وهو الأمر المناسب للعقدة على سبيل الاستعارة المكنية^(٤).

وتنكير ﴿عُقْدَةً﴾ للتعظيم أي: عقدة شديدة وعدل عن التعريف بالإضافة فلم يقل (عقدة لساني)؛ ليتأتى التنكير المشعر بأنها عقدة شديدة^(٥).

ثم علل طلبه بقوله: ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾، وهي جملة جاءت جواباً للطلب، وتعليلاً للغاية من دعائه أن يحلّ الله عقدة من لسانه، وقد أثر موسى عليه السلام الفعل ﴿يَفْقَهُوا﴾ على غيرها مثل يعلموا على سبيل المثال؛ لأنّ الفقه أخصّ من العلم، فهو يستعمل للدلالة على العلم ببواطن الأمور ودقائقها وخفاياها.

(١) الإيضاح: ص ١٨٧.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ١/٣٤١.

(٣) التحرير والتنوير: ١٦/٢١١، بتصرف يسير.

(٤) ينظر: المصدر السابق نفسه.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦/٢١٢.

ثم دعا ربّه ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (٢٩) هُرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِءٍ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾. وفي تقديم الجار والمجرور ﴿لِي﴾ ما يدل على الاختصاص، وفي تقديم ﴿وَزِيرًا﴾ على ﴿هُرُونَ﴾ دلالة على الاهتمام والاعتناء بشأن الوزارة^(١).

ثم علل موسى ﷺ طلبه لنفسه ولأخيه بقوله: ﴿كَيْ سُبْحَكَ كَثِيرًا﴾ (٣٣) وَتَذُكْرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾. وقد علل أبو حيان تقديم التسييح على الذكر في قوله: ﴿سُبْحَكَ كَثِيرًا﴾ (٣٣) وَتَذُكْرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ بأن التسييح تنزيه عمّا لا يليق ومحلّ القلب، والذكر ثناء وتمجيد ومحلّ اللسان، فلذلك «قدّم ما محلّ القلب على ما محلّ اللسان»^(٢).

وهذا التعليل فيه نظر؛ لأنّ كلاً من التسييح والذكر قد يكون بالقلب وقد يكون باللسان، وإنما قدّم التسييح - والله أعلم - لأنّ تنزيه الله مقدم على غيره من الأمور، فمن نزه الله من العيب والنقص لا يذكره إلا بما يليق به من الجلال والكمال.

ومن تلك الدعوات دعاء نبينا محمد ﷺ ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]، وهذا الدعاء الجليل متضمن سؤال الله تبارك وتعالى أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق. «وحقيقة الصدق في هذه الأشياء: هو الحق الثابت المتصل بالله الموصول إلى الله، وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال، وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة، فمدخل الصدق ومخرج الصدق: أن يكون دخوله وخروجه حقاً ثابتاً لله وفي مرضاته بالظفر بالبغيّة وحصول المطلوب ضد مخرج الكذب ومدخله»^(٣).

و(المُدْخَلُ وَالْمُخْرَجُ): بضم الميم وفتح الحرف الثالث، أصله اسم لمكان

(١) ينظر: تفسير أبي السعود: ١٣/٦.

(٢) تفسير البحر المحيط، ٦/٢٢٥.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم: ٢/٢٧٠ - ٢٧١.

الإدخال والإخراج، واختير هنا الاسم المشتق للإشارة إلى أن المطلوب دخول وخروج مخصوصان بوصف الصدق والحق، وميسران من الله - تبارك وتعالى - وهو عام؛ فيشمل الدعاء بكل دخول وخروج في جميع الأقوال والأعمال.

وقد جاء الوصف هنا بالمصدر ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ و﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ وفي الوصف بالمصدر مبالغة يجعله ذات الصدق، ومعلوم أن العرب متى أرادوا المبالغة في وصف الشيء وصفوه بالمصدر^(١). ثم عطف عليه سؤال التأييد والنصرة فقال: ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ ، والسلطان: اسم مصدر يطلق على السلطة وعلى الحجة البينة وعلى الملك وهو هنا كلمة جامعة، لأن هذا اللفظ من عموم المشترك^(٢).

وتأمل بلاغة النظم في هذا الدعاء حيث نلاحظ في تقديم الجار والمجرور ﴿لِي﴾ ما يدل على الاختصاص. وقوله: ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ تأكيد بكون السلطان المطلوب على أكمل وجه، وذلك بكونه مضافاً إلى الله تعالى وصادراً من عنده، وتأخير ﴿سُلْطَانًا﴾ عن جملي ﴿لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ لإظهار كمال الاعتناء بالسلطان ولأهميته في إقامة الدين وإظهاره مع ما في التأخير من التشويق إلى المؤخر، فإن ما حقه التقديم إذا أحر تبقي النفس مستشرفة له ومتشوقة لوروده. و﴿نَصِيرًا﴾ مبالغة في النصرة وهو وصف مقيد للسلطان الذي سأله نبينا محمد ﷺ فهو لم يسأل سلطاناً للاستعلاء على الناس وإنما سأل سلطاناً ينصر به الحق ويقوم به الدين، قال قتادة: «إن نبي الله علم أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله ﷻ، ولحدود الله، وفرائض الله، ولإقامة دين الله، وإن السلطان رحمة من الله

(١) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، ٢/ ٢٧٤ .

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٩٥، مادة (سلط)

جعلها بين أظهر عباده، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض، فأكل شديدُهم ضعيفَهم»^(١).

المطلب الثاني : ما يتعلق بالأهل

في هذا المطلب نجد جملة من دعوات الأنبياء -عليهم السلام- لأهلهم وذويهم؛ لأنهم أخص الناس بهم وأقربهم إليهم، ومن ذلك الدعاء للوالدين، والأبناء، وطلب الذرية الصالحة، ويشمل الدعاء لهم بالحفظ والسلامة. ومن تلك الدعوات دعاء نوح عليه السلام، فبعد أن دعا على الكافرين بالهلاك والعذاب أتبعه بالدعاء لنفسه وذويه ثم للمؤمنين والمؤمنات فقال: ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨]. وقد بدأ دعاءه بلفظ "رب" المشعر -كما سبق- بمعاني التربية والعناية، وخصّ في دعائه طلب المغفرة إظهاراً لمزيد الافتقار إليه سبحانه وتعالى. وقد بدأ بنفسه، ثم بأقرب الناس له وهما والداه، ثم عمم أهله وذويه المؤمنين فدخل أولاده وبنوهم من المؤمنين والمؤمنات. وقد عبّر عنهم بقوله: ﴿دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ وفي هذا التعبير كناية عن من يسكن معه في بيته مؤمناً. فالمراد بالدخول هنا دخول مخصوص وهو الدخول المتكرر الملازم، ومن هنا سميت بطانة المرء دخيلته ودُخَلْتَهُ^(٢).

ثم عمّم الدعاء للمؤمنين والمؤمنات. وكرر حرف الجرّ "اللام" مع المعطوفات لي-لوالدي- لمن دخل- للمؤمنين؛ للدلالة على استقلال الدعاء بالمغفرة لكلّ منهم. وفي تعميم الدعاء للمؤمنين والمؤمنات بعدما خصّ به من يتصل به نسباً ودينياً

(١) تفسير الطبري: ٥٣٦/١٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/٢١٥.

في قوله: ﴿لِي وَلِوَالِدَيَّْ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ إطناب حيث عطف العام على الخاص، وذلك لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاصّ لذكره مرتين: مرةً منفرداً، ومرةً مندرجاً تحت العام.

ويتكرر هذا المطلب في دعاء إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

وقد جاء بضمير الجماعة في قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ للإيدان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة والرحمة. وقدم عليه السلام ما يخصّ النفس على ما يخصّ الغير حيث بدأ في الدعاء لنفسه ثم لوالديه ثم للمؤمنين وهو تقديم للأولوية والأحقية وتكرار حرف الجرّ مع المعطوفين للدلالة على أصالة الدعاء لهم.

وفي ذكر العام بعد الخاصّ - كما سبق - إطناب الغرض منه الاهتمام بشأن الخاصّ لذكره مرتين، وإنما طلب المغفرة لوالديه قبل أن يتبين له أمر والده من الكفر^(١).

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ أي يثبت ويتحقق، واستعمال القيام هنا إمّا على سبيل المجاز المرسل، نحو قولهم: قام النهار، وقامت السوق، أو على سبيل الاستعارة فيكون قد شبه الحساب برجل قائم على سبيل الاستعارة المكنية، وأثبت له القيام على سبيل التخيل، واستعير لفظ ﴿يَقُومُ﴾ للدلالة على أن الحساب في غاية الاستقامة والعدل، والله أعلم.

ويجوز أن يكون في الكلام حذف والتقدير: يقوم أهل الحساب، فيكون في الكلام مجاز عقلي حيث أسند إلى الحساب ما ليس له، وإنما هو لأهله^(٢)، وهذا من

(١) ينظر: أضواء البيان: ٣ / ١٣٥ .

(٢) ينظر: الكشف: ٢ / ٥٢٧، وحاشية الشهاب ٥ / ٢٧٤.

إسناد الفعل إلى سببه الغائي أي يقوم أهل الحساب لأجله^(١).

وقد يتضمن دعائهم طلب الولد والذرية الصالحة، ومن ذلك ما أخبر الله تعالى به عن آدم وحواء -عليهما السلام- في قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَعَشَّىٰ حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيْفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ لِيْنِ ءَاتِيْتَنَا صَبِيْحًا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

فآدم وحواء -عليهما السلام- التجأ إلى ربهما ومالك أمرهما ﴿لِيْنِ ءَاتِيْتَنَا﴾ أي: وهبتنا ﴿صَبِيْحًا﴾ أي ولداً سويّاً قد صلح بدنه وبرئ من الآفات، وقيل: ﴿صَبِيْحًا﴾ أي ولداً ذكراً؛ لأن الذكورة من الصلاح والنفع^(٢). وفي التوكيد ﴿لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ﴾ من المبالغة في الدلالة على كونهم ثابتين على الشكر مثابرين عليه منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس في أن يقال: (لنشكرن)^(٣).

وقد جاء طلب الذرية على لسان إبراهيم ﷺ حين دعا ربه فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِيْ مِنَ الصَّالِحِيْنَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، وقد جاء الطلب بلفظ ﴿هَبْ﴾؛ «لأن الهبة إحسان محض ليس في مقابلها شيء يكون عوضاً للواهب»^(٤). وفي الآية حذف والتقدير: هب لي ولداً من الصالحين، وحذف للدلالة لفظ الهبة عليه، ومن ثمَّ جاءته البشارة بإسماعيل، ومن وراء إسماعيل إسحاق.

وبعد أن استجاب الله دعاءه حمد الله على ما وهبه من نعمة الولد وما أكرمه به من إجابة الدعاء فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيْ وَهَبَ لِيْ عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيْلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّيْ

(١) ينظر: المطول على التلخيص - سعد الدين الفتازاني، ص ٥٨.

(٢) ينظر: الكشاف: ١٧٦/٢.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ١٣٥/٤.

(٤) البحر المحيط: ٤٦٣/٢.

لَسْمِيعِ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿[إبراهيم
:٣٩-٤٠].

والحمد هو الثناء على الجميل، والمبالغة في الثناء المستفاد من عموم "أل" في
الحمد المفيد للاستغراق وتعريف الطرفين لإفادة الحصر ومعناه: أنه لا يستحق
الحمد الكامل إلا الله سبحانه وتعالى. وفي تعليق الحمد أولاً باسم الذات ووصفه
تعالى ثانياً بما في حيز الموصول تنبيه على أنه سبحانه وتعالى مستحق للحمد، باعتبار
ذاته ومستحق له باعتبار صفاته وأفعاله سبحانه وتعالى.

وتقييد النعمة بحال الكبر في قوله: ﴿وَهَبْ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾ يدل على استعظامها
وإظهار شكرها؛ لأن «مجيء الشيء بعد اليأس أحلى في النفس وأبهج»^(١).

وعلل طلب الهبة بقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، وفي التعبير بـ﴿رَبِّي﴾ مضافاً
إلى ضميره مع سبق التعبير في أول الآية باسم الجلالة إشارة إلى كمال عناية الله به
ورعايته له وإجابة دعائه. و﴿سميع﴾ صيغة مبالغة على وزن "فعليل" أضيف إلى
مفعوله ﴿الدُّعَاءِ﴾، وهي صيغة تدل على الكثرة والقوة في إثبات معناها، كما تفيد
الثبوت والاستمرار، وأنه تعالى لم يزل موصوفاً بذلك على الدوام. ويتواصل دعاء
الخليل ﷺ لنفسه وذريته بقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا
وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ وفي تكرار النداء زيادة تضرع وابتهاال.

و﴿مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ أي: مشابراً عليها، مستمراً في إقامتها، ويجوز أن يكون
معدلاً لها مقوماً لها من أقمت العود إذا قومته وعدلته فيكون على سبيل المجاز^(٢)،
وفي إثارة صيغة اسم الفاعل إشعار بالدوام والاستمرار على ذلك.

وقوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ صفة لموصوف محذوف معطوف على ياء المتكلم،

(١) البحر المحيط ٥/٤٢٢.

(٢) ينظر: تفسير الألوسي ٩/٤٠١، وتفسير روح البيان، لإساعيل حقي: ٤/٢٨٥.

والتقدير: واجعل مقيمين للصلاة من ذريتي، و﴿من﴾ ابتدائية، ويجوز أن تكون تبعيضية بناءً على أنه أعلمه أن بعضاً من ذريته لا يكون مقيماً للصلاة أو يكون علم ذلك من استقراره سنة الله تعالى في الأمم السابقة^(١).

ولمّا رأى زكريا عليه السلام رزق الله يساق إلى "مريم" بغير حساب دفعه ذلك إلى أن يسأل ربه أن يرزقه ذرية طيبة ويهب له ولياً صالحاً، وقد أخبر الله تبارك وتعالى عن ذلك في قوله: ﴿كَلِمًا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿﴾ [آل عمران: ٣٧-٣٨].

والتعبير ب﴿هُنَالِكَ﴾ دون غيرها يعود إلى أنها تستعمل في الزمان والمكان^(٢)، ويمكن في هذا السياق حمله على المكان، أي: «في ذلك المكان الذي كان قاعداً فيه عند مريم -عليها السلام- وقد شاهد تلك الكرامات دعا ربه ﴿عَلَيْكَ﴾، وإن حمل على الزمان فهو - أيضاً - جائز، يعني: في ذلك الوقت دعا ربه»^(٣).

وفي قوله: ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ تأكيد لكونه ولياً مرضياً، يكون مضافاً إلى الله تعالى وصادراً من عنده^(٤)، وذلك؛ لأن حصول الذرية في العرف والعادة له أسباب مخصوصة، فلما طلب الولد مع فقدان تلك الأسباب جاء التأكيد بقوله: ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ أي بمحض إرادتك من غير توسط شيء من تلك الأسباب.

(١) ينظر: تفسير الألوسي ٤٠١/٩.

(٢) من أمثلة دلالتها على المكان قوله تعالى: ﴿فَعَلَبُوا هُنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا صَنِيعِينَ﴾ [الأعراف: ١١٩]، أي: في ذلك المكان، ومن أمثلة دلالتها على الزمان قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤].

(٣) تفسير الرازي ٢٩/٨. بتصرف يسير جداً.

(٤) الكشف ٧/٣، وينظر: تفسير البحر المحيط: ١٦٥/٦، وتفسير الألوسي: ٢٤٣/١٣.

وتأخير ﴿ذُرِّيَّةً﴾ عن ﴿لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾؛ لإظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر، فإن ما حقه التقديم إذا أُخِّرَ تبقى النفس متشوفة له، مترقبة لوروده.

والمراد بكلمة ﴿ذُرِّيَّةً﴾: النسل، وهي كلمة تقع على الواحد والجمع والذكر والأنثى، وتأنيث ﴿طَيْبَةً﴾، لتأنيث الذرية في الظاهر، فالتأنيث والتذكير في أسماء الأجناس تارة يجيء على اللفظ وتارة على المعنى^(١).

ووصف الذرية بـ ﴿طَيْبَةً﴾؛ لأنها هي التي يرجى منها خير الدنيا والآخرة. وختم طلبه بقوله: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، وفي ذلك تأكيد لمضمون الآية، وقد برز هذا التأكيد من خلال الضمير ﴿إِنَّكَ﴾، وصيغة المبالغة في ﴿سَمِيعٌ﴾ التي تناسب مضمون الدعاء، وهذه الصيغة تدلّ على القوة والكمال في إثبات معناها، كما تفيد الثبوت والاستمرار، إضافة إلى ما تتضمنه من وصف آخر وهو أنه سبحانه وتعالى يجب دعاء أوليائه الصادقين ولا يردّ سؤالهم.

وفي سياق آخر يتهلل زكريا عليه السلام، في ضراعة وخفية شاكياً إلى ربه حاله وضعفه وشيخوخته معترفاً بأن الله قد عوّده إجابة الدعاء، فلم يشق مع دعائه ربه وهو في قوته وشبابه فما أحوجه الآن وهو في ضعفه وكبره أن يستجيب الله له، وقد قصّ الله علينا ذلك الدعاء في أسلوبه البليغ المعجز فقال: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۚ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۗ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۗ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۗ بَرِّئُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۗ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٢-٦].

(١) تفسير الرازي: ٣٠ / ٨. وينظر: معاني القرآن للفراء: ١ / ١٨٨.

وقد استهل زكريا عليه السلام دعاءه بنداء الرب ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ ، وقد بدأ الدعاء بلفظ ﴿رَبِّ﴾ المنبئ عن إفاضة ما فيه صلاح المربوب والذي يأتي غالباً في مواطن إظهار الضعف وطلب الاسترحام. وتأمل جمال الوصف بقوله: ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ فالتعبير بهذا الوصف كناية عن الضعف والشيخوخة، والأصل: يا ربي قد كبرت وضعفت قواي، فعدل عن هذا التعبير المباشر إلى هذه الكناية التي أبرزت لنا المعنى مصوراً، وأظهرت المعقول في صورة محسوسة.

واستعارة الاشتعال لانتشار بياض شعر الرأس من أبلغ الاستعارات حيث شبه انتشار الشيب وكثرته باشتعال النار في الحطب بجامع البياض والإنارة، وقيل الانتشار، واستعير الاشتعال للانتشار واشتق منه اشتعل بمعنى انتشر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية^(١).

وهذه الروعة التي نلمسها في هذا التعبير ليست لمجرد الاستعارة التي فيها، وإنما لنظمه على هذه الشاكلة، حيث أسند الاشتعال إلى الرأس، ولم يسنده إلى الشيب، ولو أسنده إلى الشيب فقليل: (واشتعل شيب الرأس) لم يتحقق المراد الذي يوحيه نظم هذا الدعاء بهذه الصيغة الفريدة .

وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني بقوله: «إِنْ قُلْتَ : فَمَا السَّبَبُ فِي أَنْ كَانَ "اشتعل" إِذَا اسْتَعِيرَ لِلشَّيْبِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ كَانَ لَهُ الْفَضْلُ؟ وَلَمْ يَأْنِ بِالْمَزِيَّةِ مِنَ الْوَجْهِ الْآخِرِ هَذِهِ الْبَيِّنُونَ؟ فَإِنَّ السَّبَبَ أَنَّهُ يَفِيدُ مَعَ لَمَعَانِ الشَّيْبِ فِي الرَّأْسِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْمَعْنَى الشُّمُولَ، وَأَنَّهُ قَدْ شَاعَ فِيهِ وَأَخَذَهُ مِنْ نَوَاحِيهِ، وَأَنَّهُ قَدْ اسْتَغْرَقَهُ وَعَمَّ جُمَّلَتَهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنَ السَّوَادِ شَيْءٌ، أَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا مَا يُعْتَدُّ بِهِ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِذَا

(١) ينظر: فتح القدير: ٤٥٩/٣. وينظر: الكشاف: ٦/٣، والإيضاح في علوم البلاغة: ١٨١، والبحر المديد: ٣٠٠/٤، والتحرير والتنوير: ٦٤/١٦.

قيل: اشتعل شيبُ الرأس، أو الشيبُ في الرأس، بل لا يُوجبُ اللفظُ حينئذٍ أكثرَ من ظهوره فيه على الجملة»^(١).

وتنكير ﴿شَيْبًا﴾؛ لإفادة المبالغة، وتكرار النداء في قوله: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ للمبالغة في التضرع والابتهاال والاسترحام.

وفي قوله: ﴿مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ تأكيد لكونه ولياً مرضياً بكونه مضافاً إلى الله تعالى وصادراً من عنده»^(٢)، وتأخير ﴿وَلِيًّا﴾ - كما سبق -؛ لإظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع، وأثر التعبير بالولي عن الولد «لبعد ذلك عنده لكبره وكون امرأته عاقراً»^(٣).

وجملة النداء ﴿وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ لتأكيد الاسترحام، وللمبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه^(٤).

وقد يأتي الدعاء بنجاة الأهل وسلامتهم من العذاب والبلاء وطلب النجاة من منكرات الذنوب وشؤمها، كما في دعاء لوط عليه السلام. فبعد أن وعظ قومه وحذرهم من فعل الفاحشة هددوه بالإبعاد والإخراج فقالوا له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنْتَه يَلُوطٌ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦٧]، فأعرض عن مجادلتهم وقال لهم: ﴿إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾^(٥) رَبِّ بِنَجِيِّ وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ [الشعراء: ١٦٨-١٦٩].

وقوله: ﴿إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ أي من المبغضين، والقلاء: هو البغض الشديد كأنه يقلبي الفؤاد قلياً^(٥).

(١) دلائل الإعجاز: ص ٩٣.

(٢) الكشف ٧/٣.

(٣) البحر المحيط: ١٦٥/٦. وينظر: المحرر الوجيز: لابن عطية: ٦/٤.

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود: ٢٥٥/٥.

(٥) ينظر: لسان العرب: ١٥/١٩٨، مادة (قلا).

وهذا التعبير أبلغ في الوصف من أن يقال: (إني لعملكم قال)؛ لأنه يدل على أنه من الراسخين في بغضهم^(١).

وهذا التعبير يشعر بأنه عيب، أراد إظهار الكراهية في مساكنتهم والرغبة في الخلاص من سوء جوارهم.

ولا يفوت المتأمل جمال الجناس بين كلمتي (قَالَ - الْقَالِينَ) مما أضفى على الأسلوب نغماً عذباً في جرس الآية.

وقوله: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي نجنا من عذاب ما يعملون، ولا بد من تقدير مضاف، ولا يحسن جعل المعنى نجني من أن أعمل عملهم لعصمة الله تعالى له، ولدلالة كرهه لهذا العمل الشنيع. وقد استجاب الله تعالى له فقال: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ [الشعراء: ١٧٠-١٧١].

* * *

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩ / ١٨٠.

الفصل الثاني

الخصائص البلاغية لدعاء الأنبياء في القرآن

المبحث الأول: بناء لغة دعاء الأنبياء

أثار البلاغيون والنقاد قضية هامة تتصل باللغة هي قضية اللفظ والمعنى، وتنازعوا في أيهما أحقّ بالعناية وأجدر بالتقديم، اللفظ أم المعنى؟ ولهم في ذلك مذاهب مختلفة، منهم من فضّل اللفظ، ومنهم من فضّل المعنى، ومنهم من توسّط بين ذلك^(١).

وهذه المذاهب تلخص الخلاف حول اللفظ والمعنى من جهة الفصاحة وأيهما أولى بذلك من الآخر، ولا شك أنّ الفصاحة لا ترجع إلى أحدهما دون الآخر، وإنّما ترجع بالإضافة إلى ذلك إلى حسن نظم الكلام وجمال تأليفه، وقد أدرك الخطابي رحمته قيمة هذا النظم الذي يربط بين الألفاظ ومعانيها بقوله: «وإنّما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط بينها ناظم»^(٢).

ثم جاء عبد القاهر الجرجاني رحمته فعزز هذا الاتجاه حتى اكتملت على يديه نظرية النظم التي هي مناط الإعجاز البلاغي متوخياً في هذا النظم قواعد النحو ومعانيه. فلكل من الألفاظ والمعاني إذاً قيمتها التي تميزها، ولا تظهر هذه القيمة ولا يتجلى ما فيها من جمال وبهاء إلا إذا ارتبطت بسياق ينظمها.

والتأمل في لغة دعاء الأنبياء يلمس الفصاحة والبيان وحسن الانسجام والتلاؤم، كما يدرك فيها إثارة عاطفية تبرز من خلال المشاهد الحية النابضة بالحياة، ومقدار ما تملكه من شحنة عاطفية على الوجدان والخيال.

(١) ينظر: المتل السائر: ١/٨٢، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ٦٨-٦٩.

(٢) بيان إعجاز القرآن - الخطابي ص ٢٧.

ولعل أول ما يبرز لنا من ذلك الدقة في اختيار الألفاظ، فكل لفظة جاءت مستقرّة في مكانها، مختارة لتؤدي من المعاني ما يفيض به قلب الداعي، فمن ذلك ما جاء في دعاء الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٩].
فإثاره الفعل ﴿ أَبْعَثْ ﴾ على ما سواه فيه دقة في الاختيار، فهو إضافة إلى دلالاته على معنى الإرسال نجده يحمل معاني الإثارة والانبعاث والإيقاظ، وكلّ شيء بعثته فقد أثرته، والبعث من الله الإحياء^(١)، وهذه المعاني تتوافق مع مهمة الأنبياء.
وتأمل لفظتي: ﴿ أَطْمَسَ ﴾ و﴿ أَشَدَّدَ ﴾ في دعاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على فرعون وملئه بقوله: ﴿ رَبَّنَا أَطْمَسَ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدَّدَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [يونس: ٨٨] فالكلمتان توحيان بالعنف والشدة في العقوبة، فالطمس: استئصال أثر الشيء^(٢)، والشّدُّ: الاستحكام بقوة^(٣).

والإيقاع الذي يحدثه هذان اللفظان عند النطق بهما له أثر كبير في تصوير المعنى وإثرائه في النفس، فاللفظان يجسمان ويصوران شدة دعائه على فرعون وملئه بأن يمحق الله أموالهم ويهلكها ويحكم الربط على قلوبهم فلا يدخلها الإيمان.
كما يلمس المتأمل في لغة دعاء الأنبياء الدقة في وضع الألفاظ في موضعها فإذا نظرت في دعواتهم ودققت في مفردات ألفاظهم تجد دقة في الوضع ظاهرة، ولا تحس فيها بكلمة تضيق بمكانها أو تنبو عن موضعها. والغاية من دقة الوضع هي الدقة في إيراد المعنى وتحديدته، دون زيادة أو نقصان.

تأمل دعاء الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ حيث قدم الجار

(١) لسان العرب، ١١٧/٢، مادة (بعث).

(٢) لسان العرب ١٢٦/٦ مادة (طمس).

(٣) لسان العرب ٢٣٢/٣ مادة (شدد).

والمجرور ﴿فِيهِمْ﴾ على المفعول به ﴿رَسُولًا﴾ لإرادة التخصيص ليكون المعنى أن تكون الرسالة فيهم لا في غيرهم.

وقوله: ﴿وَمَنْهُمْ﴾ قيد دقيق في وصف الرسول؛ لأنَّ البعث ﴿فِيهِمْ﴾ لا يستلزم أن يكون البعث ﴿وَمَنْهُمْ﴾، وتقييد الرسول بأن يكون منهم حتى، «يكون أشفق على قومه ويكونون هم أعزَّبه وأشرف وأقرب للإجابة؛ لأنهم يعرفون منشأه وصدقه وأمانته»^(١).

ومن الدقة في وضع المفردة في دعواتهم ما نلمسه في دعاء يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَليٌّ﴾ في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقي بالصدّيقين ﴿[يوسف: ١٠١] حيث، نلاحظ التعبير عن نعمة الملك بالفعل ﴿آتَيْتَنِي﴾ بينما عبّر عن نعمة تأويل الأحاديث والرؤى بالفعل ﴿وَعَلَّمْتَنِي﴾، ولعل السر في اختيار كل لفظة واستقرارها في مكانها أن نعمة الملك هبة، وعطاء من الله تبارك وتعالى يشترك فيه المؤمن والكافر والبرّ والفاجر، بينما تأويل الأحاديث علم إلهي يهبه الله من شاء من أوليائه، فاختر لكل سياق ما يناسبه من الألفاظ.

ومن بديع لغة الأنبياء في دعواتهم اختيار اللفظة المصورة الموحية نلمس ذلك في دعاء إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿فَأَجْعَلْ أَعْدَاءَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، فالفعل ﴿تَهْوِي﴾ مضارع "هوى" بفتح الهاء والواو، وأصل الهوى سرعة النزول إلى أسفل^(٢). والمراد: اجعل قلوب الناس تسرع إليهم حباً وتطير نحوهم شوقاً. وفي استعمال ﴿تَهْوِي﴾ بمعنى "تسرع" استعارة تصريحية تبعية، وإيثار الفعل

(١) تفسير البحر المحيط ١/٥٦٣.

(٢) الصحاح - الجوهري ٦/٢٥٣٨ مادة (هوى).

﴿تَهَوَّى﴾ لما يدلّ عليه من السرعة الشديدة التي لا يمنعها شيء ولا يصدها حائل؛ لأنها نزول من علو إلى سفلى، ولو عبّر بلفظ (تحنّ إليهم) "لم يكن فيه من الفائدة ما في قوله - سبحانه - ﴿تَهَوَّى إِلَيْهِمْ﴾؛ لأنّ الحنين قد يوصف به من هو مقيم في مكانه" (١).

كما أن لفظه ﴿تَهَوَّى﴾ بما تدل عليه من النزول إلى أسفل توحى بأن الإنسان لا يملك من أمر نفسه في الحنين إلى مكة وما فيها، كما أن الذي يهوي من أعلى إلى أسفل لا يتحكم في نفسه.

وتأمّل جمال التعبير من خلال اختيار هذه اللفظة حيث نلمس في الأسلوب «رقة ورفرفة تصور القلوب رقافة مجنحة، وهي تهوي إلى ذلك البيت وأهله في ذلك الوادي الجديب، إنّه تعبير نديّ ينديّ الجذب برقة القلوب» (٢).

ويثار أيوب عليه السلام للفعل ﴿مَسَّنَى﴾ دون غيره من مثل "أصابني" أو "نزل بي" يدلّ على إيجاء ظاهر، فهو عليه السلام يأخذ نفسه بالأدب الجميل وحسن التوسل إلى ربه تعالى فما أصابه كأنه مس خفيف إذا قيس إلى أفضال الله تعالى وألطافه به.

ويلتقي مع هذه الدقة دعاء يوسف عليه السلام ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف: ٣٣].
فإثاره للفعل ﴿أَحَبُّ﴾ دون غيره من الألفاظ كأفضل أو أحسن لحسم مادة طمع امرأة العزيز الذي وقعت فيه من الحب والشغف (٣).

ومن بديع لغة دعاء الأنبياء ما نلمس من إثار الكلمة الخفيفة في نطقها، السهلة في مخارجها، تأمل كلمة ﴿وَهَنَ﴾ في دعاء زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤]، فبالإضافة إلى دقة اختيارها وتصويرها لضعف زكريا عليه السلام نجد أنها

(١) تلخيص البيان في مجاز القرآن - الشريف الرضي، ص ١١٣ .

(٢) في ظلال القرآن - سيد قطب ٢ / ٢١١ .

(٣) ينظر: الكشف: ٢ / ٤٣٥، وتفسير أبي السعود: ٤ / ٢٧٤ .

أحسن من كلمة "صَعْفَ" في خفة النطق وسهولته؛ لأنَّ الفتحة أخفَّ من الضمة^(١).

ولا يفوت المتأمل أيضاً أن يلمس الدقة في وضع كلمة ﴿مِنِّي﴾ حيث جاءت في موضعها الدقيق الذي أضفى على نسق الآية نغماً إيقاعياً متميزاً، فلو قدمنا كلمة ﴿مِنِّي﴾ على كلمة العظم نحو: (وهن مني العظم...) لشعرنا بما يشبه الكسر في نغم الآية وجرسها؛ ذلك أنَّ هذه الكلمة في هذا الموضع الدقيق تتوازن إيقاعياً مع كلمة ﴿إِنِّي﴾ في صدر الآية هكذا ﴿رَبِّ إِنِّي... وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾، وهكذا نلمس أن كلمة ﴿مِنِّي﴾ تحقق انسجاماً وتناسقاً وإيقاعاً داخلياً موزوناً، وإنَّ أي تغيير لموقعها يحدث اهتزازاً في إيقاعها الداخلي^(٢).

ويرد التأكيد في لغتهم كثيراً وفق الحال الذي يستدعيه والمقام الذي يقتضيه، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون مجيئه زائداً في الكلام زيادة يستغنى عنها في الجملة.

والتوكيد غالباً يكون تبعاً لحال المخاطب، إمَّا بناءً على مقتضى الظاهر وهو ما يعرف بأضرب الخبر الثلاثة، وإمَّا على خلاف ذلك من حال المخاطب وهو ما يعرف بالأحوال التنزيلية. ولكن المتأمل يجد أسلوباً من التوكيد لا ينظر فيه إلى حال المخاطب إنَّما يراعى فيه حال المتكلم ونفسيته والدواعي والمؤثرات التي تتوارد عليه، ويمكن أن يحمل على ذلك جلُّ ما ورد من أدعية الأنبياء - عليهم السلام - كقول الخليل: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمْ مَا نَحْنُ بِمَعْلَمٍ وَمَا نَعْلَمُ بِمَعْلَمٍ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن - لجلال الدين السيوطي: ٢/ ٢٦٩.

(٢) ينظر: الإعجاز القصصي في القرآن، سعيد مطاوع، ص ١٥٣، ١٥٤.

وقول نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ [الشعراء: ١١٧] .

وقول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ [المائدة: ٢٥].

وقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

وقول يونس عليه السلام: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وقول زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤].

ففي هذه الدعوات يتضح أن التوكيد ينظر فيه إلى حال النفس الراجية الضارعة إلى ربها، ومدى انفعالها بهذه الحقائق، وحرصها على إذاعتها وتقريرها، كما أحسها هؤلاء الأنبياء - عليهم السلام - مقررّة أكيدة في أنفسهم^(١).

وإذا كانت الألفاظ المفردة تمثل دلالات مستقلة فإن العبارة وتراكيب الجمل تمثلها مجتمعة، وقد جاءت تراكيب لغة دعاء الأنبياء في أسلوب رفيع تتسم بخصائص جمالية وفنية.

فمن جماليات ذلك الدقة في التعبير التي تتحقق بطرق عديدة ترتبط ببناء العبارة سواء أكان منها ما يتصل بالمفردات أم بالمعنى أم بطريقة النظم.

والعبارة في دعاء الأنبياء تأخذ دقتها في تناسب نظمها ودقة حروفها وحسن ضمايرها بحيث لا يختل المعنى، بل يزداد دقة ووضوحاً، كقول إبراهيم عليه السلام مشياً على الله بين يدي دعائه: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨١].

والتأمل لحروف العطف في نظم هذا الشئاء يجد أن الخليل عليه السلام عطف الهداية على الخلق بحرف الفاء التي تدل على الترتيب بلا مهلة^(٢)، فالله تبارك وتعالى خلق الخلق فهداهم مباشرة إلى ما فيه خيرهم وصلاتهم. ثم عطف "السقي" على

(١) ينظر: خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني - محمد أبو موسى، ص ٩١ .

(٢) معاني الحروف - للرماني، ص ٤٣ .

"الإطعام" بحرف الواو التي تدلّ على الاشتراك في الحكم ومطلق الجمع فقال: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾^(١)، ثم عطف الشفاء على المرض بحرف "الفاء" التي تدلّ كما سبق على الترتيب بلا مهلة، وذلك؛ لأنّ الشفاء يعقب المرض مباشرة بدون مهلة أو تراخ في الزمن. فقال: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، ثم عطف "الإحياء" على "الإماتة" بحرف "ثم" التي تفيد الترتيب مع التراخي في الزمان^(٢)؛ لأنّ الإحياء يكون بعد الإماتة بمهلة وتراخ فقال: ﴿وَالَّذِي يُمَيِّنُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾، ولو عطفت هذه الجمل بعضها على بعض بالواو مطلقاً لثمّ المقصود، ولكنّ الذي ورد به التعبير أدقّ في المعنى وأليقّ ببلاغة الكلام^(٣).

ومن مهامّ الدقة في التعبير الأداء الأمين لمعنى العبارة، فهي تجمع وتشمل معاني متعددة تصنفها وترتيبها في وحدة متكاملة، ومن ذلك تقديم الأهمّ على المهمّ في دعائهم، وهذا يردّ كثيراً في دعواتهم، ومن ذلك قول موسى عليه السلام: ﴿كَيْ سُبْحَكَ كَثِيرًا﴾^(٣٣) وَنَذَرْتُكَ كَثِيرًا^(٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا^(٣٥) [طه: ٣٣-٣٥].

والتأمل في هذا النظم يجد الدقة في التعبير حيث قدم التسييح على الذكر، وسرّ هذا التقديم - كما سبق - أن التسييح تنزيهه تعالى في ذاته وصفاته وبراءته عن النقائص، وهذا مقدم على غيره من الأمور؛ لأنّ من نزه الله تعالى من العيب لا يذكره إلا بما يليق به من التعظيم والإجلال. وتقديم الجار والمجرور ﴿بِنَا﴾ على متعلقه ﴿بَصِيرًا﴾ لإفادة التخصيص، وقد ذهب أبو السعود إلى أنّ ذلك التقديم إنما جاء فقط لمراعاة الفاصلة^(٤)، وكأنّه رأى أنّ التقديم هنا لا يفيد التخصيص لأنّ

(١) ينظر: الجني الداني، ص: ١٥٨.

(٢) ينظر: مغني اللبيب، ١٥٩-١٦٠، وينظر: النحو الوافي لعباس حسن: ٥٧٦/٣.

(٣) ينظر: المتل السائر ٤٦/٢.

(٤) تفسير أبي السعود: ١٤/٦.

بصر الله لا يغيب عن شيء من خلقه، فلا يصح قصره على المتكلم. لكن التأمل حين يمعن النظر يجد أنه يفيد التخصيص وأن البصر الذي عناه موسى عليه السلام هو ما خصه الله به من الاهتمام واللفظ والعناية في جميع أطواره منذ كان طفلاً صغيراً حتى وقت التبث إلى الله بهذا الدعاء كما هو صريح قوله تعالى: ﴿وَلُصِّعَ عَلَىٰ عَيْنَيْهِ﴾ [طه: ٣٩]. فالتقديم ينبىء عن إحساس موسى عليه السلام بعناية خاصة به تميزه عن غيره بمزيد عناية ورعاية^(١).

وفي دعاء إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] فتقديم اسم ﴿السَّمِيعُ﴾ على ﴿الْعَلِيمُ﴾ جاء متناسباً مع حالهما وصورة صادقة لإحساسهما. فقد رفعا أصواتهما بالدعاء، وهذا مما سبيل إدراكه السمع وهما يرفعان القواعد من البيت امتثالاً لأمر الله وإخلاصاً له، وهذا سبيل إدراكه العلم، فتوسلاً إلى الله تعالى بهاتين الصفتين على هذا النحو من الترتيب. ولعل التأمل في ذلك يلحظ أن التقديم والتأخير في العبارة يحمل مغزاه العميق ويضع المعنى في مكانه المحدد.

ومن مميزات العبارة في دعاء الأنبياء ما نلاحظه من التناسق الجميل بحسن التذييل، حيث نلاحظ التناسق في المعنى والربط بين أجزاء الجمل في التعبير وعبارة أخرى يمكن أن نحدد جمال هذا التناسق من خلال ملاحظة انتهاء آية الدعاء بما يدع المعنى مستساغاً ومسائراً للسياق ومقبولاً في النفس. ولا يخفى التأمل في دعوات الأنبياء - عليهم السلام - أن يدرك براعة التخيل والتصوير في عباراتهم، فقد جاءت تشيع بالحركة والحياة.

(١) ينظر: من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية، للخضري، ص ٦٠.

تأمل قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا فَاقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا... ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٩]، فهذه الآيات تصور لنا مشهداً حياً في استحضار سريع لبناء البيت من إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - «إتّهما أماننا حاضران نكاد نسمع صوتيهما يبتهلان.... فنغمة الدعاء، وموسيقى الدعاء، وجو الدعاء، كلها حاضرة كأنها تقع في اللحظة، حيّة شاخصة متحركة، وتلك إحدى خصائص التعبير القرآني الجميل في ردّ المشهد الغائب الذاهب حاضراً يسمع ويرى، ويتحرك ويشخص وتفيض منه الحياة»^(١).

المبحث الثاني : بلاغة التناسب في دعاء الأنبياء

المناسبة في اللغة المشاكلة، يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب أي مشاكلة وتشاكل، وكذا قولهم: «ليس بينهما مناسبة أي مشاكلة»^(٢). ولا يختلف المعنى اللغوي للمناسبة عنه في الاصطلاح، فالمناسبة في المعنى الاصطلاحي تعني المقاربة أو المشاكلة بين المعاني الكلية الحاصلة من التأليف أو بين الألفاظ والسياقات التي ترد فيها من حيث الشكل أو المعنى، وبتعبير آخر: هي وضع الكلام في موضعه الذي يليق به حتى يتم له الحسن والبلاغة^(٣). وفائدة هذه المناسبة «جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله

(١) في ظلال القرآن: ١ / ١١٤.

(٢) لسان العرب، ١ / ٧٥٦، مادة (نسب).

(٣) ينظر: المثل السائر: ٢ / ٢، وأنوار الربيع، ٣ / ٣٤٦.

حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء»^(١).

ولهذا النوع من الإعجاز أهمية كبيرة في إدراك معاني القرآن وتدبر مقاصده وتذوق بلاغته والوقوف على أسرارهِ ودقائقهِ. ولهذا قال الرازي رحمته: «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»^(٢).

ورأى البقاعي رحمته أن هذا النوع من الإعجاز هو «سرُّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني؛ لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجابة على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية التفاسرة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان إلى النحو»^(٣).

ومن دقيق التناسب في دعاء الأنبياء: أن تجيء فاصلة الدعاء مناسبة لمضمونه، وهو ما يُسمّى بـ"تشابه الأطراف" أو "تناسب الأطراف" وهو من قبيل مراعاة النظير، وذلك بـ«أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى»^(٤)، ويسمى التناسب والائتلاف^(٥).

«وتسميته بتناسب الأطراف أولى؛ لمطابقتها لمسأله»^(٦). ومن أمثلة ذلك دعاء الخليل عليه السلام: ﴿وَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٩]، ودعاء موسى عليه السلام: ﴿أَنْتَ وَلِينَا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، ودعاء عيسى عليه السلام: ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤]، ودعاء سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ

(١) البرهان في علوم القرآن، ١/ ٦٢.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٣٦.

(٣) نظم الدرر ١/ ٦.

(٤) الإيضاح: ص ٣٢٣.

(٥) ينظر: الإيضاح ص ٣٠٦.

(٦) أنوار الربيع: ٤/ ١٩٥.

أَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿﴾ [ص: ٣٥]. ودعاء نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

فالتناسب ظاهر بين: ﴿ وَتُبَّ عَلَيْنَا ﴾ ﴿ أَنْتَ التَّوَّابُ ﴾، و﴿ اُغْفِرْ لَنَا ﴾ ﴿ أَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾، ﴿ وَارْزُقْنَا ﴾ ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾، و﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا ﴾ ﴿ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾. ﴿ وَارْحَمْ ﴾ ﴿ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾، فكان آخر الدعاء مناسباً لأوله مستقراً في مكانه مرتبطاً بمعناه.

وقد يختتم الدعاء بألفاظ دقيقة تناسب السياق اللغوي للدعاء بحيث لو جيء بألفاظ أخرى غيرها لاختل المعنى وتغير، وقد لا تبدو المناسبة واضحة جلية إلا بعد تأمل.

ومن ذلك دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المتحنة: ٥]. فهذا الدعاء لم يختتم بالمغفرة مع أنه ورد طلب المغفرة قبله؛ وذلك لأن مدار الطلب في الآية هو أن لا يجعلهم فتنة للذين كفروا، وهو محط الاهتمام كما هو واضح من السياق، وذلك يقتضي الختام بالعزة والحكمة كما هو ظاهر^(١).

ومما يدل على أن مدار الطلب هو خوفهم من الفتنة ما نلاحظه من التجوز في النسبة الإيقاعية حيث عدى الفعل ﴿ تَجْعَلْنَا ﴾ إلى ضميرهم المخبر عنه بـ ﴿ فِتْنَةً ﴾ عن طريقة المجاز العقلي، والمعنى: لا تجعلنا سبب فتنة أو موضع فتنة للذين كفروا، وسرُّ العدول إلى التجوز بسبب شدة شعورهم بالخوف من الفتنة وذلك يقتضي الختام بالعزة والحكمة.

وربما احتاج الأمر إلى إمعان دقيق لمعرفة سرِّ اختتام الدعاء بصفة معينة يتبادر

(١) ينظر: ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ١/ ٢٧٨، والبرهان في علوم القرآن: ١/ ٨٩.

إلى الذهن أن ختمها بغير ذلك أولى، ومن ذلك دعاء عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فنظم هذا الدعاء قد يظن أنه يقتضي أن تكون الفاصلة "الغفور الرحيم"، ولكن المتأمل يدرك أنه لا يغفر لمن استحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو عزيز غالب وحكيم يضع الشيء في موضعه.

والآية مبنية على التسليم لله - سبحانه وتعالى - وتفويض الأمر إليه، وليس التعريض بطلب المغفرة، ولو قيل: "إنك أنت الغفور الرحيم"؛ لأوهم الدعاء بالمغفرة، ولا يسوغ الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه^(١)؛ لأن الآية جاءت في سياق تبرئة عيسى عليه السلام من قول عظيم قالته طائفة من النصارى، ونسبته إلى عيسى عليه السلام من أنه طلب من الناس أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله. إضافة إلى أن ختم الدعاء بالمغفرة والرحمة يناسب الشرط الثاني (إن تغفر لهم) ولا يكون له تعلق بالشرط الأول (إن تعذبهم) في حين أن ختمه بـ ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يناسب الشرطين معاً، فإن العذاب والمغفرة منوطان بالعزة والحكمة، والذي استحق العذاب لا يستطيع أن يغفر له إلا من كانت سلطته أعلى، وقوته أعظم، وعزته فوق كل شيء، ومن كان كذلك وجب أن يتصف بالحكمة التي يسندها العقل؛ فكان الختام بـ ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أليق بهذا المكان وأنسب^(٢).

ولا يفوت المتأمل في هذا التذييل أن يدرك فيه ملمحاً بلاغياً وهو ما يعرف بـ "الاحتراس" وهو: «أن يؤتى به في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه»^(٣)، وهو

(١) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٢٧٧، والبرهان: ١/ ٩٠.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٤/ ٦٧، وتفسير القرطبي: ٦/ ٣٧٨، واللباب في علوم الكتاب: ٧/ ٦٢٥.

(٣) الإيضاح: ١٩٢. وينظر: معاهد التنصيص: ١/ ٣٦٣.

ما أشار إليه ابن القيم رحمته بقوله هو: «أن يذكر لفظاً ظاهره الدعاء بالخير والنفع وذلك بما في ضمنه مما يوهم الشر فيذكر فيه كلمة تزيل ذلك الوهم وتدفع ذلك الوهن»^(١).

ووجه الاحتراس - كما سبق - أنه لا يغفر لمن استحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو العزيز الذي لا يعلو فوق سلطانه سلطان، ولا تحول قوة دون تعذيب من استحق العذاب من عباده، فإذا شاء أن يغفر لهم مع استحقاق العذاب فذلك مقتضى حكمته التي تضع كل شيء في موضعها، وليس لأحد الاعتراض عليه. وقد يخفى وجه الحكمة على بعض الناس فيتوهم - ظناً - أنه خلاف الأولى وليس كذلك، فكان في الوصف بالعزيز الحكيم احتراس حسن «لأن ترك عقاب الجاني قد يكون لعجز في القدرة أو لإهمال ينافي الحكمة فدفع توهم ذلك بذكرهما»^(٢).

ومن بديع المناسبة في دعائهم: حُسن الترتيب، فالألفاظ تتقدم في الكلام بحسب معانيها، وما يتداعى من تلك المعاني في العقل، ومن ذلك دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]. تأمل بلاغة التناسب في إيراد الصفات وحسن ترتيبها، فأول ما يقرع السمع هو تلاوة القرآن والتلفظ به، ثم بعد ذلك يكون تعلم معانيه وتدبر مدلولاته^(٣)، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصتْ لَهُ، ثُمَّ إِذْ عَلَيْنَا بَيَانُهُ﴾ [القيامة: ١٨-١٩]. فإذا حصل تعلم القرآن انتقل إلى الصفة الأخيرة وهي التركيز،

(١) الفوائد لابن القيم: ١٥٢.

(٢) تفسير الألوسي: ٧/٧١، وينظر: البرهان، ١/٨٩، والإتقان، ٣/٣٠٨.

(٣) البحر المحيط ١/٣٩٢.

وتأخير صفة التزكية في نظم هذه الآية يكشف لنا أن هذه الصفة هي الغاية المنشودة والصفات السابقة وسائل للوصول إليها.

وفي دعاء الخليل ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُعَلِّمُ وَمَا يُخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

نلاحظ أن إبراهيم عليه السلام قدّم الأرض هنا على السماء؛ لأنّ الطبيعي أن يبدأ كلامه بما فيه حياته ومعاشه لا بما ليس له به علم فهو عليه السلام «حين ورد على لسانه هذا الدعاء واكب ترتيب اللفظ على لسانه ترتيب المعاني في جنانه، بادئاً بالأرض، وهي ما خفي من علمها على الإنسان دون ما خفي عليه من علم السماء»^(١).

ومن الألفاظ التي وقعت بينها المغايرة تقديماً وتأخيراً ما جاء على لسان الحواريين وإجابة عيسى عليه السلام لهم فإنهم لما طلبوا المائدة ذكروا في تعليل طلبهم أغراضاً فقدموا ذكر الأكل فقالوا: ﴿نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ﴾ وأخروا بعد ذلك غرض الاطمئنان وزيادة التصديق فقالوا بعد ذلك: ﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُنَا وَتَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾، وأمّا عيسى عليه السلام فإنه لما طلب نزول المائدة وعلل طلبه قدم الأغراض الدينية وأخر غرض الأكل فقال: ﴿تَكُونُ لَنَا عَيْدًا لِأَوْلَادِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنَّا وَأَرْزُقْنَا﴾ وترتيب هذه المعاني يعود إلى مراعاة سياق الحال، وهنا «يلوح مراتب درجات الأرواح في كون بعضها روحانية وبعضها جسمانية»^(٢). ويبرز لنا الفرق واضحاً جلياً بين مقامات الأنبياء، ومقامات الأتباع.

ومن دقيق المناسبة: أن يأتي بلفظ في موضع لفظ آخر؛ لمناسبة تتعلق بالسياق، ومن ذلك: وضع المصدر موضع الفعل لتحقيق المبالغة وتوكيد المعنى. كقوله تعالى

(١) من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية - محمد الأمين الخضري، ص ١٤ .

(٢) تفسير الرازي: ١٠٩/١٢ .

نخبراً عن يوسف عليه السلام: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَقَتْ الْأُجُوبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

فعبّر يوسف عليه السلام بالمصدر ﴿مَعَاذَ﴾ في موضع الفعل "أعوذ" ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ مصدر والمعنى: أعوذ بالله أن أفعل هذا^(١). كما ذكر ذلك البغوي^(٢)، والزمخشري^(٣). وهو دعاء من يوسف عليه السلام، أن يعيده ربه ويعصمه من هذه الفتنة. وإنها كان التعبير بالمصدر هنا دون الفعل؛ لأن المقام في هذا الموضع مقام إغراء عظيم من امرأة العزيز فجاء التعبير بالمصدر للمبالغة في الاستعاذة دالاً على ما كان فيه من شدة الموقف، ومن هنا كان العدول إلى المصدر ليتفق بها وصف به من مبالغة لا تكون لو عبّر بلفظ الفعل ذاته.

وقد أشار ابن الأثير إلى علة التعبير بالمصدر عن الفعل بقوله: «ومن حذف الفعل باب يسمى باب إقامة المصدر مقام الفعل، وإنما يفعل ذلك لضرب من المبالغة والتوكيد»^(٤).

ومن بديع هذا العدول دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ [إبراهيم: ٤٠]. فعبر الخليل عليه السلام باسم الفاعل ﴿مُقِيمَ﴾ في موضع الفعل "أقيم"، وإنما كان التعبير باسم الفاعل هنا؛ لأن هذا الدعاء جاء بعد رفع الخليل عليه السلام لقواعد البيت وبنائه، ثم دعائه لربه أن يجعله آمناً

(١) معاني القرآن وإعرابه - الزجاج: ١٠١/٣. وينظر: تفسير السعدي: ص ٣٩٦.

(٢) تفسير البغوي: ٢٢٨/٤.

(٣) الكشاف: ٤٢٩/٢، ٤٦٥.

(٤) المثل السائر: ٩٨/٢.

لتقييم أمتة الصلاة كما قال: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] وهو دعاء لأمتة بإقامة الصلاة بصيغة الفعل المضارع، ثم كرر الدعاء لنفسه بإقامة الصلاة للإشعار بأنه المقتدى في ذلك وذريته أتباع له، وعبرَ باسم الفاعل ﴿مُقِيمَ﴾ للإشعار بالدوام والاستمرار وتحقيق المبالغة في الطلب، ومن هنا كان العدول عن الفعل إلى اسم الفاعل مناسبة السياق.

وقد تكون دقة المناسبة في نقل اللفظ عن وظيفته الأصلية دون حذف مناسبة تتعلق بالسياق اللغوي.

ومن بديع هذا التناسب قول زكريا عليه السلام: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، والأصل في ترتيب الكلام العادي "واشتعل شيب الرأس"، ثم نقل الفاعل "شيب" عن وظيفته الأساسية ونصب على التمييز، وقد علل عبد القاهر الجرجاني هذا العدول بإفادة الشمول والاستغراق، إضافة إلى لمعان الشيب في الرأس الذي هو أصل المعنى - كما سبق ذلك^(١) -، والمتأمل في السياق الذي ورد من خلاله الدعاء يجد أن زكريا عليه السلام أتى في معرض دعائه بمقدمات يمتنع معها الوصول إلى النتيجة التي هي مناط دعائه. فحصول الذرية في العرف والعادة له أسباب مخصوصة فلما تآقت نفسه للذرية مع فقدان تلك الأسباب لم يكن أمامه إلا طلب هبة محضة من غير توسط شيء من تلك الأسباب فعمد إلى وصف حاله بأنه بلغ من الكبر عتياً. والعتي: «هو اليُسُّ والجَسَاوَةُ في المفاصلِ والعظامِ كالعُودِ القاجِلِ»^(٢). وإذا كان بلغ هذا المبلغ من مدارج الكبر ومراتبه إلى حدٍّ أن وهن منه العظم فلا غرو أن الشيب قد سيطر عليه سيطرة تامة حتى استغرق كل رأسه وعمَّ جملته،

(١) ينظر: ص ٢٥٢، ٢٥٣ من البحث.

(٢) الكشاف: ٨/٣. وينظر: الباب في علوم الكتاب: ١٨/١٣.

ومن هنا جاء الأسلوب القرآني معبراً عن هذا المعنى بنقل الفاعل عن وظيفته الأساسية التمييز بقوله: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسَ شَيْبًا﴾ فيلتقي هذا المعنى الذي يفيد السياق مع الخاصة الدلالية التي تفيد العموم والشمول التي أكدَّ عليها عبد القاهر الجرجاني كما سبق.

ومن دقيق المناسبة: ما تدلُّ عليه صيغة اللفظ من خلال وضعها في سياق معين، فالتنكير غالباً يعطي الاسم دلالة على الشيوخ والعموم، والتعريف غالباً يمنحه دلالة على التخصيص والتحديد، وقد جاء ذلك مناسباً للسياق. ففي دعاء الخليل عليه السلام جاء لفظ "البلد" منكراً في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦]. ثم جاء معرفاً في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وقد اختلف العلماء في تعليل المغايرة بين اللفظين، فذهب الإسكافي إلى أن سبب ذلك يرجع إلى أحد أمرين أولهما: أن يقال الدعاء الأول وقع ولم يكن المكان قد جعل بلداً فكأنه قال: اجعل هذا الوادي بلداً آمناً، ثم قال بعد ذلك: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. وأمّا الدعاء الثاني فقد جاء وقد جعل بلداً فكأنه قال: اجعل هذا المكان الذي صيرته كما أردت ذا أمن على من آوى إليه فعرف حين عرف بالبلدية، ونكر حيث كان مكاناً من الأمكنة غير مشهور بالتمييز عنها بخصوصية العمارة والسكنى.

وأمّا الأمر الثاني: فهو أن تكون الدعوتان وقعتا بعد ما صار المكان بلداً، وإنها طلب من الله أن يجعله آمناً، والقائل يقول: اجعل ولدك هذا أديباً، وهو ليس يأمره بأن يجعله ولداً؛ لأن ذلك ليس إليه وإنما يأمره بتأديبه فكأنه قال: اجعله بهذه الصنعة، فذكر الوصف وأتبعه الصفة فكذلك قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾

[إبراهيم: ٣٥] ، وتكون الدعوة واحدة قد أخبر الله عنها في موضعين^(١) .
واختار ابن الزبير رأياً مختلفاً عما سبقه فهو يرى أن اسم الإشارة الذي هو ﴿هَذَا﴾ في سورة البقرة لم يقصد بتعيينه اكتفاءً بالواقع قبله من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥] وتعريف البيت حاصل منه تعريف البلد فورد اسم الإشارة غير مفتقر إلى التابع المبيّن حسنه في أسماء الإشارة اكتفاءً بما تقدّمه مما يحصل منه مقصود البيان فانصب ﴿بَلَدًا﴾ مفعولاً ثانياً، و﴿أَمْنًا﴾ نعتاً له، واسم الإشارة مفعولاً أول غير محتاج إلى تابع لقيام ما يقوم مقامه، ولو تعرّف لفظ ﴿بَلَدًا﴾ بالألف واللام، وجرى على اسم الإشارة لم يكن ليحرز بياناً زائداً، بل كان يكون كالتكرار فورود الكلام على ما هو عليه أحرز للإيجار وأبلغ في المقصود، وآية إبراهيم لم يتقدم فيها ما يقوم لاسم الإشارة مقام التابع المعرّف بجنس ما يشار إليه، فلم يكن بدّ من إجراء البلد عليه تابعاً بالألف واللام على المعهود الجاري في أسماء الإشارة من تعيين جنس المشار إليه^(٢) .

وعندما نمعن النظر في السياق نجد أنّ هذه المغايرة جاءت حسب مناسبة السياق، فدعاء الخليل عليه السلام في البقرة جاء في سياق معانٍ تدلّ على العموم والشروع؛ إذ يخبر سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم أنه جعله إماماً للناس كافة، وأنه جعل البيت مثابة للناس وأمناً لهم، ثم أخبر سبحانه أنه يرزق فيه جميع الناس من آمن منهم ومن كفر، فقال معقباً على دعاء إبراهيم الخليل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦].

(١) ينظر: درة التنزيل - الإسكافي ص ١٦ .

(٢) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٢٣٤-٢٣٥ .

فناسب هذا التعميم أن يأتي بلفظ ﴿بَلَدًا﴾ في صورة التنكير؛ ليتفق بما يدل عليه من تعميم وشيوع يتناسب ودلالة السياق.

أمَّا السياق في سورة إبراهيم فلم يكن فيه تعميم بل قام على التخصيص إذ يدعو فيه الخليل عليه السلام، رَبِّهِ أَنْ يَأْوِي بَعْضَ النَّاسِ إِلَى بَيْتِهِ الْمَحْرَمِ لِتَكُونَ ذُرِّيَّتِهِ فِي جَوَارِهِمْ وَأَنْ يَرْزُقَهُمْ رِزْقًا مِنْ لَدُنْهِ كَمَا قَالَ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

فقال: ﴿أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ﴾ ولم يقل: أفعدة الناس، داعياً أن يرزقهم الله من الثمرات، فكان الدعاء خاصاً بأهله وذريته ومن يسكنون معهم فناسب تعريف البلد ليُدلَّ على هذا التخصيص والتحديد^(١).

وقد اقترب البقاعي رحمه الله من وجه هذه المناسبة عندما أشار إلى ما في سياق دعاء الخليل في سورة البقرة من تعميم وشيوع بخلاف ما جاء في سورة إبراهيم^(٢).

المبحث الثالث: أسرار التشابه والتنوع في دعاء الأنبياء

في هذا المبحث سأتناول - إن شاء الله - دعوات الأنبياء المتشابهة التي تكررت في القرآن الكريم وألفاظها متقاربة إلى حد كبير، ولكن وقع في بعضها زيادة ألفاظ أو تقديم وتأخير أو إبدال كلمة مكان كلمة مما يوجب اختلافاً بين الدعوات التي تكررت مع توجيه ذلك بلاغياً.

والمتشابه اللفظي في القرآن الكريم من الموضوعات التي شغلت عدداً كبيراً من علماء التفسير والبيان فعكفوا على تدبر ما في القرآن، من ذلك، وبيان موجبات

(١) ينظر: المناسبة في القرآن دراسة لغوية أسلوبية - مصطفى شعبان، ص ١٧٢-١٧٣.

(٢) ينظر: نظم الدرر ١/ ٢٤١.

اختلاف التعبير بينها، وتوجيه معانيها رداً على بعض مطاعن الملحددين الذين رأوا في المتشابه اللفظي في القرآن تكراراً ينافي بلاغة القرآن ويناقض إعجازه. وتتفق تعريفات البلاغيين على أن المتشابه اللفظي من آيات القرآن هو: أن يتكرر مجيء الآيات القرآنية في ألفاظ متشابهة وصوراً متعددة وفواصل مختلفة مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي^(١).

ومن أمثلة ذلك ما جاء في سياق دعاء نوح عليه السلام على قومه وطلب النصر من ربه حيث تعددت صيغ دعائه عليه السلام، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ [المؤمنون: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾ [القمر: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦]. فهذه الدعوات تتشابه في كثير من أجزاء النظم، وقد وقع فيها إبدال وتغيير. ففي "سورة المؤمنون" جاء الدعاء بلفظ ﴿ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ [المؤمنون: ٢٦]، وهو متناسب مع موقف قومه الوارد في السورة ذاتها حيث لم يسبق تصريح من قومه بإهانتهم أو التضييق عليه أو إيذائه، وغاية ما ورد من مجابته قولهم: ﴿ فَتَرَىٰ صُورَهُمْ حَتَّىٰ جِئْتَ ﴾ [المؤمنون: ٢٥]. وهذا اقتضى أن يقتصر على طلب النصر من ربه دون الدعاء عليهم بالهلاك أو العذاب ونحو ذلك. وفي سورة القمر جاء الدعاء بلفظ ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾ [القمر: ١٠]، وفي هذا الدعاء جاء طلب النصر من ربه والغلبة مع الانتقام وهذا مستفاد من قوله: ﴿ فَانْتَصِرْ ﴾ أي بمعنى: انتقم^(٢). وزيادة بعض الحروف في لفظ ﴿ فَانْتَصِرْ ﴾ يقابلها زيادة في المعنى، كما أن التعبير بأنه ﴿ مَغْلُوبٌ ﴾ وصف لضعفه ومدعاة لطلب النصر وسرعة الانتقام.

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/ ١٤٥، ومعترك الأقران للسيوطي: ١/ ٨٥، وإغاثة اللهفان في ضبط متشابهات القرآن للوارقي: ص ٣٧. ومن بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم لمحمد علي الصامل: ص ١٣.
(٢) ينظر: البحر المديد: ٦/ ٦٢٩، وتفسير أبي السعود: ٦/ ٧٨، وزاد المسير لابن الجوزي: ٨/ ٩٢.

وهذه الألفاظ جاءت متوافقة مع موقفهم الذي جاء في سورة القمر حيث جابهوه بالعناد ووصموه بالجنون وزجروه وعنفوه كما قال تعالى واصفاً حال قومه: ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر: ٩]. وأما دعاء نوح عليه السلام الوارد في سورة نوح فهو أعنف دعواته وأشدّها؛ إذ طلب من ربه تعالى أن ينزل عليهم الهلاك والعذاب بعد أن اجتهد في دعوتهم وبذل لهم جميع الوسائل فما زادهم ذلك إلا عناداً وكفراً وجعلهم يتواصون بالعكوف على أصنامهم كل ذلك جعله يدعو عليهم دعاءً يتوافق وموقفهم الوارد في صدر السورة وجاء مناسباً لسياق الآيات. وهكذا نلمس سرّ التباين والاختلاف في دعاء نوح عليه السلام في المواضع الثلاثة من قصّته.

وقد تشابه دعاء نوح عليه السلام بقوله: ﴿وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح: ٢٤] مع دعائه في آخر السورة ﴿وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا﴾ [نوح: ٢٨]، مع اختلاف الفاصلة بين الدعاءين، وقد جاء الدعاء في الآيتين مناسباً لموضعه وسياقه.

وعند النظر إلى نظم الآية الأولى نجد أنها جاءت بزيادة الضلال الذي هو العدول عن الطريق المستقيم وعدم الهداية، وذلك أنّ نوحاً عليه السلام بذل كلّ ما في وسعه في سبيل دعوتهم، فلم يزدهم ذلك إلا عدولاً عن الطريق ونكوساً عن الهداية، ثم دعا عليهم أن يزيدهم الله ضلالاً بسبب ضلالهم وإضلالهم بعد أن أمروا أتباعهم بالتمسك بعبادة الأصنام وأضلوا الناس عن الهداية؛ لما قالوا: ﴿لَا نَدْرَأُ الْهَتَكَ وَلَا نَدْرَأُ وَدًّا وَلَا سِوَاعًا﴾، وأنهم قد ﴿أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، فناسب الدعاء ﴿وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾.

وأما الدعاء ﴿وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا﴾، فإنّ معناه زدهم هلاكاً على هلاك وعذاباً فوق عذاب بعد أن دعا عليهم بالهلاك بقوله: ﴿لَا نَدْرَأُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾. وهذا هو سرّ التنوع في الدعاء عليهم، وهو خلاصة ما أجاب به ابن الزبير

الغرناطي إذ قال: «لسائل أن يسأل عن وجه اختلاف ما دعا به نوح عليه السلام، على قومه في الموضوعين؟. والجواب عن ذلك أن نوحاً عليه السلام لما ذكر أولاً في إخبار الله سبحانه - عن عصيان قومه له، وقولهم: ﴿لَا نَدْرُءُ الْهَتَكُمْ﴾ أي لا تتركوها: ﴿وَلَا نَدْرُءُ دَاً وَلَا سُوعَاً﴾ إلى قوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ أردف هذا بما يناسبه من الدعاء في زيادة ضلالهم ولم يدع هنا بهلاكهم. وأمّا الآية الثانية فقد تقدمها دعاؤه عليه السلام بهلاكهم وأخذهم في قوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ فأتبع ذلك بما يناسبه تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا﴾ أي هلاكاً^(١).

ومن متشابه دعاء الأنبياء ما جاء على لسان أيوب عليه السلام، حيث ورد دعاؤه في سورتين هما (الأنبياء) و(ص) ووقع بين الدعاءين فروق بإبدال لفظة مكان أخرى. ففي سورة الأنبياء جاء إخبار الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

وفي سورة (ص) أخبر عنه - سبحانه - بقوله: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص: ٤١].

والمتمثل في هذين الدعائين يلحظ التشابه بينهما مع ورود بعض الاختلاف في الدعاء، ومن ذلك اختلاف نداء أيوب عليه السلام، في نسبة المس الذي أصابه إلى فاعله، ففي سورة الأنبياء ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾. وفي (ص): ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾، وفي كلا التعبيرين حسن أدب مع الله تبارك وتعالى حيث لم ينسب الضر إلى ربه مع أن الله هو فاعل ما أصابه، ومرّد ذلك الاختلاف في كلّ موضع إلى سياق الآيات من السورة، ففي سورة الأنبياء كان الإخبار عمّا أصابه من ابتلاء مسوقاً على سبيل الإيجاز

(١) ملاك التأويل: ٩١٢/٢.

والاختصار.

وسورة الأنبياء جاءت مبينة على الحرص على إيراد موضع النعمة من الله تعالى على أنبيائه بنصرتهم وإغداق الرحمة عليهم بعد استعانتهم به ودعائهم له عندما يصيبهم البلاء^(١)؛ ولهذا جاءت دعوة أيوب عليه السلام في الأنبياء بعدم الإفصاح عما أصابه من البلاء وذكره مجهلاً من دون تصريح فقال: ﴿مَسْفِي الضُّرِّ﴾ أي مطلق الضرر.

وأما في (ص)، فقد أسند المس إلى الشيطان وذلك؛ لأن السورة بكاملها جاءت في بيان صبر الأنبياء على ما يصيبهم من فتن، وبيان أنهم تَوَّابُونَ وَأَوَّابُونَ لربهم^(٢).

فكان ذلك مدعاة لشيء من بيان ما أصاب أيوب عليه السلام من البلاء والامتحان، وتصوير بلائه ونسبة ما أصابه إلى الشيطان أليق والصبر على أذى الشيطان أعلى من الصبر على الضَّرِّ - بالضم - الذي هو الضرر في النفس من مرض أو هزال^(٣). والله سبحانه وتعالى أعلم بذلك.

وفي سياق الحديث عن دعاء زكريا عليه السلام أن يهبه ولداً جاء قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]. وجاء قوله تعالى: ﴿ذَكَرْتُمْ رَبَّكُمْ عَبْدَهُ، زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٢-٤]. وجاء قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

والتأمل في سياق هذه الآيات يجد أنها اتفقت في موضوعها وجاءت بألفاظ متشابهة مع اختلاف في النظم بإبدال لفظة مكان أخرى واختلاف فواصل الآيات.

(١) ينظر: نظم الدرر: ١٠٤/٥.

(٢) ينظر: درة التنزيل: ١٦٧، وملاك التأويل: ٨٤٣/٢.

(٣) لسان العرب، ٤/٤٨٦، مادة (ضرر).

ومن تلك الفروق جاء التعبير بطلب الولد في آل عمران بلفظ ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾^١ ، وفي سورة مريم جاء بلفظ ﴿وَلِيًّا﴾ ، وفي الأنبياء بلفظ ﴿لَا تَدْرِي فَرَدًّا﴾ فقد قيل : إنه لما كان السابق على القصة في آل عمران ناطقاً بالذرية الطيبة في قوله : ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤] وما كان من مشاهدة زكريا لاصطفاء الله لآل عمران كان من المناسب أن يدعو بقوله : ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولما كان طلب الولد في سورة مريم معللاً بقوله : ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِ﴾ [مريم: ٥] أي: خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي. كان من المناسب أن يدعو بعد ذلك بقوله : ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ يرثني ويرث من آل يعقوب^٢ [مريم: ٥-٦] ليطلب ولياً يخلفه في وراثته الدين .

وفي الأنبياء جاء قوله تعالى على لسان زكريا : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَدْرِي فَرَدًّا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩] ؛ وذلك بعد أن تضمنت السورة الكثير من قصص الأنبياء الذين أيدهم الله بذريتهم ، ففي قصة إبراهيم جاء قوله : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢].

وفي قصة داود جاء ذكره مع ابنه سليمان ، مما يدل على السورة جاءت مبينة منه الله تعالى بتأييد الأنبياء بأبنائهم مما اقتضى التعبير في قصة زكريا بقوله : ﴿لَا تَدْرِي فَرَدًّا﴾ ، فاستجاب الله له فوهبه يحيى كما قال تعالى : ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَى﴾ [الأنبياء: ٩٠].^(١)

وقد تميز متشابه القرآن في دعاء الأنبياء بميزات أسلوبية تتمثل في ملاءمة المفردة لسياقها الواردة فيها، بما لها من دقيق المعاني وخفي الإشارات.

(١) ينظر: متشابه النظم في قصص الأنبياء مقارنة وتحليل ، عبد الغني الراجحي ص، ٤١٤ رسالة دكتوراه ، رقم ٧٦ ، جامعة الأزهر ، كلية أصول الدين ، القاهرة .

وقد اقتضى تنوع أدعية الأنبياء في القرآن تنوع الأسلوب تبعاً لاختصاص مقام الخطاب، كما جاء هذا التنوع زاخراً بجماليات النظم والبيان، وهو وارد على ما يقتضيه المقام دون تناقض أو اضطراب.

الخاتمة

تناولت في الفصول السابقة تحليل دعوات الأنبياء الواردة في القرآن تحليلاً بلاغياً، يكشف عن خصائص تلك الدعوات، وأسرارها البيانية، وما فيها من تشابه وتنوع وتناسب.

وقد بدأت الحديث بتمهيد تناولت فيه مفهوم الدعاء، واستعمالاته اللغوية وأنواعه، إضافة إلى مكانة دعاء الأنبياء الوارد في القرآن الكريم، واتبعت ذلك بالفصل الأول وفيه تناولت مقاصد دعاء الأنبياء، ثم جاء الفصل الثاني وفيه تناولت الخصائص البلاغية لهذه الدعوات.

وبعد هذه المسيرة أرصد بعض الحقائق والنتائج التالية:

- دعاء الأنبياء في القرآن الكريم متميز في بنائه المحكم وصياغته الدقيقة وهي تمثل السمات العامة لأسلوب القرآن الكريم.

- تضمنت دعوات الأنبياء مطالب سامية ومقاصد عالية من خيري الدنيا والآخرة.

- جاءت دعوات الأنبياء تنبئ عن قدر كبير من المشاعر النفسية، كالرجاء والخوف والرغبة والرغبة والتعظيم والإجلال والخضوع لله تعالى.

- اتسمت دعوات الأنبياء بالوضوح والجمال، كما اتسمت بالخصائص التصويرية من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية.

- المتأمل في دعواتهم يلحظ إشار لفظ (الرب)؛ لما في ذلك من استشعار معاني التربية والإنعام والتفضل على المربوب.

- من خصائص الألفاظ في دعواتهم الدقة في الاختيار، ووضع المفردة في

موضعها المناسب.

- من خصائص التعبير في دعواتهم تنوع أساليبهم بين الإنشاء والخبر والمزاوجة بين اختيار الجمل الاسمية والفعلية والربط بين تراكيبيهم. وفي الختام أوجه أنظار الباحثين إلى أهمية الدراسات البلاغية التطبيقية للقرآن الكريم، ففي ذلك علم غزير وذخائر بيانية عالية، وسيظل القرآن الكريم كتاباً معجزاً لا تنفذ عجائبه ولا تنتهي أسرارها.

قائمة المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي ، مطبعة الحلبي القاهرة عام ١٣٨٩ هـ
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، المعروف بتفسير أبي السعود، لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الأصول في النحو لابن السراج، تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت. ط ٣/ ١٩٨٨ م.
- أضواء البيان - محمد الأمين الشنقيطي ، تحقيق نخبة من أهل العلم ، عالم الكتب مكة المكرمة، عام ١٤٢٦ هـ
- إعراب القرآن للنحاس ، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، بيروت.
- إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية، دار ابن كثير، بيروت. ١٤١٥ هـ.
- إغائة اللهفان في ضبط متشابهات القرآن للوارقي، مكتبة الحياة الإسكندرية.
- أنوار الربيع في أنواع البديع، لصدر الدين بن معصوم ، تحقيق شاکر هادي ، عام ١٣٨٨ هـ
- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني. دار إحياء العلوم، بيروت، ط ٤/ ١٩٩٨ م.
- البحر المديد، لابن عجيبة، دار الكتب العلمية، بيروت. ط ٢، ٢٠٠٢ م = ١٤٢٣ هـ.
- بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرين، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٦ - ١٩٩٦ م.
- البداية والنهاية، لابن كثير ، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، الجزيرة، ط ١/ ١٤١٧ هـ = ١٩٩٨ م.
- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي-. ، تحقيق: محمد أي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ط ١/ ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م.
- البلاغة العربية، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دمشق، دار القلم، ط ١.
- بيان إعجاز القرآن - أبو سليمان الخطابي ، تحقيق محمد خلف الله ، دار المعارف القاهرة ط ٢ عام ١٣٨٧ هـ
- التحرير والتنوير، لابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، ط/ تونس ١٩٩٧ م.
- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق : الشيخ عادل أحمد وآخرين ، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، ط ١، - ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م.

- تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- تفسير القرآن الكريم، لابن القيم دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٤١٠هـ.
- تفسير اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١/١٤١٩ هـ = ١٩٩٨م.
- تفسير روح البيان، لإسماعيل حقي الحنفي، دار إحياء التراث العربي.
- تلخيص البيان في مجاز القرآن - الشريف الرضي، ط ١ عام ١٩٨٦ م
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المعروف بتفسير السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط ١/١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠م.
- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مع تصحيحات الألباني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن، المشهور بتفسير القرطبي - القرطبي. تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣م.
- الجنى الداني في حروف المعاني - للمرادي
- حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي - شهاب الدين الخفاجي، دار صادر بيروت.
- خصائص التراكيب - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني - محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٦، ١٤٢٥ هـ.
- خصائص التعبير القرآني، عبد العظيم المطعني، دار وهبة، القاهرة، ط ١.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط ١/١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. محمد التنجني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١/١٩٩٥م.
- دلائل التراكيب، - محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة القاهرة ط ٢ عام ١٤٠٨ هـ
- روح المعاني المعروف بتفسير الألوسي شهاب الدين الألوسي، دار إحياء التراث بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٣، ١٤٠٤ هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت. ط ٢٧، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م.

- الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١/ ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- سنن النسائي الكبرى، للنسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل
- شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٠ هـ.
- الصحاح - الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٢ عام ١٣٩٩ هـ
- الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. بيروت.
- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١ / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، ط ١ / ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م.
- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، - لمحمد بن علان المكي. دار الفكر، ط ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م.
- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، تحقيق لجنة التراث العربي، بيروت ط / ٥ عام ١٤٠٣ هـ
- الفوائد لابن القيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٣ / ١٣٩٣ - ١٩٧٣ م.
- في ظلال القرآن - سيد قطب، دار الشروق، القاهرة ط ١٧ عام ١٤١٢ هـ
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، بيروت.
- لسان العرب لابن منظور، ط ١ / دار صادر - بيروت.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥ م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار

- الكتاب العربي - بيروت، ط ٢ / هـ ١٣٩٣ - ١٩٧٣ م.
- مدارك التزويل وحقائق التأويل - تفسير النسفي، لأبي البركات النسفي، تحقيق مروان الشعار، دار النفائس، بيروت ٢٠٠٥هـ.
- المطول على التلخيص - سعد الدين التفتازاني، بدون بيانات.
- المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، المكتبة الأميرية ط ٤ عام ١٩٨٣ م
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للشيخ عبد الرحيم العباسي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، ١٣٦٧هـ ١٩٤٧ م. بيروت.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط ٦ / دار الفكر، بيروت.
- مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، للفخر الرازي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ / ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠ م.
- ملاك التأويل - ابن الزبير الغرناطي، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي ط ١ عام ١٩٨٣ م
- من أسرار التعبير في القرآن (حروف القرآن)، عبد الفتاح لاشين، مكتبة عكاظ، جدة عام ١٤٠٣هـ، ط ١.
- من أسرار المغيرة في نسق الفاصلة، محمد الخضري، عام ١٤١٤ هـ
- من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، د. محمد علي الصامل، دار إشبيليا، الرياض عام ١٤٢٢هـ.
- المناسبة في القرآن دراسة لغوية أسلوبية - مصطفى شعبان، الاسكندرية عام ١٤٢٧ هـ
- النحو الوافي، لعباس حسن، ط ١، دار المعارف، القاهرة.
- النداء في اللغة والقرآن، أحمد محمد فارس، دار الفكر، بيروت.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ ١٩٩٥ م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تحقيق عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوفيقية، بمصر.

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
١٩٣	الملخص
١٩٤	المقدمة
١٩٧	التمهيد
١٩٧	مفهوم الدعاء واستعمالاته اللغوية وأنواعه
١٩٩	منزلة دعاء الأنبياء في القرآن الكريم
٢٠٣	الفصل الأول: مقاصد دعاء الأنبياء
٢٠٣	المبحث الأول: ما يتعلق بأقوامهم وأممهم
٢٠٣	المطلب الأول: الدعاء لأقوامهم وأممهم بالهداية والخير
٢١٣	المطلب الثاني: الدعاء على أقوامهم بالهلاك والعذاب
٢٢٤	المبحث الثاني: ما يتعلق بأنفسهم وأهلبيهم
٢٢٤	المطلب الأول: ما يتعلق بالنفس
٢٤٦	المطلب الثاني: ما يتعلق بالأهل
٢٥٥	الفصل الثاني: الخصائص البلاغية لدعاء الأنبياء
٢٥٥	المبحث الأول: بناء لغة دعاء الأنبياء
٢٦٣	المبحث الثاني: بلاغة التناسب في دعاء الأنبياء
٢٧٣	المبحث الثالث: أسرار التشابه والتنوع في دعاء الأنبياء
٢٨٠	الخاتمة
٢٨٢	قائمة المصادر والمراجع

ابن النجار الدمشقي وكتابه "القواعد الحسان في إعراب أم القرآن" دراسة منهجية نقدية

د. عمار بن أمين بن محمد الددو *

أستاذ النحو والصرف المساعد بقسم اللغة العربية - كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية في جامعة القصيم *

* من مواليد عام ١٣٨٢هـ بقرية "كفر عويد" بسوريا.

- تخرج في كلية التربية بجامعة صلاح الدين، بمدينة أربيل في العراق، عام ١٤٠٩هـ.
- نال شهادة الماجستير من قسم اللغة العربية كلية التربية بجامعة المستنصرية في بغداد عام ١٤١٥هـ بأطروحته: "البحث الدلالي في كتب معاني القرآن الكريم لأبي عبيدة والأخفش والفراء"، كما نال شهادة الدكتوراه من قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة بغداد عام ١٤٢٠هـ بأطروحته: "المستتير في القراءات العشر لابن سوار البغدادي، ت ٤٩٦هـ: دراسة وتحقيق" (مطبوع).

- له عدد من التحقيقات المنشورة، منها: "التجريد والاختلاف بين يعقوب بن إسحاق الحضرمي، وبين نافع" لأبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي، ت ٤٧٦هـ، "مفردة ابن محيصة" لأبي علي الأهوازي، ت ٤٤٦هـ .

• البريد الإلكتروني : ammar4533@yahoo.com

الملخص

هذا بحث تدور مادته حول ثلاثة محاور رئيسة هي: حياة ابن النجار الدمشقي المتوفى سنة سبع وستين وثمان مئة، وكتابه «القواعد الحسان في إعراب أم القرآن»، ومنهجه في هذا الكتاب. إذ أضاف الباحث في المحور الأول: بعض المعلومات المهمة في حياة ابن النجار، لم يذكرها أحد ممن سبقه في الكتابة عنه، بعضها يتعلق في سنة وفاته، وأخرى في تلاميذه ومشايخه، وثالثة في مكانته العلمية بين أبناء عصره، وفي المحور الثاني: كشف النقاب عن مؤلف نحوي مهم من مؤلفات هذا العالم الجليل، لم يذكره أيضاً أحد ممن كتب عنه من المتقدمين والمتأخرين، وأوضح في المحور الثالث: أن ابن النجار ليس مجرد مقرئ فحسب، وإنما هو نحوي معتبر، ومصنف بارع له منهج يستحق الكشف عن معالمه، إذ حاول أن يربط بين طرفي النحو النظري منها والتطبيقي، وأن يُنبّه طالب العلم إلى أهمية النحو في فهم معاني القرآن، وأهمية القرآن في ضبط قواعد النحو العربي.

أما من حيث الخطة فقد اقتضت أن تكون على ثلاثة فصول، درست في الأول منها: حياة ابن النجار في مبحثين، ودرست في الفصل الثاني: الكتاب في مبحثين أيضاً. ودرست في الفصل الثالث: منهج ابن النجار في كتابه، في ثلاثة مباحث، ويسبق ذلك مقدمة، وتمهيد، ويعقبها خاتمة ذكرت فيها ما توصلت إليه من النتائج والحقائق العلمية.

والله ولي التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحابه أجمعين، وبعد.

فإن كثيراً من أهل العلم اليوم، يرون أن النحو العربي لا زالت به حاجة إلى سبك موضوعاته في بوتقة منهج علمي يمكّن طالبه من حفظ قواعده، وضبط شوارده، أو على الأقل ضبط ما يقوم به المرء لسانه، ويسدّد به بنانه، على كثرة ما كُتب وصنّف فيه منذ صدر الإسلام الأول إلى يومنا هذا، والظاهر أن هذا الأمر كان يشغل علماء العربية الأوائل أيضاً، لذا كثرت في ذلك المصنفات، وتنوعت فيه المؤلفات، وتباينت في ذلك مناهج المطولات منه والمختصرات.

ولا زالت الأيام تطالعنا بما هو جديد من آثار علماء أمتنا الأوائل في هذا الباب من العلم، ممن حاولوا أن يعرضوا النحو العربي بطريقة تكون أقرب للفهم، وأيسر في الحفظ، تناسب الفطرة البشرية التي تميل إلى البساطة وعدم التعقيد، وهم طائفة قليلة من العلماء الذين اتخذوا من سورة الفاتحة سبيلاً لهم لعرض موضوعات هذا العلم الجليل، الذي يحتاجه كل طالب علم، وكان منهم ابن النجار الدمشقي، المتوفى سنة سبع وستين وثمان مئة، في كتابه (القواعد الحسان في إعراب أم القرآن) الذي لا يزال مخطوطاً إلى اليوم، إذ انطلق فيه ابن النجار في تعليم قواعد النحو الضرورية لطالب العلم، وكذا بعض مسائله الصرفية، من خلال القرآن، ومن خلال أشهر سورة فيه ألا وهي سورة الفاتحة، وهي محاولة ناجحة ومتميزة فيما أرى، لأنها ربطت بين جانبي النحو النظري منه والتطبيقي، ولا شك أن هذه الطريقة تشعر طالب العلم بأهمية النحو لفهم معاني القرآني، وتتيح له فرصة للوقوف على أمثلة كثيرة فصيحة ومتنوعة.

لذا أثار اهتمامي هذا الكتاب واقتضى مني هذه الوقفة؛ لكشف النقاب عنه، علَّه يكون منارةً هداية لقاصدي فهم قواعد النحو العربي.

هذا من حيث أهمية هذا الموضوع، وسبب الكتابة فيه، أما المصادر التي بُنيت منها مادته فكان في مقدمتها «القواعد الحسان» الذي هو ميدان البحث، وبعض ما وقفت عليه من مؤلفات ابن النجار المخطوطة الأخرى، وفاتحة الإعراب للإسفراييني، وإعراب أم الكتاب لابن المنفلوطي، وبعض كتب التراجم، وكتب النحو، وغيرها.

وكان من دواعي هذا البحث أن أقف على جميع ما ذكرته فهارس المخطوطات من كتب إعراب الفاتحة، فيسر الله لي الوقوف على أكثرها، فله الحمد والشكر، وتبينت لي في ذلك بعض الحقائق أثبتُّها في مواطنها.

أما من حيث خطته فقد اقتضت أن تكون على ثلاثة فصول، درست في الأول منها حياة ابن النجار في مبحثين، خصصت الأول منها لاسمه، ومولده ونشأته، ومكانته العلمية، وخصصت الثاني لشيوخته وتلاميذه، ووفاته وآثاره.

و درست في الفصل الثاني الكتاب في مبحثين أيضاً، خصصت الأول منها لوصف الكتاب، وتوثيق عنوانه، ونسبته، وأسباب تأليفه، وخصصت الثاني لموضوعاته، ومصادره، وقيمه العلمية.

و درست في الفصل الثالث منهج ابن النجار في كتابه، في ثلاثة مباحث، خصصت الأول منها لبيان أسلوب ابن النجار في عرض مادة الكتاب، وبيان أبرز سمات منهجه، وخصصت الثاني لموقف ابن النجار من الشاهد النحوي واعتماد الدليل، وخصصت الثالث: للموازنة بين منهج ابن النجار وما كان مثله في بابه، وبعض الملاحظات على منهجه.

ويسبق ذلك مقدمة، وتمهيد ذكرت فيه معلومات مهمة تتعلق بكتب إعراب الفاتحة، ثم يعقب ذلك كله خاتمة ذكرت فيها ما توصلت إليه من النتائج والحقائق العلمية.

ولا يفوتني هنا وقبل الختام أن أزجي خالص شكري وتقديري إلى الأخ الأستاذ الدكتور سليمان بن إبراهيم العايد، رئيس تحرير المجلة، ونائبه الأستاذ سالم بن صالح العماري، والدكتور خالد بن يوسف الواصل، مدير التحرير، على جهودهم في نشر هذا البحث في مجلتهم الغراء، وإلى المحكمين الكريمين على ما أبدياه من ملحوظات قيمة، وبودي أن أسجل هنا ما جاء في مقدمة تقرير المحكم الأول، فهي شهادة أعتز بها إذ يقول: «اطلعتُ على البحث الموسوم بـ (ابن النجار الدمشقي وكتابه القواعد الحسان في إعراب أم القرآن: دراسة منهجية نقدية) فألفيته بحثاً علمياً بذل فيه صاحبه جهداً واضحاً، وعاد فيه إلى مصادر أصيلة مخطوطة ومطبوعة، كما تميّز بالتوثيق الوافي الذي استوعب المسائل التي تصدّى لها، كما تميّز بالمناقشة المتوازنة، ووضوح شخصية الباحث، وتعقب بعض أصحاب الدراسات المعاصرة، وصحح بعض النتائج التي انتهوا إليها أو الأوهام التي وقعوا فيها، ولغته سليمة في الجملة. وانتهى البحث إلى نتائج واضحة من المقدمات التي عقدها، ونشجعه على تحقيق النص الذي درسه».

هذا والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم وأهله، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابه أجمعين.

الدكتور عمار أمين الددو - القصيم، بريدة

التمهيد

عناية العلماء بإعراب سورة الفاتحة

اعتنى علماء الأمة عناية خاصة بسورة الفاتحة؛ لما لها من خصوصية معلومة، فأفردوا لها عشرات الكتب، لتفسير آيها، وتجويد حروفها، وبيان مواضع البلاغة فيها، وما لها من الفضائل، وكان للنحاة ومعربي القرآن سهم وافر في هذا الخير^(١)، إذ وقفت على جملة من الكتب التي قد أفردت لإعراب هذه السورة المباركة، وصل إلينا بعضها، وحظي بالتحقيق واحد فقط، فيما أعلم، وقد حاولت في هذه الدراسة ذكر ما وقفت عليه من معلومات عنها، بغية التوثيق والإفادة، وربتها ترتيباً زمنياً، وهي:

١- الواضحة في إعراب الفاتحة، لعبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي الموصلي، البغدادي، الشافعي، نزيل حلب، يعرف بابن اللباد، (ت: ٦٢٩هـ)^(٢)، مفقودة.

٢- فاتحة الإعراب بإعراب الفاتحة، للإسفراييني، محمد بن محمد بن أحمد، (ت: ٦٨٤هـ)، طبعت بتحقيق حسن البدري النادي، دار الزيني للطباعة، القاهرة ١٩٧٨، ونشرت أيضاً بتحقيق: الدكتور عفيف عبد الرحمن، مطبوعات جامعة اليرموك ١٩٨١م^(٣)، ووقفت في (الانترنت) على بيانات تشير إلى أن الدكتور

(١) هذا فضلاً عن الكتب التي عنيت بإعراب القرآن كاملاً، أو بعض سورته، فهي كثيرة جداً أفرد لها أخي وصديقي الدكتور يوسف العيسوي كتاباً خاصاً سماه (علم إعراب القرآن تأصيل وبيان) يقع في (٣٥٥) صفحة، طبع في دار الصمعي، في السعودية، سنة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م. وللوقوف على المصنفات التي صنفت في إعراب القرآن قديمها وحديثها؛ ينظر كتاب: علم إعراب القرآن تأصيل وبيان ص ١٣٢، وما بعدها.
(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٢١-٣٢٤، وهدية العارفين ١/٣٢٥، وكشف الظنون ١/١٢٣. ذكرت في كتاب: علم إعراب القرآن ص ١٥٠، تحت عنوان (إعراب الفاتحة). والصواب ما أثبتته.
(٣) ينظر: علم إعراب القرآن ١٥١.

محسن سالم العميري، قد حققها أيضاً، وهي تحت النشر في معهد إحياء التراث بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة.

٣- إعراب أم الكتاب: ابن المنفلوطي، ولي الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف العثماني الديباجي، المعروف بابن المنفلوطي، الشافعي، (ت: ٧٤٤هـ)^(١)، منها نسخة مخطوطة مختصرة جداً في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم (٣٢١٦)، تقع في (٨) ورقات، خطها قديم ورديء جداً، عندي صورة منها، ومنها نسخة أخرى تامة في المكتبة الظاهرية أيضاً، تحت عنوان (إعراب التعود والفاحة)، رقم (١٨٠٢)، تقع في (٢٣) ورقة، عندي صورة منها أيضاً، لم يعرف المفهرس مؤلفها، وبعد مزيد من البحث والتقصي، تبين لي، بفضل الله، أنها النسخة الأصل من هذا الكتاب، وأن الأولى مختصرة عنها. وهي نسخة جيدة وتامة^(٢)، تستحق العناية والتحقيق.

٤- كتاب إعراب الفاتحة: تصنيف الشيخ الإمام العالم العلامة سعد الدين التفتازاني. منه نسخة مخطوطة في متحف طوبقابي سراي، في تركيا رقم (أمنت حزينه سي ١٩٥١)، تقع في (١٢٦) ورقة^(٣)، تحمل الورقة الأولى منها هذا العنوان، وهذه النسبة، وهي نسخة جيدة وتامة، خطها جميل، ومضبوط بالشكل، وبعد مقابلة نصها بنص (فاتحة الإعراب) المتقدمة الذكر، تبين لي أنها كتاب واحد، وغدا

(١) تنظر ترجمته في: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣/١١٢، وشذرات الذهب ٦/٢٣٣، والأعلام ٢٢٧/٨.

(٢) منها نسخة تامة في المكتبة الظاهرية بدمشق، تقع في (٢٣) ورقة، في كل صفحة (٢١) سطراً، رقم (١٨٠٢). ينظر: الفهرس الشامل ١/٤٢٢، وعلم إعراب القرآن ١٥١. ولدي صورة منها.

(٣) منها صورة ميكروفلمية في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، رقم (٧٦٧). لدي صورة منها، وينظر: علم إعراب القرآن ١٥١.

الأمر بحاجة إلى مزيد من البحث لتوحيد العنوان وإقرار النسبة، ولا سيما أن محقق (فاتحة الإعراب) لم يعن بهذا الأمر الذي هو من ضروريات التحقيق، فمكثت يوماً أقلب الفكر والورق، إلى أن هداني الله إلى عبارة في نص الكتاب، كانت سبباً في الوصول إلى الحقيقة، وهي قوله: «وقد استقصينا هذه المسائل في كتابنا المترجم (بالمفتاح في شرح المصباح)»^(١)، ومن خلال الفهارس علمت أن كتاب المفتاح هو للإسفراييني، وأشارت كتب التراجم^(٢) أن للإسفرايين كتاباً بعنوان (فاتحة الإعراب بإعراب الفاتحة)، ثم إن نسخة دار الكتب المصرية التي اعتمد عليها المحقق الكريم، تحمل هذا العنوان منسوباً للإسفراييني، كما يقول المحقق^(٣). وعليه يمكننا القول: إن البيانات التي تحملها ورقة عنوان نسخة تركيا خاطئة، لم يتنبه لذلك المفهرسون، ولا صاحبنا الدكتور يوسف في كتابه علم إعراب القرآن^(٤)، ولا المحقق الكريم للكتاب. وتجب الإشارة هنا إلى أن من هذا الكتاب نسخة أخرى بعنوان (إعراب القرآن) منسوبة للرازي، في مكتبة جسترستي، تحت رقم (٣٣٧٤)، وهو أمر تنبه له المحقق الكريم، جزاه الله خيراً^(٥).

٥- القواعد الحسان في إعراب أم القرآن: لابن النجار الدمشقي، محمد بن أحمد بن داود، (ت: ٨٦٧هـ). وهو موضوع هذه الدراسة، وهو في طريقه للنشر محققاً إن شاء الله.

(١) ينظر: فاتحة الإعراب ١٥، ومن هذا الكتاب نسختان مخطوطتان، من غير نسبة، في مكتبة الأوقاف بحلب رقم (٥) ٣٥٧٤ / ٢١٩٣. والثانية برقم ٧٧٢ / ٢٩٢٣. ينظر: خزانة التراث التي أصدرها مركز الملك فيصل.

(٢) ينظر: الأعلام للزركلي ٧ / ٢١.

(٣) ينظر: فاتحة الإعراب، مقدمة التحقيق، الصفحة (م). والغريب أن المحقق لم يلحق بالدراسة صورة الصفحة الأولى من هذه النسخة، لتوثيق ذلك، وليس عندي صورة منها.

(٤) ينظر: علم إعراب القرآن ١٥١.

(٥) ينظر: فاتحة الإعراب، مقدمة التحقيق، الصفحة (ل).

٦- إعراب الفاتحة والسور التسع الأخيرة، لخالد الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر، ت ٩٠٥هـ، مخطوط^(١).

٧- إعراب سورة الفاتحة: للبركوي، محيي الدين محمد بن بير علي بن إسكندر المؤيدي الرومي (ت: ٩٨١هـ). نسبه إليه أخي وصديقي الدكتور يوسف العيساوي^(٢)، معتمداً على الفهرس الشامل (١/٦١٧-٦١٨)، وأخذ على محقق (مقدمة التفسير) للبركوي، عدم ذكره له في مقدمة تحقيقه. والحق أني رجعت إلى الفهرس الشامل، فلم أجد ذكراً لهذا الكتاب فيه.

٨- إعراب أم القرآن: لابن رجب الحنبلي، (ت: ٧٩٥هـ)، نسبه إليه الباحث محمد ناصر العجمي، في مقدمة تحقيقه لكتاب (تفسير سورة النصر) لابن رجب الحنبلي، إذ أدرجه ضمن مؤلفاته، ولم يوثق ذلك^(٣). وقد تبعت هذا الأمر بالبحث والتقصي، فتبين لي أن الأخ الكريم إبراهيم اليحيى^(٤)، قد عثر على نسخة خطية من هذه المخطوطة، فاتصلت به وأبدت رغبتي في الحصول على صورة منها فأرسلها

(١) هذا العنوان من صنع الم فهرس. منه نسخ خطية في مكتبات العالم، إحداها في مكتبة جوتا في ألمانيا، رقم (٣٧٥ aus.arab.٥٣٩)، تقع في (٦) ورقات منسوخة سنة ١٠٢٥هـ. والثانية في المكتبة الوطنية في باريس، رقم (٧/٢٣١٦)، تقع في (٦)، ضمن مجموع (٧٨-٨٣). والثالثة: في مكتبة أوقاف الموصل في العراق، رقم (بكر/ ٧/٢٧٠)، تقع في (٣٥) ورقة. ضمن مجموع. وفي فهرس مخطوطات مكتبة المسجد النبوي الشريف، إشارة إلى وجود نسخة منه تحت رقم (٢١٥/ ٨٠/١٧)، تقع في (٢٢) ورقة، ضمن مجموع من (٩١-١١٢)، بعد شرح الأزهرية لخالد الأزهري، وبعد الرجوع إلى النسخة الأصلية في المسجد النبوي تبين أنها ساقطة من المجموع، ولا يوجد في خاتمة شرح الأزهرية إلا عبارة (ويليه إعراب الفاتحة..). وقد أهداني أخي فضيلة الشيخ محمد الصانع، رئيس قسم المخطوطات في المكتبة نسخة مصورة من هذا المجموع، جزاه الله خيراً. ينظر: الفهرس الشامل ١/٥١٧، وفهرس مخطوطات المسجد النبوي تسلسل ١٤٠٠، وعلم إعراب القرآن ١٥٢.

(٢) ينظر: علم إعراب القرآن ١٥٣.

(٣) ينظر: تفسير سورة النصر ص ١٤.

(٤) فهرس مخطوطات في مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض، محب للتراث، ومن أهل العلم.

إليّ مشكوراً، ونظرت فيها فوجدتها قد عنيت بتفسير سورة الفاتحة، وليس بإعرابها، وهي خالية من العنوان، والنسبة إلى مؤلفها، بيد أنها تحمل في طياتها ما يرجح نسبتها إلى ابن رجب الحنبلي، من ذلك قوله: «وقد حكى ابن عقيل^(١) من أصحابنا إجماع الفقهاء على ذلك»^(٢)، وقوله: «وهو قول مالك وأحمد واختاره طائفة من محققي أصحابنا كابن شاقلا»^(٣) وابن عقيل^(٤)، فهذا يعني أنّ المؤلف حنبلي المذهب، ثم إنّ ابن رجب من عادته إذا ما ذكر الحنابلة يقول: أصحابنا. إذ قال في كتابه ذيل طبقات الحنابلة، في ترجمة ابن عقيل هذا «.. وذلك أنّ أصحابنا كانوا ينتمون على ابن عقيل تردده على ابن الوليد»^(٥).

ومن ذلك قوله في الفن الرابع من كتابه تفسير الفاتحة: «أخبرنا محمد بن إسماعيل الأنصاري^(٦) أنا أبو الغنایم..»^(٧)، ومحمد بن إسماعيل هذا من شيوخ ابن رجب. وعليه فإذا ترجح أن هذا المخطوط لابن رجب الحنبلي فعلاً، فهو ليس في إعراب الفاتحة، وإنما في تفسيرها، ولذا يخرج من دائرة اهتمامنا في هذه الدراسة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا المخطوط لم يحقق بعد، حسب علمي، وهو جدير بالعناية والاهتمام.

(١) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادي، ت ٥١٣هـ. ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة ٣١٦/١.

(٢) ينظر: تفسير سورة الفاتحة، لابن رجب، مخطوط، ص ٣.

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان، الفقيه المعروف بابن شاقلا. ينظر: طبقات الحنابلة ١٢٧/٢، وسير أعلام النبلاء ١٦/٢٥٣.

(٤) ينظر: تفسير سورة الفاتحة، مخطوط، ص ٤.

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة ١/٣٢٢.

(٦) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن بركات بن سعد الدمشقي، الأنصاري، ت ٧٥٦هـ. ينظر: الدرر الكامنة ٥/١١٩، رقم (١٠١٦)، وذيل التقييد ١/٩٨، رقم (١١٤).

(٧) ينظر: تفسير سورة الفاتحة (مخطوط) ص ٨.

الفصل الأول

دراسة حياة ابن النجار الدمشقي

المبحث الأول

اسم المؤلف ونشأته، ومكانته العلمية

أولاً : كنيته واسمه ونسبته^(١):

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن داود، الدمشقي، الشافعي، المقرئ، الشهير بابن النجار. وهذه الشهرة دونها بخطه، في نهاية رسالة خطية أجاب فيها عن سؤال سائل بخصوص سورة الفاتحة، فقال: «كتبه محمد بن أحمد الشهير بابن النجار، كان الله له حيث لا يكون لنفسه، وأنس وحشته إذا وضع في رسمه»^(٢).

ثانياً : مولده ونشأته:

لم ينل ابن النجار حقه من الاهتمام عند المترجمين، فلم يذكر في كثير منها، ولولا ما كتبه عنه علم الدين السخاوي، ل بقي شبه مجهول، على مكانته العلمية، بيد أن ما كتبه عنه السخاوي، يقتضي وقفة يسيرة، وهي أنه ورّع ترجمته على شخصيتين وهما واحد، والله أعلم، وليبان هذا الأمر نذكر ما كتبه السخاوي نصاً في الموضوعين، للنظر فيهما وتحديد أوجه المطابقة، لتأكيد ما ذهبنا إليه، قال في الترجمة رقم (١٠٢٣) «محمد بن أحمد بن داود، الشمس أبو عبد الله الدمشقي الشافعي المقرئ

(١) تنظر ترجمته في: الضوء اللامع م٣/ج ٦/٣٠٨، وحوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران ٩٧، وشذرات الذهب ٧/٣١٠، والأعلام ٥/٣٣٤، ومعجم المؤلفين ٨/٢٥٩. وتجدر الإشارة هنا إلى أن محقق كتاب حوادث الزمان، عبد العزيز حروفوش، قد وهم في الإحالة إلى كتاب (بدائع الزهور في وقائع الدهور ٤/٢١٨) في ترجمة ابن النجار، لأن المذكور في بدائع الزهور رجل آخر.

(٢) مجموعة مؤلفات ابن النجار الخطية، في مكتبة برنستون، ق ١٦٣.

ويعرف بابن النجار. ولد سنة ثمان وثمانين وسبع مئة تقريباً وأخذ القراءات عن صدقة الضرير تلميذ ابن اللبان وبرع فيها وتصدر لها بجامع بني أمية وغيره فأخذها عنه الفضلاء كالسيد حمزة الحسيني وانتفعوا به فيها؛ وكان مع ذلك ماهراً في الحساب وله مجلس في مسجد يلبغا يعظ فيه الناس وكتب شرحاً على باب وقف حمزة وهشام من القصيد وكذا كتب في الأوجه الواقعة من آخر البقرة وأول آل عمران وعارضه فيها بعض تلامذته وغلطه في بعض مقالاته. ومات ظناً قريباً من سنة سبعين^(١).

وقال في الترجمة الثانية: «محمد الشمس بن النجار الدمشقي. كان نجاراً بارعاً في صنعته، متقدماً فيها خصوصاً في الأشياء الدقيقة، ثم أعرض عنها وأقبل على القراءات فأخذها عن صدقة المسحرائي، وابن الجزري، بل واشتغل في فنون وأدب الأبناء والوعظ، وكان خيراً. وممن قرأ عنده القطب الخيضي وأفاد ترجمته»^(٢). يلاحظ التطابق بين الشخصيتين في: الاسم، واللقب، والشهرة، والبلد، ومهنة النجارة، ثم صنعة العلم، والقراءة على صدقة المسحرائي، والاشتغال بالوعظ. ثم إن السخاوي ذكر أنه ترجم لأربعة أعلام يعرف كل منهم بابن النجار، ولم يذكر الأخير من بينهم.

لذا فالذي أراه أن صاحب الترجمة الثانية هو ابن النجار صاحبنا، ذلك لأنه ليس من السهل أن تتوفر جميع هذه الأمور في شخصين في آن واحد، ولو كان الأمر كذلك، لتنبه إليه السخاوي وميز بينهما دفعاً للبس. وعليه فإذا ثبت هذا، نكون قد ألمحنا إلى هذا السهو الذي وقع من السخاوي،

(١) الضوء اللامع م ٣/ج ٦/٣٠٨، رقم ١٠٢٣.

(٢) الضوء اللامع م ٥/ج ١٠/١٠٧، رقم ٣٧٣.

واستدركنا على من سبقنا لدراسة حياة ابن النجار، بعض المعلومات الجديدة والمهمة، وهي قراءته على علامة القراءات ابن الجزري، (ت: ٨٣٣هـ)، وتلمذة القطب الخيصري عليه، وإتقانه حِرْفَةَ النجارة، التي هي صنعة أجداده فيما يبدو، وعرفنا أيضاً أنه كان خيراً.

ثالثاً : مكانته العلمية:

الحق أني عقدت هذه الفقرة بعد أن اطلعت على ما عندي من مقدمات كتب ابن النجار المخطوطة، فتبين لي أنه كان مفتياً، ثقة، وهما أمران لم تذكرهما كتب التراجم، هذا فضلاً عن علو كعبه، وتصدره في علم القراءات، الذي شهدت له به كتب التراجم، وتؤيده مؤلفاته.

أما الإفتاء: فإني وقفت على رسالة تقع في صفحة واحدة بين كتبه، أقرّ في نهايتها أنه كتبها بخطه، يجيب فيها سائلاً يسأله، في أمر رجل قال قولاً غريباً في سورة الفاتحة، يستحق عليه العقوبة، وقد أجاب فيها السائل إجابة العالم الحاذق، فبين له خطأ هذا القول، والسبب الذي أوقع القائل فيه، فردّ القول وأنكره، وجنّب القائل التأديب والتعزير. لأن السائل فيما يبدو من أهل النفوذ والسلطان، لأنه طلب منه أن يحدد له نوع العقوبة التي يستحقها هذا الرجل، إن ثبت خطأه، أهى التأديب أم التعزير.

وأما كونه ثقة: فقد جاء في مقدمة رسالته في (مسألة تأمنا)، وفي مقدمة كتابه الرد الوافي للقول المنافي « الحمد لله، ما تقول السادة العلماء، أئمة القراء، الموثوق بنقلهم، المتصل سندهم بالدليل إلى سيدنا محمد [صلى الله عليه وسلم]، إلى

جبريل..»^(١).

ثم إنَّ مما يمكن الاستئناس به في هذا الباب، ما جاء في مقدمة مسألة:
﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطْرَانٍ﴾ «ما قول مولانا وسيدنا، شيخ الإسلام، علم العلماء
الأعلام، نادرة زمانه، وشيخ وقته وأوانه، وتذكرة القراء، وشيخ سيبويه
والفراء^(٢)، حامل لواء الرواية، المخصوص بالدراية...»^(٣).

وبهذا تتفرد هذه الدراسة، والفضل لله أولاً و آخراً، بالإشارة إلى هاتين
الخصلتين العلميتين اللتين تميز بهما ابن النجار.

(١) مجموعة مؤلفات ابن النجار الخطية، في مكتبة برنستون، ق ١٥٩، ١٧١.

(٢) هذا على سبيل المبالغة.

(٣) مجموعة مؤلفات ابن النجار الخطية، في مكتبة برنستون، ق ١٦٠.

المبحث الثاني

شيوخه، وتلاميذه، ووفاته، وأثاره

أولاً : شيوخه :

لا شك أن ابن النجار أخذ علومه عن جملة من العلماء، غير أن مصادر ترجمته ضنت علينا بذلك، فلم تذكر غير اثنين منهم وهما:

١ - صدقة بن سلامة بن حسين بن بدران المسحرائي الضير، (ت: ٨٢٥هـ)^(١).

٢ - محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، أبو الخير، مؤلف كتاب النشر، العلامة المشهور، (ت: ٨٣٣هـ)^(٢).

ثانياً : تلاميذه :

تقدم القول: إن ابن النجار قد تصدّر في الجامع الأموي لإقراء الناس علم القراءات، الذي أتقنه وبرع فيه، وهذا وحده كاف للقول إن تلاميذه أناس كثير، غير أن السخاوي لم يذكر في ترجمته غير اثنين منهم هما: حمزة الحسيني، والقطب الخيضي، لذا فقد اقتضى هذا الأمر البحث في ثنايا كتاب الضوء اللامع عن اسم ابن النجار، فاهتديت إلى أسماء تسعة عشر رجلاً ذكر أنهم تتلمذوا على ابن النجار، وهذه أسماؤهم منسوقة على حروف المعجم.

١ - إبراهيم بن أحمد بن عبد الكافي بن علي، الطباطبي، الشافعي، المقرئ، نزيل الحرمين، (ت: ٨٦٣هـ)^(٣).

(١) ينظر: الضوء اللامع م/٣/ج ٦/٣٠٨، رقم ١٠٢٣، ومقدمة غاية المراد ٢٥٤، ومقدمة الإفهام ١٣،

ومقدم الردّ المستقيم، لم ينشر بعد. وترجمة صدقة في غاية النهاية رقم (١٤٦١)،

(٢) ينظر: الضوء اللامع م/٥/ج ١٠/١٠٧، رقم (٣٧٣)

(٣) الضوء اللامع م/١/ج ١/١٤-١٥. بلا رقم.

- ٢- إبراهيم بن محمد بن محمد بن سليمان البعلي، الشافعي، (ت: ٨٦١هـ)، تلا عليه القرآن بالقراءات جمعاً بدمشق^(١).
- ٣- أحمد بن رمضان بن عبد الله، الشَّهاب، السُّليمانِي، ثمَّ الحلبي، الشافعي، الضرير، نزيل القاهرة، ويعرف بالشَّهاب الحلبي، المتوفى نحو (٨٨٠هـ)^(٢).
- ٤- حمزة بن أحمد بن علي بن محمد، الحسيني، الدمشقي، الشافعي، (ت: ٨٧٤هـ). تلا عليه جميع القرآن إفراداً وجمعاً^(٣).
- ٥- خليل الغرس، الكُتَّابِي، الدمشقي، الشافعي، أخذ عنه القراءات العشر، ولازمه^(٤).
- ٦- سعد الله بن حسين، الفارسي، السُّلَماسِي، الحنفي، المقرئ، نزيل بيت المقدس، وإمام الحنفية بالأقصى، توفي بالقاهرة سنة (٨٩٠هـ)^(٥).
- ٧- عبد العزيز بن محمد، الجرباوي، البغدادي، الدمشقي، (ت: ٩٠٣هـ)^(٦).
- ٨- عبد الله بن علي بن أحمد بن محمد، الزَّيدانيُّ الأَصْل، الدمشقي، الشافعي، ويعرف بالأقباعي. (ت: بعد ٨٩٤هـ)^(٧).
- ٩- عبد الوهاب بن عبد الله بن إبراهيم، الدمشقي، الشافعي، ويعرف بابن غزِيل، (ت: ٧٨٦هـ)^(٨).

(١) الضوء اللامع م ١/ج ١/١٦٠. وينظر: حوادث الزمان ص ٨٠

(٢) الضوء اللامع م ١/ج ٢/٣٠٢. بلا رقم

(٣) الضوء اللامع م ٢/ج ٣/١٦٣. رقم (٦٢٤).

(٤) الضوء اللامع م ٢/ج ٣/٢٠٦. رقم (٧٧٣).

(٥) الضوء اللامع م ٢/ج ٣/٢٤٦، رقم (٩٢٤).

(٦) متعة الأذهان ١/٤٣٠. وينظر: الكواكب السائرة ١/٢٣٨، وشذرات الذهب ٨/١٨.

(٧) الضوء اللامع م ٣/ج ٥/٣٣. رقم (١٢٠).

(٨) الضوء اللامع م ٣/ج ٥/١٠١. رقم (٣٨١).

- ١٠ - علي بن يوسف بن صبر الدين بن موسى الجبرتي، ثم الأزهرى، الشافعي، المقرئ، ويعرف بالجبرتي، (ت: ٨٤٦هـ)^(١).
- ١١ - محمد بن إبراهيم بن محمد، الغزي، الدمشقي، الحنفي، ويعرف بابن أبي عامر، قرأ عليه القرآن بالقراءات السبع من طريق الشاطبية والقراءات الثلاث تمة العشر إلى آخر سورة النساء^(٢).
- ١٢ - محمد بن أحمد بن محمد بن أيوب بن شهاب بن الشمس، الصفدي الأصل، الدمشقي، الشافعي، ويعرف بأبي الفضل، توفي بعد سنة (٩٢٠هـ)، أخذ القراءات عن ابن النجار جمعاً وإفراداً^(٣).
- ١٣ - محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد، الضرير، القبيعي، الشاغوري، الدمشقي، الشافعي، (ت: ٩٢٧هـ)^(٤).
- ١٤ - محمد بن عثمان بن علي، الجزيري، الشمس، الدمشقي، الشافعي، القاهري، (ت: ٨٨٨هـ)^(٥).
- ١٥ - محمد بن محمد بن عبد القادر، الغزي، المقرئ، الشافعي، ويعرف بالقادري، عمّر مئة وعشرين سنة^(٦).
- ١٦ - محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر بن سليمان، الدمشقي، الشافعي،

(١) الضوء اللامع م ٣/ج ٦/٥٣. رقم (١٤٧).

(٢) متعة الأذهان ٢/٥٩٠. وينظر: الكواكب السائرة ١/٢٦-٢٧، وشدرات الذهب ٨/١٠.

(٣) الضوء اللامع م ٤/ج ٧/٥٥، رقم (١١١).

(٤) متعة الأذهان ٢/٦٨٥-٦٨٦. وينظر: الكواكب السائرة ١/٥٦.

(٥) الضوء اللامع م ٤/ج ٨/١٤٨. رقم (٣٤٣) وفيه يعرف: بابن الحريري. وينظر: شدرات الذهب ٧/٣٤٧. ترجم له صاحب متعة الأذهان ٢/٧٠٣، وجعله من الحنابلة.

(٦) الضوء اللامع م ٥/ج ٩/١١٠. رقم (٢٩١).

القطب الخيصري، (ت: ٨٩٤هـ)^(١).

١٧- محمد بن محمد بن عمر بن أبي بكر، الشمس، الصّر خدي الأصل،
الدمشقي، الشافعي، المقرئ، قرأ عليه قراءة الكسائي، وعاصم^(٢).

١٨- موسى بن أحمد الشرف أبو البركات بن الشهاب، العجلوني الأصل،
الدمشقي، الحنفي، ويعرف بابن عيد، (ت: ٩٠٦هـ)^(٣).

١٩- إسماعيل بن محمد بن علي، عماد الدين، السيوفي، الدمشقي، الشافعي،
الشهير بخطيب جامع السقيفة بباب توما بدمشق (ت: ٩٠١هـ)^(٤).

ثالثاً : وفاته :

يجب التنبيه هنا إلى أن عدداً من الباحثين المتأخرين، أثبتوا أن وفاة ابن النجار،
كانت سنة (٨٧٠هـ)، اعتماداً على ما ذكره السّخاوي في الضوء اللامع على سبيل
الظن وليس اليقين^(٥)، وهم: خير الدين الزركلي^(٦)، وعمر رضا كحالة^(٧)،
والدكتور طه محسن، محقق كتاب غاية المراد لابن النجار^(٨)، والشيخ أحمد ميان
التهانوي محقق كتاب الإفهام لابن النجار أيضاً^(٩)، وعُدّهم في ذلك أنه ليس بين
أيديهم غير ما ذكره السّخاوي، غير أنه قد ظهر للنور كتاب آخر يؤرخ وفاة ابن

(١) الضوء اللامع م/٥ ج/٩/١١٧. رقم (٣٠٥).

(٢) الضوء اللامع م/٥ ج/٩/١٧٠. رقم (٤٣٧).

(٣) الضوء اللامع م/٥ ج/١٠/١٧٩. رقم (٧٥٩).

(٤) الكواكب السائرة ١/١٠٠.

(٥) الضوء اللامع م/٣ ج/٦/٣٠٨. رقم (١٠٢٣).

(٦) الأعلام ٥/٣٣٤.

(٧) معجم المؤلفين ٨/٣٥٩.

(٨) غاية المراد / المقدمة ص ٢٥٥.

(٩) الإفهام / المقدمة ص ١٥.

النجار بدقة، في اليوم، والشهر، والسنة، ويحدد مكان دفنه، وهو ابن الحمصي في كتابه حوادث الزمان، إذ ذكر أن وفاة ابن النجار كانت في الخامس عشر من جمادى الآخرة، سنة (٨٦٧هـ)، ودفن من الغد بمقبرة باب الفراديس^(١).

وعليه فلا مبرر بعد لإثبات ما كان قد أثبت السخاوي على سبيل الظن، والله أعلم.

وقد أورد شيخنا الجليل الدكتور عطية أحمد محمد، رواية الحمصي، في مقدمة تحقيقه لرسالة ابن النجار (الرد المستقيم)^(٢) ولم يأخذ بها، وأثبت على غلاف كتابه رواية السخاوي.

رابعاً : آثاره :

كان ابن النجار من المهتمين في التصنيف والتأليف، وقد حفظت لنا الأيام بفضل الله، بعضها، يسر الله لي الوقوف على ثلاثة عشر مؤلفاً منها، جلها في علم القراءات، وبعضها في النحو، نذكرها منسوقة على حروف المعجم، مع الإشارة إلى ما هو مطبوع منها، وما هو مخطوط أو مفقود، حسب علمي.

١- الإِفْهَام في شرح باب وقف حمزة وهشام على الهمز: (مطبوع) حققه الدكتور أحمد ميان التهانوي، على ثلاث نسخ خطية هي: نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق، والمسجد النبوي الشريف، والمكتبة الأزهرية بمصر، ونشرته إدارة تعليم القرآن والسنة، في كراتشي، بباكستان، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م. ومن هذا الكتاب نسخ خطية أخرى في مكتبات العالم أهمها نسخة مكتبة جامعة برنستون في أمريكا، رقم (٤٣٤٦)، تقع في (٣٨) ورقة، في كل صفحة (١٧) سطراً، منسوخة في ذي

(١) حوادث الزمان ص ٩٧.

(٢) لدي صورة خطية منه، ولم ينشر بعد.

القعدة، سنة (١٨٦٠هـ). يعني قبل وفاة المؤلف بسبع سنين. منها صورة في مركز جمعة الماجد بدمشق، برقم (١٠٨٤٢).

٢- التكبير في ختم القرآن : منها نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٥٩٨٧)، تقع في ورقتين، ضمن مجموع (٩٠-٩١) منسوخة سنة (٩٧٢هـ)، بخط محمد بن أحمد الناصري الدمشقي، منها صورة في مركز جمعة الماجد برقم (٢٤٦١). وعندني صورة منها.

٣- التمييز في معرفة أقسام الألفات في كتاب الله العزيز: (مخطوطة) منه نسخة مخطوطة في جامعة برنستون، في أمريكا، منها نسخة في مركز جمعة الماجد برقم (١٠٨٤٢)، تقع في (٨) ورقات، ضمن مجموع من (١٥٠-١٥٧). عندني صورة منها.

٤- جواب مسألة في قراءة قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ بالياء الخالصة: منها نسخة مخطوطة في مكتبة أسعد أفندي باستانبول، برقم (٣٦٣٩)، تقع في ورقتين، ضمن مجموع من (١٦-١٧).

٥- الردّ المستقيم على ما تفعله بعض الأعاجم من تحريك الميم: منه نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية، رقم (٥٩٨٧)، تقع في ورقتين، ضمن مجموع (٨٩-٩٠) منها نسخة في المركز برقم (٢٤٦١)، حققه شيخنا الدكتور عطية أحمد محمد، سلمه الله، ولم ينشر بعد.

٦- الردّ الوافي للقول المنافي: منه نسخة في جامعة برنستون في أمريكا، رقم (٤٣٤٦) تقع في (١٧) ورقة، ضمن مجموع (١٧٠-١٨٦)، منسوخة سنة (٩٦١هـ) بخط أحمد موسى القرشي، منها صورة في مركز جمعة الماجد، رقم (١٠٨٤٢). عندني صورة منها.

- ٧- السّكت والغنة: منه نسخة مخطوطة في مكتبة أسعد أفندي، برقم (٣٦٣٩)، تقع في ثلاث ورقات، ضمن مجموع (١٨-٢٠).
- ٨- غاية المراد في معرفة إخراج الضاد: (مطبوع) حققه الأستاذ الدكتور طه محسن، على نسخة واحدة فقط، هي نسخة مكتبة أسعد أفندي في تركيا، ضمن مجموع رقم (٣٦٣٩) ونشره في مجلة المجمع العلمي العراقي، (الجزء الثاني، المجلد التاسع والثلاثون، ذو القعدة ١٤٠٨هـ / حزيران ١٩٨٨م). ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة في جامعة برنستون برقم (٤٣٤٦)، تقع في (٣٣) ورقة، ضمن مجموع (١٦٤-١٨٦)، منه صورة في المركز برقم (١٠٨٤٢).، ومنه نسخة تحت عنوان (رسالة في الفرق بين الضاد والطاء) في المكتبة الظاهرية برقم (٥٩٨٧)، تقع (٤) ورقات، ضمن مجموع (٨٦-٨٩)، منسوخة بخط محمد أحمد الناصري، منها صورة في مركز جمعة الماجد برقم (٢٤٦١). عندي نسخة منها.
- ٩- القواعد الحسان في إعراب أم القرآن (مخطوط)، موضوعه في النحو، وهذه الدراسة معقودة عليه، وسوف يأتي وصفه، إن شاء الله.
- ١٠- مسألة (تأمنا): منها نسخة في جامعة برنستون برقم (٤٣٤٦)، تقع في (٣) ورقات ضمن مجموع (١٥٨-١٦٠)، منسوخة في ١١ ذي القعدة، ٨٦٠هـ، يعني قبل وفاة المؤلف بسبع سنين، بخط أحمد موسى القرشي، منها نسخة في مركز جمعة الماجد برقم (١٠٨٤٢). وعندي نسخة منها.
- ١١- مسألة (سرايلهم من قطران): منها نسخة في جامعة برنستون برقم (٤٣٤٦)، تقع في (٤) ورقات ضمن مجموع (١٦٠-١٦٣)، منها صورة في مركز جمعة الماجد برقم (١٠٨٤٢). وعندي منها نسخة.
- ١٢- نثر الدرر في معرفة مذاهب الأئمة السبعة بين السور: منه نسخة في

جامعة برنستون برقم (٤٣٤٦)، تقع في (٦) ورقات ضمن مجموع (١٤٢-١٤٧)،
منه نسخة في مركز جمعة الماجد برقم (١٠٨٤٢). ومنه نسخة أخرى في المكتبة
الظاهرية بدمشق، رقم (٥٩٨٧)، تقع في (٤) ورقات، ضمن مجموع (٨٣-٨٦)،
منه صورة في المركز برقم (٢٤٦١). وعندي منها نسخة.
١٣- وصل الاستعاذة بالبسملة: منها نسخة مخطوطة في مكتبة أسعد أفندي،
برقم (٣٦٣٩)، تقع في ورقتين، ضمن مجموع (١٥-١٦).

الفصل الثاني : دراسة الكتاب

المبحث الأول

وصف الكتاب، وتوثيق عنوانه ونسبته، وأسباب تأليفه

أولاً : وصف الكتاب:

لا يزال الكتاب مخطوطاً حتى الآن، ذلك لأن فهارس المخطوطات لم تذكر من نسخه سوى نسخة مكتبة أوقاف الموصل، وهي نسخة ناقصة، ليس منها سوى ثلاث ورقات فقط، تقع ضمن مجموع (١٣٥-١٣٦)، رقمها (٢٤/٢٢) مجموع (٢)^(١). وقد يسر الله لي الحصول على نسختين تامتين منه، تقع الأولى في (٢٨) ورقة، في كل صفحة (١٥) سطراً، منسوخة بخط محمد مصطفى، في شهر ربيع الأول سنة ٩٧٨هـ، وتقع الثانية في (٢٢) ورقة، في كل صفحة (٢١) سطراً، لم يذكر فيها تاريخ النسخ، ولا اسم الناسخ.

وهو الآن تحت التحقيق، أسأل الله سبحانه التوفيق؛ لإخراجه على الوجه الذي يرضيه، ويرضي أهل العلم.

ثانياً : توثيق عنوان الكتاب:

إن من حُسْنِ التَّصْنِيفِ، وَكَمَالِ التَّأْلِيفِ أَنْ يَسِمَ الْمُؤَلِّفُ كِتَابَهُ بِنَفْسِهِ، وَيَصْرِّحَ بِهِ كَامِلًا فِي مَقْدَمَتِهِ، وَهُوَ مَا فَعَلَهُ ابْنُ النَّجَّارِ، فَقَالَ صِرَاحَةً: « وَسَمِيَّتْهَا: الْقَوَاعِدُ الْحَسَانُ فِي إِعْرَابِ أُمِّ الْقُرْآنِ »^(٢)، وبهذا يكون قد أراحنا من عناء البحث، ومزالق التفسير والتأويل، وحقَّ له علينا؛ أن نذكر ذلك له، ونثني عليه به.

(١) ينظر: الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي المخطوط ١/٤٣٨، وفهرس أوقاف الموصل ١٣٥/٣.

(٢) ينظر: القواعد الحسان: ق ٤٠.

ثالثاً : توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

الحق إن الكتب التي ترجمت لابن النجار، لم تذكر هذا الكتاب في مؤلفاته، ولست أدري لذلك سبباً، غير أن المخطوطات الثلاث التي وصلت إلينا من الكتاب نصت صراحة في مطالعها على نسبتها إليه، إذ جاء في الأولى: «يقول العبد الفقير، المعترف بالعجز والتقصير، الراجي عفو ربه الغفار، محمد الشهير بالنجار، الشافعي، المقرئ، عفا الله عنه»، وجاء في الثانية: «يقول العبد الفقير، المعترف بالعجز والتقصير، الراجي عفو ربه الغفار، محمد النجار»، أما النسخة الثالثة فلم أطلع عليها، ولكن المفهرس نسبها إليه؛ وهذا يعني أنه اعتمد على النسخة التي بين يديه^(١). وعليه فلا مرأى في صحة نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه ابن النجار الدمشقي.

رابعاً : أسباب تأليف الكتاب:

لم يخالف ابن النجار أرباب التأليف، وكبار علماء التصنيف، فيما اعتادوا عليه من ذكر الأسباب التي تدفعهم لتصنيف كتبهم، لذا فقد نهج في ذلك نهجهم، وسلك طريقهم، فصرح أنه وضع هذا الكتاب استجابة لطلب بعض الأصحاب ممن يشتغلون في صناعة الإعراب، فقال: « فقد سألتني بعض الأصحاب، المشتغلين بصناعة الإعراب، أن أعرب له سورة الفاتحة، وأذكر فيها قواعد من الصرف جلية، وفوائد من كلام الأعراب سنية، ليقتفي منها جادة الصواب، ويستغني بها عن بعض كتب الإعراب، وإنما صرفه لذلك لما رأى الكراسة المباركة، المسماة بـ«الواضحة في إعراب الفاتحة» تصنيف الشيخ الإمام العالم زين الدين يحيى بن معط^(٢)، رحمه الله تعالى، في غاية الحسن والإيضاح، لكنها لا تنفي بالمقصود

(١) ينظر: المفهرس الشامل، علوم القرآن ١/ ٤٨٣.

(٢) وهم ابن النجار في نسبة هذا الكتاب لابن معط، وهو لعبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي الموصلي =

والأرب، وهي محتاجة إلى بعض كلام العرب، فأراد زيادة على ما فيها من الفوائد، وإرشاد الفهم بعض القواعد، فأجبتة إلى ذلك، وإن لم أكن من فرسان هذا الميدان، ولا لي بهذا الفن يدان، لكنني أرجو مساعدة الإله الفتح المنان، مفيض الجود والخير والإحسان، أن يعصمني من الزلل والخطأ والخسران، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به الإخوان المشتغلين، إنه لا يخيب رجاء الآملين»^(١).

هذا ما اعتل به المؤلف لتأليف كتابه، وهو أمر لا يعدو كونه سبباً غير مباشر، وعادة من عادات المصنفين كما بينت، أما السبب المباشر الذي يكمن وراء تأليف هذا الكتاب، والله أعلم، فهي الرغبة في تقديم النحو العربي لطالبه بأسلوب جديد، غير ما اعتاد عليه النحاة، إذ غدا النحو عندهم غاية في حد ذاته، وليس وسيلة لفهم النصوص العربية العالية، ومحاكاة نظامها، لذا نفذ إليه من القرآن الكريم، وكأنه أراد من وراء ذلك؛ إشعار الطالب بضرورة النحو لفهم معاني القرآن، وبضرورة القرآن لفهم قواعد النحو، لسمو منزلته، وقوة بيانه، وشدة إعجازه، وكأنه أراد أيضاً أن يردّ النحو إلى الرياض التي منها انبثق، ولأجلها نما عوده وأتسق.

=البغدادي، الشافعي، نزيل حلب، يعرف بابن اللباد، ت ٦٢٩هـ. وقد ذكرت المصادر التي ذكرته في التمهيد.

(١) القواعد الحسان: ق ٤٠.

المبحث الثاني

أهم موضوعات الكتاب، ومصادره، وقيمتها العلمية

أولاً : أهم الموضوعات والمسائل التي اشتمل عليها الكتاب:

عالج المؤلف جملة كبيرة من موضوعات النحو والصرف في كتابه، كما أنه لم يخله من بعض المسائل البلاغية والصوتية، ولعله من المفيد هنا أن نسرد العناوين الرئيسة للموضوعات كما هي عليه في الكتاب، ليكون القارئ فكرة متكاملة عن فحوى الكتاب ومضمونه، ثم نفصل القول في طريقة تناوله لهذه الموضوعات، وأسلوب عرضه لها في فقرة لاحقة، إن شاء الله، وعليه فهذه العناوين الرئيسة التي اشتمل عليها الكتاب.

١- المقدمة

٢- إعراب الاستعانة

- قاعدة في معرفة اسم الفاعل واسم المفعول.
- قاعدة في معرفة النطق بفعل الأمر.
- حروف الجر.
- قاعدة في تعلق الظروف والجار والمجرور.
- اشتقاق لفظ (الشیطان) ومعنى هذا الاسم.
- قاعدة في بيان أحوال النعت والتعريف به.

٣- القول في البسملة

- اشتقاق البسملة.
- اشتقاق لفظ (اسم) والخلاف فيه، مع ترجيح الوجه الأقوى.
- التعريف بالمضاف إليه.
- قاعدة في ترقيق لام لفظ الجلالة وتفخيمها (مسألة صوتية)

- مسألة بلاغية.

- مسألة صوتية (الحروف التي تدغم فيها لام التعريف)

- فصل في معاني حروف الجر.

٤- القول في إعراب الفاتحة

- المواضع التي تكون فيها الضمة علامة للرفع، ومتى تكون ظاهرة غير

مقدرة.

- المرفوعات وعددها.

- الكلام على المبتدأ والخبر وما يتعلق في جواز الحذف وعدمه.

- القراءات الواردة في كلمة (الحمد) مع الإشارة إلى الأجود منها.

- فصل في الجمل التي لها محل من الإعراب، والتي لا محل لها من

الإعراب.

- الكلام على (ربّ) من حيث التصريف، وموقعه من الإعراب، وأوجه

القراءة، والدلالة اللغوية.

- الكلام على أبواب النيابة، وهي المواضع التي تنوب فيها الحروف في

الإعراب عن الحركات، وقال بأنها سبعة (الأسماء الستة، المثني وما ألحق به، وجمع

المذكر السالم وما ألحق به، وجمع المؤنث السالم وما ألحق به، وما لا ينصرف،

والأمثلة الخمسة، والفعل المضارع المعتل.

- الكلام على جمع السلامة والتكسير.

- الكلام على الضمائر المتصلة والمنفصلة.

- الكلام على الفعل المضارع.

- الكلام على حروف العطف ومعانيها.

- الكلام على فعل الأمر.

- الكلام على المنصوبات (المفاعيل وشبه المفاعيل)
 - بيان علامات النصب.
 - الكلام على أنواع الأسماء من حيث الصحة والاعتلال.
 - الكلام على البدل وأنواعه.
 - الكلام على الأسماء الموصولة.
 - قاعدة في معرفة النطق بحركة الهمزة في الأمر، (همزة القطع والوصل)
 - عمل اسم المفعول.
 - الأشياء التي تقوم مقام الفاعل خمسة.
 - الأوجه الواردة في هاء (عليهم).
 - الكلام على التوابع : التوكيد، والعطف.
 - القراءة الواردة في لفظة (الضالين)
 - معنى لفظة (آمين) وما يتعلق بها.
- ثانياً : مصادر الكتاب :

مما لا شك فيه أن ابن النجار استقى مادة كتابه هذه من كتب من سبقه من علماء النحو العربي الأوائل، غير أنه لم يصرح باسم سوى اثنين منها، وهما كتاب: التلقين لابن جنبي، وكتاب (الفاخر في شرح جمل عبد القاهر) لمحمد بن أبي الفتح البعلي، (ت: ٧٠٩هـ).

وإني من خلال تتبعي لمادة كتابه وجدته قد وقف على جملة من المصادر، وكان يلخص ما فيها بعبارته ولفظه، ومن هذه المصادر الدرّ المصون للسمين الحلبي، والإنصاف لابن الأنباري، واللباب في علل البناء والإعراب للعكبري، ومغني اللبيب لابن هشام الأنصاري، والجنى الداني في حروف المعاني.

أما على صعيد الرجال فقد ذكر ابن النجار أسماء ستة وعشرين عالماً، سبعة عشر عالماً هم من أهل اللغة والنحو وهم: الخليل بن أحمد، (ت: ١٧٠هـ)، وسيبويه، (ت: ١٨٠هـ)، والأخفش الأوسط، (ت: ٢١٦هـ)، والفراء (ت: ٢٠٧هـ)، والمبرد (ت: ٢٨٥هـ)، وثعلب (ت: ٢٩١هـ)، وابن كيسان (ت: ٢٩٩هـ)، والزجاج (ت: ٣١٦هـ)، وأبو علي الفارسي (ت: ٣٧٧هـ)، وأبو سعيد السيرافي (ت: ٣٦٨هـ)، وابن درستويه (ت: ٣٤٧هـ)، وابن الخباز (ت: ٦٣٩هـ)، وابن مالك (ت: ٦٧٢هـ)، والجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، والبلخي، وأبو علي الشلوبين (ت: ٦٤٦هـ)، وابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ). وستة من الفقهاء هم: الإمام مالك (ت: ١٧٩هـ)، والشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، وأحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، وإمام الحرمين (ت: ٤٧٨هـ)، والرافعي (ت: ٦٢٣هـ)، والنووي (ت: ٦٧٦هـ). ومحدثين هما: البخاري، ومسلم (ت: ٢٦١هـ). ومقرئاً واحداً هو الشاطبي (ت: ٥٩٠هـ).

هذا بالإضافة إلى ستة وثلاثين قولاً، نسب ثمانية منها إلى جمهور البصريين، وتسعة أقوال إلى جمهور الكوفيين، وترك تسعة عشر قولاً غفلاً، فقال في ثلاثة منها: وقال آخرون، وعرض الباقي بصيغة التمریض. قيل.

ومن الأمثلة في هذا الباب قوله: «واختلف في الاسم الكريم هل هو جامد نطقت به العرب هكذا، أو مشتق؟ فذهب الخليل بن أحمد وجماعة إلى أنه اسم جامد علم مختص بالباري، سبحانه وتعالى، لا اشتقاق له، كأسماء الأعلام للعباد مثل: زيد، وعمرو.

وذهب آخرون إلى أنه مشتق، واختلف في اشتقاقه فقيل: هو مشتق من (أَلِه) بالفتح، إلهة، أي: عبد عبادة، والمعنى أنه سبحانه وتعالى مستحق للعبادة، دون غيره.

وقال المبرد: هو من قول العرب: (ألهت إلى فلان) أي: سكنت إليه... وقيل في اشتقاقه: غير ذلك»^(١).

وهو بهذا الصنيع كأنه يرى أن الأهم هو نسبة القول إلى الرجال وليس إلى المصادر، وذلك لأنّ المصادر إنما ينقل بعضها عن بعض بهذه الطريقة، وهو منهج معروف مألوف عن المصنفين، ولا سيما أنه لم يأخذ عنهم بالنص. من هذا يتبين لنا أن ابن النجار قد بنى مادة كتابه من جملة غير قليلة من الكتب الأصول، كان قد خبرها وعلم ما فيها فأفاد منها إفادة الخبير العالم، غير أنه لم يسمها، وهو أمر درج عليه معظم المؤلفين القدامى. ثالثاً: قيمة الكتاب العلمية:

تكمن أهمية هذا الكتاب في كونه يقدم النحو العربي بأسلوب مبسط، يفيد طلاب العلم عامتهم وخاصتهم، أما العامة فقد يتعلمون منه الكثير من أمور النحو التي من شأنها أن تقوّم اللسان، وتسدد البنان، وأما الخاصة، وهم المختصون في هذا الباب من العلم، فيتعلمون منه الأسلوب والمنهج في كيفية تعليمهم النحو للمبتدئين.

والجديد في هذا الكتاب أن المؤلف ركّز فيه على الأمور الضرورية من أبواب النحو التي من شأنها أن تفيد المبتدئ، وتهم كل مثقف عربي، مقدمة بأسلوب جديد بعيد عن مناهج النحاة التقليدية المعروفة.

إذ عمد المؤلف إلى إعراب سورة الفاتحة، وأراد من خلال ذلك الدخول إلى نفس القارئ، لإقرار ما يود إقراره من مسائل النحو الضرورية، التي يحتاج إليها كل مثقف يتحدث العربية ويكتب بها، ذلك لأنّ هذه السورة معروفة لكل مسلم،

(١) القواعد الحسان: ق ٤٧.

وتتوق النفس لمعرفة المزيد عنها، لذا ولج من خلالها إلى ترسيخ قواعد النحو الضرورية، وبعض الاشتقاقات الصرفية، مع تنويع في المنهج، وبساطة في الأسلوب، فتارة يستعمل لفظ (تنبيه) للإشارة إلى أمر ضروري، وأخرى يقول (قاعدة)، وثالثة يطرح سؤالاً ثم يجيب عنه، ولا يتوقف عند الشاذ والنادر، وما وقع فيه الخلاف، لكي لا يعقّد الأمور على القارئ.

كما عالج جملة من المسائل الصرفية، والبلاغية، والصوتية، ووجه جملة من وجوه القراءات المتواترة والشاذة، وأبدى رأيه في أكثر من عشرين مسألة خلافية. وهو بعد أثر من الآثار في النحو العربي المتميزة في منهجها، لم يُدرس من قبل، ولم يرَ النور بعد، ومؤلفه علم من أعلام النحاة والقراء في القرن التاسع الهجري، خلف أكثر من عشرة كتب نُشر منها كتابان فقط، ولم يدرس منهجه النحوي فيما أعلم.

الفصل الثالث

دراسة منهج ابن النجار في كتابه

المبحث الأول

منهجه في عرض المادة، وشخصيته العلمية، وأبرز سمات منهجه

أولاً : منهجه في عرض مادة كتابه

قسم ابن النجار مادة كتابه على أربعة عناوين رئيسة هي:

- المقدمة

- إعراب الاستعاذة.

- القول في البسملة

- القول في إعراب الفاتحة

أما المقدمة فقد افتتحها بالبسملة، وحمد الله والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة على نبيه الكريم، وآله وأصحابه أجمعين، ثم شرع بعد ذلك في بيان السبب الذي دعاه إلى تأليف كتابه، والهدف المرجو من ورائه، ذلك لأن بعض الكتب المؤلفة في هذا الباب لم تف بالغرض على الوجه الأكمل، ولم تشف غليل القارئ بما هو أفضل، فأراد بذلك أن يزيد عليها، ويغني سائله عن الرجوع إليها، وقد ذكرنا نصه في ذلك عند حديثنا عن أسباب تأليف الكتاب.

ثم بعد المقدمة بدأ في سرد مادة كتابه مبتدئاً بإعراب (الاستعاذة)، وتحت هذا العنوان حاول أن يعرف القارئ بجملة من القواعد النحوية والصرفية مما له تعلق بلفظ الاستعاذة، من قريب أو بعيد.

إذ بين أول الأمر معنى الاستعاذة، واشتقاقها، ثم تحدث عن الفعل المضارع وعلاماته، وكيفية إعرابه في جميع أحواله، وعن الفاعل وطبيعته، وعن الفعل

الماضي وأنواعه معتلاً وصحيحاً، مجرداً ومزيداً، ثم قرر قاعدة في معرفة اسم الفاعل واسم المفعول، وقاعدة أخرى في معرفة النطق بفعل الأمر، وذكر جميع حروف الجر، وأشار إلى أنه سوف يفصل القول في معانيها عند حديثه عن البسمة، وتحدث عن اشتقاق لفظ (الشیطان)، وأثبت قاعدة للتعريف بالنعته وأحواله.

ثم انتقل بعد ذلك إلى عنوان آخر وهو (القول في البسمة) تحدث تحته عن اشتقاق البسمة، واشتقاق لفظ (اسم) وبين ما وقع فيه من خلاف، مع ترجيح الوجه الأقوى، وعرف بالمضاف إليه، وفصل القول في معاني حروف الجر، وبين ذلك تناول مسائل صوتية فيبين المواضع التي ترقق فيها لام لفظ الجلالة، والمواضع التي تفخم فيها، وما يدغم من الحروف في لام التعريف، وأشار أيضاً إلى بعض المسائل البلاغية.

وفي القسم الثالث من الكتاب، وهو (القول في إعراب الفاتحة) أفرغ ما في جعبته في هذا الميدان، إذ تحدث عن المواضع التي تكون فيها الضمة علامة للرفع، ومتى تكون ظاهرة غير مقدرة، وتحدث عن المرفوعات، وفصل القول في المبتدأ والخبر وما يتعلق في جواز حذف أحد أركانه وعدمه، وأفرد فصلاً لبيان الجمل التي لها محل من الإعراب، والتي لا محل لها، كما تناول المواضع التي تنوب فيها الحروف عن الحركات، كما هو الحال في الأسماء الستة، وجمع المذكر السالم وما ألحق به، وجمع المؤنث السالم وما ألحق به، وما لا ينصرف، والأمثلة الخمسة، والفعل المضارع المعتل. مطلقاً عليها مصطلح أبواب النيابة، وتكلم أيضاً على جمع السلامة والتكسير، والضمان المتصلة والمنفصلة، والفعل المضارع، وحروف العطف ومعانيها، والفعل الأمر، والمنصوبات (المفاعيل وشبه المفاعيل)، وعلامات النصب، والبدل وأنواعه، والأسماء الموصولة، وعمل اسم المفعول، وما يقوم مقام

الفاعل، والتوابع كالتوكيد، والعطف. وتعرض لبعض وجوه القراءات في بعض الكلمات، وتناول بعض المسائل الصرفية والصوتية والدلالية. فضلاً عن إعراب ألفاظ الفاتحة التي هي عماد كتابه، ومنطلقه لبناء مادته.

هذا مجمل ما تناوله المؤلف من موضوعات نحوية في كتابه، وهي من الكثرة بحيث تكاد تغطي مجمل أبواب النحو العربي، عرضها المؤلف بأسلوب جديد يختلف عما هو مألوف في كتب النحو، لذا اقتضى هذه الدراسة، التي من شأنها أن تكشف عن منهجه في كيفية العرض، والانتقال من موضوع إلى آخر، وتناول موضوع في موضع دون سواه، وإرجاء آخر إلى موضع آخر، ومن شأن هذه الدراسة أيضاً أن تتلمس مواضع الإبداع والتقليد في منهجه، ومن ثم الحكم عليه سلباً وإيجاباً.

لذا أرى أنه من المفيد هنا أن نتوقف وقفة مطولة مع الفقرة الأولى من كتابه، وهي (إعراب الاستعاذة) التي استغرقت ست ورقات من المخطوط، لتتضح للقارئ معالم منهجه.

ابتدأ ابن النجار كلامه في هذه الفقرة، التي هي الفقرة الأولى من كتابه، ببيان معنى الاستعاذة: بأنها استدعاء عصمة الله، وبيّن مكانتها من القرآن، ثم ذكر المصدر الذي اشتقت منه، ثم أعرب اللفظة الأولى منها وهي (أعوذ) فذكر أنه فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم، وعلامة رفعه الضمة، ومنه انطلق لسوق الأدلة على فعليته، ثم على مضارعتة، ثم قاده ذلك للكلام على طبيعة هذا الفعل وبيان العوامل التي تؤثر على حركته الإعرابية.

ثم بعد أن انتهى من ذلك ذكر أن فاعل (أعوذ) مستتر فيه تقديره: أنا. وقد فتحت له هذه المسألة نافذة للكلام على الفاعل وطبيعته من حيث الظهور

والاستتار، والحركة الإعرابية، وعلاقته بالفعل، وغير ذلك.

ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن البنية الصرفية للفعل (أعوذ)، فبيّن أصل هذا الفعل، ووزنه، وما طرأ على بنيته من تغيير، وبيّن أن ماضيه (عاذ) وكونه معتل العين، قاده ذلك للحديث عن الاعتلال وأنواعه في الأفعال. ثم بيّن مصدره، واسم الفاعل والمفعول، ومن هنا نفذ لوضع قاعدة لمعرفة اسمها. ثم بعد ذلك بيّن أن فعل الأمر منه (عذ) وقاده ذلك للكلام على طبيعة فعل الأمر وماهيته، وكيفية اشتقاقه والنطق به.

وهو بين هذا وذاك لم يفته أن يتوقف هنيهة عند بعض المسائل البلاغية التي تولدت من سياق تركيب ألفاظ سورة الفاتحة، وقد يتوقف أيضاً عند بعض المسائل الصوتية، وربما الفقهية أيضاً، مما يضيف على النص طابع التنوع المعرفي، والارتياح الذهني، وذلك حين يخرج القارئ من ميدان القوانين والقواعد النحوية والصرفية، إلى ميدان الصور البلاغية، والأنغام الصوتية التي تتولد عن النطق بأصوات الحروف التي تتشكل منها الكلمات.

فمن أمثلة المسائل البلاغية التي توقف عندها قوله: «الحمد. أعمُّ من الشكر؛ لأن الحمد: هو الثناء على الله بجميل صفاته الذاتية وغيرها، والشكر: هو الثناء عليه بإنعامه. ولهذا يقال: حمدت فلاناً على علمه وشجاعته، ولا يقال: شكرته على علمه وشجاعته. فكل شكر: حمد، وليس كل حمد: شكراً»^(١).

وقوله «إن قيل: الرحمن أبلغ في الوصف من الرحيم، بالنقل عن الزجاج»^(٢)

(١) القواعد الحسان: ق ٥٧.

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل البغدادي، المعروف بالزجاج، ت ٣١٦هـ. تنظر ترجمته في: مراتب النحويين ٣٥، وأخبار النحويين ١١٣، وطبقات النحويين واللغويين ١١١، وتحفة الأريب ٤٢١/١.

وغيره، فكيف قدم الرحمن على الرحيم؟ وعادة العرب في صفات المدح أن يترقوا من الأدنى إلى الأعلى. فالجواب عنه من وجهين: أحدهما ما قاله الجوهري^(١)، رحمه الله تعالى: أنها بمعنى واحد، كـ«نديم وندمان»، فعلى هذا القول لا يراد السؤال. والثاني: إنها قُدِّمَ لمعنى لطيف؛ وهو أن الاسم الكريم، أعني الجلالة، خاص بالباري، سبحانه وتعالى، لا يسمى به غيره، لا مفرداً ولا مضافاً، فقدم لذلك. و«الرحيم»: يوصف به غيره مفرداً أو مضافاً، فأخر لذلك، لأنه يجوز أن يقال: رجل رحيم، ورحيم القوم. و«الرحمن»: يوصف به غيره مضافاً فيقال: «رحمان قومه»، ولا يوصف به مفرداً إلا الله تعالى، فوسَّطَ لذلك، والله أعلم^(٢).

وقوله: «قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بعد قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ خروج من الغيبة إلى الخطاب، وعكس هذا في الخروج من الخطاب إلى الغيبة، كقوله تعالى: ﴿إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتِ بِرَبِّكُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] وذلك شائع في كلام القوم نثراً ونظماً، وهو ضربٌ من البلاغة؛ لأن الكلام إذا نُقل من أسلوب إلى أسلوب؛ كان أحسن من إجرائه على أسلوب واحد تطريباً لانبساط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه^(٣).

ومن أمثلة المسائل الصوتية التي توقف عندها، تقريره قاعدة في كيفية نطق لام لفظ الجلالة، فقال: «قاعدة: اعلم أن الاسم الكريم يقع بعد الحركات الثلاث، وهي: الضمة، والكسرة، والفتحة، فإن وقع بعد كسر رُقُق، وإن وقع بعد فتح أو

(١) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد، الجوهري، صاحب الصحاح، ت ٣٩٣هـ. ينظر: الاعتباط فيمن رمي من الرواة بالاختلاط ٥٤، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة رقم ٥٦، وبغية الوعاة ١/٤٤٦، رقم ٩١٣.

(٢) القواعد الحسان: ق ٤٨.

(٣) القواعد الحسان: ق ٦٥.

ضم فحّم، كما أشار [إليه] الشاطبي^(١)، رحمه الله تعالى..»^(٢).

ومن ذلك بيانه للحروف التي تدغم فيها لام التعريف، فقال: «تنبيه: اعلم أن لام التعريف تدغم في أربعة عشر حرفاً، منها تسعة تسمى المثلثات الثلاثة؛ لأنّ كلّ ثلاثة منها أخوات في المخرج. فالثلاثة الأولى: الطاء، والذال المهملتان، والتاء المثناة فوق. والثانية: الظاء، والذال، والثاء المثلثة. والثالثة: الصاد، والسين. والزاي، وتسمى هذه الثلاثة الأخيرة حروف الصفير.

وبقي النون، واللام، والواو، والضاد، والشين المعجمتان، فهذه الأربعة عشر حرفاً لا يجوز فيهن إلا الإدغام، وتسمى هذه اللام الشمسية، أعني اللام المدغمة، وتظهر فيما عدا هذه الحروف المذكورة، وتسمى القمرية...»^(٣).

ومن ذلك إقراره قاعدة في كيفية النطق بحركة الهمزة في فعل الأمر فقال: «قاعدة: في معرفة النطق بحركة الهمزة في الأمر. إذا أردت ذلك فانظر إلى ماضيه؛ إن كان رباعياً؛ نطقت بالهمزة مفتوحة أبداً، وتكون همزة قطع، وإن كان ثلاثياً أو خماسياً أو سداسياً؛ نظرت إلى ثالث المضارع؛ إن كان مضموماً؛ نطقت بالهمزة مضمومة، وإن كان مكسوراً أو مفتوحاً؛ نطقت بالهمزة مكسورة، وتكون همزة وصل»^(٤).

أما على صعيد الفقه فقد راح يفصل القول في رأي الفقهاء في موضوع القَسَم،

(١) هو أبو محمد القاسم بن فيّز بن خلف بن أحمد الرعيني، ت ٥٩٠هـ. ينظر ترجمته في: إنباه الرواة ١٦٠/٤، وطبقات الشافعية الكبرى ٢٧٠/٧، وطبقات القراء ٨٨٣/٢، وغاية النهاية ٢٠/٢.

(٢) القواعد الحسان: ق ٤٧.

(٣) القواعد الحسان: ق ٤٨.

(٤) القواعد الحسان: ق ٧٢.

وذلك في معرض حديثه عن حروف القسم^(١)، وقد ذكرت ذلك في الملاحظات على منهج المؤلف لأنه خروج مفرط على موضوع الكتاب ومنهجه.

هذا هو منهج المؤلف وطريقته في سرد مادة كتابه، ولعل ما قدمناه يغني عن الإطالة، ولا سيما أننا بينا أهم الأبواب التي توقفت عندها، والمسائل التي طرحها وقعد لها في مقدمة هذا البحث. ولعله من المفيد هنا أن نتوجه للكشف عن قضايا منهجية أخرى تستنبط من ثنايا كتابه.

ثانياً : شخصية ابن النجار وأبرز سمات منهجه :

شخصية ابن النجار في كتابه واضحة المعالم، متميزة السمات، لا تحتاج إلى طول عناء ومزيد بحث حتى تظهر لقاصدها، إذ سرعان ما يدرك الناظر في عبارته؛ أنه أمام عالم حصيف متزن، خبير في النحو والصرف، والقراءات والتفسير، والبلاغة والفقهاء أيضاً، عالم بفن التصنيف والتأليف، قادر بإذن الله، أن يأخذ من كل فن بما يخدم هدفه، ليخرج للقارئ روضة من رياض العلم والفهم، يرتع فيها كما يشاء، ولم يكن دوره فيها دور الناقل المنسَّق، بل الغارس الناقد، والمعلل المحلل، فهو تارة يقعد قاعدة، وتارة أخرى يصوغ تنبيهاً، وثالثة يسأل ثم يجيب عن تساؤله، ويعلل ما يحتاج إلى تعليل، ويرجع من الآراء ما يراه الأولى بالترجيح.

ولعله من المفيد هنا أن نجمل سمات شخصيته العلمية، وخصائص منهجه على شكل نقاط، لتكون أقرب للفهم، وأوجز في التلخيص، فنقول وبالله التوفيق.

١ - اتسمت شخصية ابن النجار بالهدوء، والرزانة، والتواضع، وتقدير العلماء، فهو يعرض آراءهم بكل تقدير واحترام، مع الترحم عليهم والترضي عنهم.

(١) ينظر: القواعد الحسان: ق ٥٥.

٢- أعرب عن رأيه وموقفه صراحة في كثير من المسائل الخلافية، فرجح سبعة أقوال، وضعف ثمانية أخرى بألفاظ صريحة من مثل قوله: وهو ضعيف، وهو بعيد، وردّ هذا القول، من ذلك ترجيحه لرأي المبرد في اشتقاق كلمة (اسم) على رأي ثعلب، مع تعليل الترجيح، فقال: «واختلف في اشتقاقه فقال المبرد من البصريين إنه مشتق من السمو، وهو العلو والارتفاع، فكأنه علم على مسماه، فأوضحه وكشف معناه. وقال ثعلب من الكوفيين: هو مشتق من الوسم، والسمة، وهي العلامة، فكأنه علامة لما تحته. والأول أقوى وأصح؛ لأنه يصغر على سمي...»^(١).

ومن ذلك ترجيحه للرأي الأول في تحديد العامل في (الرحمن الرحيم) من لفظ البسملة، فقال: «واختلف في العامل فيهما، فقيل: العامل فيهما هو العامل في موصوفهما. وقيل: العامل فيهما معنوي، وهو التبعية. والأول أقوى»^(٢).
ومن ذلك قوله: «والأجود أن يُجرَّ بـ«منذ» الماضي من الزمان والحاضر»^(٣).
ومن ذلك ترجيحه لقراءة الرفع في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مع التعليل فقال: «والرَّفْعُ أجود؛ لما فيه من العموم والدلالة على ثبات المعنى واستقراره...»^(٤).
ومن ذلك تضعيفه تعليل أحد وجهي قراءة الكسر في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فقال: «والثالثة: (الحمد): بالجر^(٥)، وفيه وجهان: أحدهما: اتباعاً لكسرة اللام من

(١) القواعد الحسان: ق ٤٦.

(٢) القواعد الحسان: ق ٤٧.

(٣) القواعد الحسان: ق ٥١.

(٤) القواعد الحسان: ق ٥٧.

(٥) قراءة شاذة، نسبت إلى الحسن البصري. ينظر: مفردة الحسن البصري ١٩٩، والكشاف ١/١١٣، ونسبت أيضاً إلى زيد بن علي في المحرر الوجيز ١/٧٢.

(الله) كما قالوا: المغيرة. فأتبعوا كسرة الميم للغين، وهو ضعيف..»^(١). والأمثلة على ذلك كثيرة نكتفي بما قدمناه اختصاراً.

٣- ضمّن كتابه الكثير من المسائل الخلافية^(٢)، وكان غرضه من وراء ذلك البيان والعلم، وليس الجدل والمناقشة.

٤- اتسم أسلوبه بالتنوع في عرض المادة، فضلاً عن تنوع الموضوعات، إذ مزج بين السرد والحوار، فقد كان يحاور نفسه بالسؤال والجواب، وينبه على ما يراه ضرورياً بلفظ (تنبيه)، ويقعد بعض القواعد، فقد سأل نفسه تسعة أسئلة وأجاب عنها^(٣)، ونبه لاثني عشر تنبيهاً^(٤)، وقعد ست قواعد^(٥).

٥- اتسمت عبارته بالبيان والوضوح.

٦- التزم بتعليل الكثير من المسائل، تعليلاً يفضي إلى الفهم، من ذلك قوله في سياق حديثه فعل (أعوذ) من لفظ الاستعاذة: «ماضيه: «عاذ». وهو فعل مفرد ثلاثي مجرد، واوي معتلّ العين، ويقال له: الأجوف، وذو الثلاثة. أما كونه مفرداً ثلاثياً فواضح، وأما كونه مجرداً؛ فباعتبار أنّه سلم من الزيادة على الحروف الأصلية التي تقابل بالفاء، والعين، واللام. وأما كونه واوياً؛ لأنّ ألفه منقلبة عن واو كما يأتي بيانه. وأما كونه معتلّ العين؛ فلأنّ عينه حرف علة. وأما تسميته بالأجوف^(٦)؛

(١) القواعد الحسان: ق ٥٧.

(٢) ينظر: على سبيل المثال الورقات الآتية: ق ٥٣، ٥١، ٥٧، ٦٤، ٦٨، ٧٢، ٧٣.

(٣) ينظر: القواعد الحسان: ق ٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٦٢، ٦٣، ٦٨، ٧٠، ٧٢.

(٤) ينظر: القواعد الحسان: ق ٤٨، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٦، ٧٠.

(٥) ينظر: القواعد الحسان: ق ٤٢، ٤٤، ٤٧، ٧٢.

(٦) من قوله: «فلأن... بالأجوف». سقط من (ب).

فباعتبار أن حرف العلة في جوفه، أي: في وسطه. وأما تسميته: بذوي الثلاثة؛ فباعتبار أنك إذا رددته إلى نفسك وجدته على ثلاثة أحرف»^(١).

٧- أفرط في التفريع وأسهب في الشرح حتى أفضى به ذلك للخروج خارج نطاق علوم العربية، إلى علوم الفقه، وسوف يأتي بيان ذلك، إن شاء الله، في الملاحظات على الكتاب.

٨- كان كثيراً ما يفتح كلامه بقوله: (اعلم أن)، ويختمه بقوله: (فافهم ذلك)، إذ كرر العبارة الأولى اثنتين وثلاثين مرة، وكرر الثانية خمس عشر مرة.

(١) القواعد الحسان: ق ٤٢.

المبحث الثاني

موقفه من الشواهد ومنهجه في اعتماد الدليل

جرت عادة النحاة في تأليفهم على ضرب الأمثلة المصنوعة لتوضيح قواعدهم، وحشد ما يتوافر لديهم من الأدلة المروية المسموعة لإقرارها، وجرياً على عادة علماء النحو في هذا الباب، فقد عني المؤلف بالشاهد القرآني تمثيلاً واحتجاجاً، كما عني بالقراءات القرآنية صحيحها وشاذها، والحديث الشريف، والشعر العربي، وأقوال العلماء، وذلك لتوضيح ما ينبغي توضيحه، وإقرار ما ينبغي إقراره، من المسائل النحوية والصرفية التي عرضها في كتابه، وهو في هذا الباب يقدم القرآن الكريم على ما سواه، ثم الأمثلة المصنوعة، ثم الشعر.

ويحسن بنا أن نتوقف عند كل دليل منها وننظر في كيفية إفادة المؤلف منه، وتوظيفه له، ونبدأ بأكثرها وروداً، وأعظمها قدراً، وهو الشاهد القرآني.

أولاً : موقفه من الشاهد القرآني^(١) والقراءات القرآنية :

اعتمد المؤلف اعتماداً كبيراً على القرآن الكريم في إيراد الدليل والاحتجاج به، والتمثيل به، فقد أربى عدد الآيات عنده على مئة وثلاثة وعشرين آية، يتوزع الاحتجاج بها على ستة محاور رئيسة، هي كالاتي:

المحور الأول: توضيح ما يذكره من قواعد النحو والصرف: أكثر المؤلف في هذا

الباب من التمثيل في الآيات الكريمة، لتوضيح كثير من القواعد التي ذكرها، رغبة

(١) احتج النحاة منذ وقت مبكر بالقرآن الكريم في تقعيد قواعد النحو العربي، بل كان القرآن الكريم هو السبب المباشر لنشأة هذا العلم، وهو أمر معروف لا يحتاج إلى تفصيل وبيان، والمصادر التي عنيت بذلك كثيرة. ينظر منها: الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه ٢٩، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ٩٧، ٤٥.

في وضوح الدليل، وقوة الحجة، ونصاعة البيان، ومن ذلك تمثيله بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ جَنَّ وَلَيْكُونًا مِنَ الضَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢] لبيان أن الفعل المضارع إذا اتصل به إحدى نوني التوكيد الثقيلة أو الخفيفة، بني على الفتح^(١). وكذا تمثيله بقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرٌ أَلِيلٌ﴾ [سبأ: ٣٣]، لبيان الإضافة المقدره بـ«في»^(٢). وتمثيله بقوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٧] للجمله الواقعة خبراً لكان، وتمثيله بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١]، للجمله الواقعة خبراً لكاد، وتمثيله بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦] للجمله الواقعة حالاً... وغير ذلك كثير^(٣).

المحور الثاني: بيان المعنى اللغوي للفظه ما، كاستدلالة على معنى (الرجيم) بالمرجوم، أو المشتوم، إذ استدل على المعنى الأول بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطِينِ﴾ [الملك: ٥]، واستدل على المعنى الثاني بقوله تعالى: ﴿لَيْنَ لَمَّ تَتَنَّهُ لَارْجَمَنَّكَ وَأَهْجَرَنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]. أي: لأشتمنك^(٤).

المحور الثالث: بيان تعاور الألفاظ في الدلالة على المعاني داخل السياق:

أكثر المؤلف من الاستشهاد بالآيات القرآنية في هذا الباب، ولاسيما عند ذكره لحروف الجر، والمعاني التي يؤديها كل حرف منها حسب السياق الذي هو فيه، وحسبنا هنا أن نسوق منها مثلاً واحداً، لبيان ذلك، قال المؤلف في معرض حديثه عن حرف الجر (من): «اعلم أن «من» حرف جر ولها معان: أحدها أن تكون:

(١) ينظر: القواعد الحسان ق: ٤١.

(٢) ينظر: القواعد الحسان ق: ٤٦. وللوقوف على مواضع أخر ينظر: ق: ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٨ وما بعدها.

(٣) ينظر: القواعد الحسان ق: ٥٨ وما بعدها.

(٤) ينظر: القواعد الحسان ق: ٤٥.

للتبعض، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٨].... وتكون بمعنى «عن» كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، أي: عن ذكر الله. وقال تعالى: ﴿يَتَوَلَّنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٩٧] أي: عن هذا. وتكون بمعنى: الباء. قال الله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥].... وتكون بمعنى «في» قال الله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩]. وتكون بمعنى «عند». قال تعالى: ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٠]»^(١).

المحور الرابع: بيان وجه من وجوه اللغة، كاستشهاده بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أُمَّرَأًا هَلَكَ﴾ على كسر نون (إن)، فقال: «على أَنَّ بعضهم كسر نون «من» تشبيهاً لها بنون «إن» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أُمَّرَأًا هَلَكَ﴾ [النساء: ١٧٦] وهو فصيح^(٢) لكنه قليل»^(٣).

المحور الخامس: إجازة وجه من وجوه النحو، كاستدلاله بقراءة حمزة ﴿وَأَنْتَوُا﴾ اللَّهُ الَّذِي سَأَلْنَا بِهٖ وَالْأَرْحَامِ﴾ [النساء: ١]، بخفض (الأرحام) على جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار^(٤). واستدلاله بقوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٠٥] في قراءة التخفيف. وفي الشاذ أيضاً: ﴿حَقِيقٌ بَأَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ على أَنَّ حرف الجرّ (على) قد يأتي بمعنى الباء^(٥).

(١) ينظر: القواعد الحسان ق: ٤٨-٥٦.

(٢) في (ب): قبيح. وهو تصحيف.

(٣) ينظر: القواعد الحسان ق: ٤٤.

(٤) ينظر: القواعد الحسان ق: ٦٧.

(٥) ينظر: القواعد الحسان ق: ٥٠.

المحور السادس: بيان اشتقاق مسألة صرفية، كاستدلاله على أصل لفظ الجلالة (الله) بأن أصلها (إله) بدليل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾ [الزخرف: ٨٤].

من هذا نخلص إلى أن ابن النجار قد أوى إلى ركن شديد لإيضاح قواعد النحو العربي وإثباتها، وردّ النحو إلى أصله الذي منه انبثق، ولأجله نما فرعه واتسق. وبهذا يتقدم على كثير من النحاة الأوائل الذين جنحوا للشاهد المصنوع، ولم يكثروا من شواهد القرآن الكريم، ويقف مع من ركنوا إلى القرآن الكريم في هذا الباب الجليل من العلم، كابن هشام وغيره.

ثانياً : موقفه من القراءات القرآنية^(١) :

عني المؤلف في كتابه بالقراءات القرآنية، صحيحها وشاذّها، فذكر سبعة وثلاثين وجهاً في أربعة عشر حرفاً، ثمانية أحرف منها في سورة الفاتحة، والخمسة الأخرى من سور أخرى.

أما التي لها علاقة بحروف سورة الفاتحة؛ فكان غرضه من ذكر وجوه حروف القراءات فيها، تزويد الناظر في كتابه أو المتعلم بمزيد من المعلومات النافعة والمفيدة، مما له تعلق بحروف هذه السورة الكريمة، من جهة، وما له صلة بعلوم العربية من جهة أخرى، ومنهجته في هذا الباب من العلم، لا يسير على وتيرة

(١) قضية الاحتجاج بالقراءات في الدرس النحوي، شغلت حيزاً كبيراً من دراسات الباحثين المحدثين؛ وذلك لتباين مواقف النحاة القدامى منها بين محتج بها على إطلاقها، وبين مخطئ لبعض الوجوه المتواترة منها. للوقوف على جملة من آراء النحاة في هذا الأمر. ينظر: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ٧١-٨٦، وأثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي ١١٧، وأثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي ٨١، وظاهرة تخطئة النحويين للفصحاء والقراء ٣٠٢-٣١١، وأثر القرآن والقراءات في النحو العربي ٢٢٧، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ق ١/ج ١/ص ٢٠.

واحدة، وإنما فيه شيء من التفاوت من حيث الإسهاب والإطناب، والنسبة والإغفال، والترجيح والإهمال، ويمكن إجمال ذلك بالنقاط الآتية:

- حاول أن يذكر كل ما يعرفه من وجوه القراءات الواردة في ألفاظ سورة الفاتحة، صحيحها وشاذها، اللهم إلا في موضعين، هما قوله تعالى: ﴿مَلِكٍ﴾، وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾، إذ ذكر أن في الحرفين قراءات كثيرة اقتصر عن ذكرها جميعاً وتعليلها خوف التطويل^(١).

- التزم بتوجيه وجوه القراءات الواردة في هذه الحروف، مبيناً الوجه الإعرابي لكل وجه منها، وكاشفاً النقاب عن معانيها اللغوية والدلالية^(٢)، مع بيان الوجه الأقوى معتمداً بذلك على الدليل، ومن أمثلة ذلك قوله: «وقرئ: ﴿رَبِّ﴾ بال نصب، ويكون إما منصوباً: إما بإضمار فعل مقدر تقديره: أمدح، أو أعني، أو على النداء. وقرئ أيضاً: ﴿رَبِّ﴾ بالرفع، ويكون رفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو»^(٣). ومن أمثله أيضاً قوله عند حديثه عن وجوه القراءات التي وردت في دال (الحمد): «والرفع أجود لما فيه من العموم والدلالة على ثبات المعنى واستقراره..»^(٤).

- لم يعن بنسبة وجوه القراءات إلى أصحابها، عناية تامة، فقد نسب من كل ما أورده، أربعة أوجه فقط، ثلاثة منها صحيحة^(٥)، والآخر شاذ^(٦).

(١) ينظر: القواعد الحسان ق: ٦٣، ٧٣.

(٢) ينظر: القواعد الحسان ق: ٥٧، ٦١، ٦٣، ٦٢، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٧٢، ٧٤.

(٣) القواعد الحسان ق: ٦١.

(٤) القواعد الحسان ق: ٥٧.

(٥) ينظر: القواعد الحسان ق: ٦٣، ٦٧.

(٦) ينظر: القواعد الحسان ق: ٧٤.

- لم يلتزم التزاماً تاماً بالتنبيه على ما ذكره من وجوه القراءات الشاذة، فقد نبه على ذلك صراحة في أربعة مواضع فقط^(١).

أشار إلى بعض الوجوه الصحيحة بأنها اختيار الجمهور، من غير أن يعبر صراحة بصحتها. كقوله في رفع الدال من كلمة (الحمد): «والرفع أجود... وهو اختيار سيبويه رحمته وعليه الجمهور»^(٢). وقوله عند حديثه عن فتح النون الأولى، وكسرها من قوله تعالى: ﴿نَسَعِيْتُ﴾: «والجمهور على فتح النون..»^(٣). وعند حديثه عن همز قوله تعالى: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾: «وقرئ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ بهمزة مفتوحة، وهي لغة فاشية في كلام العرب... لكن الجمهور على ترك الهمزة»^(٤).

- اتخذ من القراءات بقسميها الصحيحة والشاذة، حجّة له، ودليلاً قاطعاً في تععيد قواعد النحو، إذ أجاز بعض وجوه النحو التي رفضها بعض النحاة، من ذلك احتجاجه بقراءة حمزة، وهي قراءة صحيحة متواترة، على جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار^(٥). وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في المحور الخامس في البند الأول. ومن ذلك إقراره بجواز العطف على اللفظ وعلى المحل، محتجاً بوجهين من القراءة لحرف واحد، أحدهما صحيح، والآخر شاذ، وفي ذلك يقول: «ثم اعلم أنه يجوز العطف على اللفظ وعلى المحل، فإذا قلت: «ليس زيد بكاتب ولا شاعر»، فلك في شاعر وجهان: أحدهما: العطف على اللفظ، وهو الجر.

(١) ينظر: القواعد الحسان ق: ٥٠، ٦٤، ٧٣.

(٢) القواعد الحسان ق: ٥٧.

(٣) القواعد الحسان ق: ٦٧.

(٤) القواعد الحسان ق: ٧٤.

(٥) ينظر: القواعد الحسان ق: ٦٧.

الثاني: العطف على المحلّ وهو النصب، لأن الأصل: ليس زيد كاتباً، والباء زائدة. ومن مثل ذلك قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣]. قرئ برفع ﴿رسوله﴾ وبنصبه^(١)، فمن رفعه عطفه على محلّ اسم الله تعالى؛ لأن موضعه رفع بالابتداء، و«أَنَّ» طرأت عليه، ومن نصبه عطفه على اللفظ^(٢)، فاعرف ذلك^(٣).

- احتج بوجه من وجوه القراءات لإثبات وجه آخر، من ذلك قوله: «وقرئ ﴿ولا الضالين﴾ بهمزة مفتوحة، وهي لغة فاشية في كلام العرب، حكى أبو العباس عن أبي عثمان عن أبي زيد قال: سمعت عمرو بن عبيد يقرأ: (لا يُسألُ عن ذنبه إنسٌ ولا جانٌّ) [الرحمن: ٣٩] بالهمزة، فظننته قد لحن، حتى سمعت العرب تقول: شأبة، ودأبة. مهموزاً، لكن الجمهور على ترك الهمزة^(٤).

وبناء على ذلك نخلص إلى القول: إن ابن النجار له علم وافر بالقراءات القرآنية، صحيحها وشاذها، وهي عنده حجة قاطعة في إثبات قواعد النحو العربي، وكأنه أراد من خلال اللجوء إليها بهذه السعة، أن يردّ عملاً لا قولاً على النحاة الذين كانت مواقفهم غير مرضية من القراءات القرآنية، كالمبرد والفراء وغيرهم،

(١) قراءة الرفع هي القراءة الصحيحة المشهورة، وهي قراءة الجماعة، أما قراءة النصب: فقد رويت عن زيد عن يعقوب. في المستنير ٢/ ١٧٥، ومصطلح الإشارات ٢٦٨، ونسبت للحسن البصري، في تفسير الطبري ٨/ ٧٠، وهي ليست في المفردة، ولا في المصطلح. ونسبت إلى: عبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وزيد بن علي في البحر المحيط ٥/ ٨. وينظر أيضاً: معجم القراءات ٣/ ٢٤٤.

(٢) أي: اسم (إن) وهو لفظ الجلالة بعد نصبه، وأجاز الزمخشري أن تكون الواو بمعنى، (مع)، أي: برئ معه منهم. الكشاف ٣/ ١١.

(٣) القواعد الحسان ق: ٦٧.

(٤) القواعد الحسان ٧٤.

ويقف مع من يرى أن القراءات القرآنية حجة داحضة يجب الأخذ بها والركون إليها كالسيوطي وغيره.

ثالثاً : موقفه من الحديث الشريف والآثار :

معلوم أن الحديث الشريف لم ينل حقه من الاهتمام لدى النحاة القدامى في تقعيد قواعد النحو العربي، لذا فقد كان هذا الأمر مرتعاً خصباً للباحثين عن موضوع في النحو العربي، وسبباً قوياً لظهور الكثير من الآراء والأقوال والدراسات، التي حملت في طياتها الكثير من النقد واللوم^(١)، أو الدفاع والمنافحة والتماس العذر^(٢).

لم يخل ابن النجار كتابه من الاستشهاد بحديث رسول الله ﷺ، وإنما استشهد به في ستة مواضع من كتابه، أورد خمسة منها لبيان دلالة بعض الألفاظ داخل السياق، وموضع واحد لبيان مسألة فقهية تتعلق بحرمة القسم بغير الله، وهو خارج عن موضوعه.

ويمكن تلخيص منهجه في هذا الباب بما يأتي:

- لم يعن بذكر سند الحديث الشريف أو راويه الأول، وإنما كان يكتفي بقوله: كقول النبي ﷺ، اللهم إلا في موضعين، إذ قال في أحدهما: روي عن ابن عباس، وفي الثاني: إلا أن البخاري ومسلم روي عن النبي ﷺ.
- لم يعن ببيان درجة الحديث من حيث الصحة والضعف.

(١) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٥٣٩-٥٤١، والحديث النبوي في النحو العربي ١/ ٧.
(٢) ينظر: دراسات في العربية وتاريخها ١٦٦، وموقف النحاة من الاحتجاج بالحديث ٧، وفي أصول النحو ٤٦، وأصول النحو العربي ٥٢، والحديث النبوي في النحو العربي ١/ ٥ وما بعدها.

- لم يلتزم التزاماً تاماً بلفظ بعض الأحاديث، وكان عليه أن يلتزم ذلك لأنه في صدد إثبات مسألة نحوية أو لغوية، ولا فائدة من الحديث إن لم يكن لفظه لفظ النبي ﷺ.

- لم يسق الحديث كاملاً وإنما يقتصر على ذكر عبارة منه فيها موطن الشاهد.

- أما الأحاديث التي رواها عن النبي ﷺ فهي قوله:

• ((إن امرأة دخلت النار في هرة...))^(١) ساقه دليلاً على أن حرف الجر (في) تأتي سببية. أي: بسبب هرة^(٢).

• ((لا يسرني بها حمر النعم)) ساقه دليلاً على مجيء الباء الزائدة بمعنى البدل^(٣).

• ((صوموا لرؤية الهلال وأفطروا لرؤيته)) ساقه دليلاً على مجيء اللام بمعنى بعد. أي: بعد رؤيته^(٤).

• ((من كان حالفاً فليحلف بالله)) ساقه لبيان المقسم به.

• ((الحمدُ رأسُ الشكرِ، ما شكرَ [الله] عبدٌ لم يحمدْ)) ساقه لبيان أن كلمة

(الحمد) أعم في الدلالة من الشكر.

• ((رب افعل)) ، ساقه لبيان معنى لفظة (آمين).

(١) روايات هذا الحديث كثيرة، وجميعها متفقة على لفظة (في هرة) وهي موطن الشاهد. وحسبي هنا أن أختار منها رواية واحدة وردت في صحيح مسلم: (٨ / ٩٨) وهي: « قَالَ الزُّهْرِيُّ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: ((دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هَرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ هَزْلاً)). وينظر: صحيح البخاري ٨٣٤ / ٢. والأدب المفرد ١٣٨ / ١، وصحيح ابن حبان ٣٠٥ / ٢، حديث رقم (٥٤٦)، والجمع بين الصحيحين ١٦٦ / ٢.

(٢) ينظر: التحفة الوفية بمعاني حروف العربية ٢٠. جاء فيها: (وفي)، كما روي أن امرأة دخلت النار في هرة، أي: بسبب هرة.

(٣) ينظر: القواعد الحسان: ق ٥٢.

(٤) ينظر: القواعد الحسان: ق ٥٣.

أما من حيث احتجاجه بالآثار؛ فقد احتج بأثر واحد فقط، وهو لعبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، استدل به على ندره حذف اللام من الجملة الاسمية، الواقعة جواباً للقسم ولم يطل الكلام، فقال: «الجملة التي تقع بعد القسم اسمية وفعلية، فلاسمية: يلزم الاتيان فيها في جواب القسم باللام... ويندر حذف اللام إذا لم يطل. قال ابن مسعود، رضي الله عنه: والذي لا إله غيره، هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة^(١)»^(٢).

نخلص من هذا إلى أن ابن النجار، لم يول الحديث حقه، ولم يركن إليه كما ينبغي في الاحتجاج به في الدرس النحوي، كما هو الحال عند كثير من النحاة الذين تقدموا عليه.

ولعل الذي جعل المؤلف يقصّر في هذا الجانب، والله أعلم، كونه مقرئاً وليس بمحدث.

رابعاً : موقفه من الشاهد الشعري والنثري :

اعتنى ابن النجار بالشاهد الشعري، كغيره من النحاة الذين اعتادوا الإكثار من الاستشهاد بالشعر في كتبهم، إذ ذكره في ثمانية وعشرين موضعاً، توزعت موضوعاتها على ما كان مطرداً من القواعد النحوية والصرفية، والمسائل اللغوية، وكذا ما كان نادر الوجود قليل الاستعمال. وابن النجار لا يتميز عن غيره من النحاة في هذا الباب، فقد عمد إلى الاستشهاد بما هو متداول بين النحاة من الأشعار، من غير عناية بنسبة القول إلى قائله، وإن كان مشهوراً، فلم ينسب منها سوى شاهدين اثنين فقط، أحدهما لجرير^(٣)، والآخر للأخطل^(١)، كما أنه لم يتم بعضها إذ اقتصر في

(١) الخبر بلفظه في صحيح البخاري (٢ / ٦٢٢). وهو في مغني اللبيب ١ / ٧٧١.

(٢) القواعد الحسان: ق ٥٥.

(٣) ينظر: القواعد الحسان: ق ٥٠.

سبعة منها على شطر البيت أو بعضه^(٢).

أما عنايته بالشاهد الثري المنسوب إلى العرب فقد ركن إليه في أربعة مواضع فقط استشهد بها على ما هو نادر وقليل أو شاذ في كلام العرب، ولا بأس في ذكرها جميعاً هنا لتحقيق الفائدة، لأنها لا تشكل ثقلًا لقلتها. وهي:

قولهم: كخير. احتج بهذا القول على مجيء الكاف بمعنى الاستعلاء. فقال: «وتكون: للاستعلاء. قيل لبعض العرب: كيف أصبحت؟ قال^(٣): كخير. أي: على خير»^(٤).

وقولهم: رَبِّهِ فَتَى. احتج به على ندرة دخول (رَبِّ) على المضمر، فقال: «ودخولها تختص بالظاهر، فلا تدخل على المضمر إلا فيما ندر من نحو: رَبِّهِ فَتَى»^(٥).

وقولهم: تَرَبِّي، تالرحمن، تَرَبُّ الكعبة. احتج به على دخول تاء القسم على غير لفظ الجلالة، فقال: «وأما تاء القسم: فإنها تختص بالظاهر، فتقول: تالله لأفعلن... وسمع من كلامهم: وتربي، وتالرحمن، وترب الكعبة. فأدخلوها على غير الجلالة»^(٦).

وقولهم: إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب. أورد هذه الحكاية للدلالة على شذوذها، فقال: «وحكي عن العرب: «إذا بلغ الرجل^(٧) الستين^(١) فإياه وإيا

(٤) ينظر: القواعد الحسان: ق ٥٢.

(٥) ينظر: القواعد الحسان: ق ٤٤، ٤٧، ٥٤، ٥٥، ٧٤.

(١) من (ب). وفي الأصل: قيل.

(٢) القواعد الحسان: ق ٥٢.

(٣) القواعد الحسان: ق ٥٤.

(٤) القواعد الحسان: ق ٥٤.

(٥) ساقطة من (ب).

الشواب». وهذه الحكاية شاذة ولا يقاس عليها؛ ألا ترى أنه لم يسمع منهم «إياك وإيّا الباطل»، ولا نقل عنهم تأكيد اللواحق التي تلحقه، فتركهم ذلك دلالة على شذوذ هذه الحكاية^(٢).

تنبي هذه الفقرة عن علم ابن النجار بأقوال العرب الشاذة والنادرة.

خامساً : موقفه من آراء العلماء وأقوالهم :

سبقت منا الإشارة إلى أن ابن النجار قد عني بآراء العلماء ونقل الكثير منها، وقد تقصيت جملة ما نقله في كتابه من الأقوال والآراء، فبلغت نحو المئة قول ورأي، نسب منها نحو أربعين قولاً لأصحابها، وأغفل نسبة الباقي، وكان سيبويه هو الأكثر حضوراً بين هؤلاء العلماء، إذ نسب إليه ستة أقوال، ونسب لشيخه الخليل بن أحمد أربعة أقوال، وكذا فعل مع أحمد بن يحيى ثعلب، أما الفراء وابن هشام، فقد نسب لكل منهما ثلاثة أقوال، وأورد للمبرد قولين، ومثلها للزجاج وأبي علي الفارسي، وأفرد ما تبقى للبقية. ويمكن حصر قصده من عرض هذه الأقوال في ثلاثة أمور:

الأمر الأول: للاحتجاج بها، وبيان ما هو أمثل فيما تعددت فيه الوجوه، أو وقع فيه خلاف، من ذلك اتخاذ من اختيار سيبويه مرجحاً لقراءة الرفع في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فقال: «والرَّفْعُ أجود. لما فيه من العموم والدلالة على ثبات المعنى واستقراره، وهو اختيار سيبويه رحمته وعليه الجمهور»^(٣). ومن ذلك أيضاً احتجاجة بما ذهب إليه الخليل وسيبويه في أن (إيّا) اسم مضمّر، فقال: «وقد

(٦) في (ب) : الشين.

(١) القواعد الحسان: ق ٦٣. وينظر: سر صناعة الإعراب ١/ ٢١٥ فقد ناقش ابن جني هذه المسألة.

(٢) القواعد الحسان: ق ٥٧.

اختلف فيه : فذهب الخليل بن أحمد وسيبويه، رحمهما الله تعالى، إلى أن (إيًّا) اسم مضمّر، وعليه المحققون من أهل هذه الصناعة^(١). ومن ذلك احتجاجه بما ذهب إليه الفراء أن حرف الجر (إلى) قد تأتي زائدة وتفيد التوكيد، فقال: « وتكون للتوكيد، وهي الزائدة. أثبتة الفراء^(٢). والأمثلة على ذلك كثيرة حسبنا منها ما عرضناه.

الأمر الثاني: لبيان آراء العلماء فيما تعددت فيه الوجوه، أو وقع فيه خلاف من غير ترجيح رأي على آخر، لاحتمال المسألة لتلك الوجوه. من ذلك بيانه لمعاني (رُبَّ)، فقال: « وأما «رُبَّ»: فمعناها: التقليل، وهو مذهب الأكثرين. وقال ابن درستويه، وجماعة: إنها للتكثير أبداً. وتوسط ابن هشام فقال: ترد للكثير كثيراً، وللقليل قليلاً^(٣).

الأمر الثالث: لبيان الرأي المتفرد بالمخالفة وإظهار ضعفه، من ذلك عرضه لرأي ثعلب في أن (الرحمن) معرّب من العبرانية، فقال: « (الرحمن) صفة لله، وهو اسم عربي، خلافاً لثعلب في تعريبه من العبرانية^(٤). وكذا عرضه لرأي البلخي في تعريب لفظ الجلالة من السريانية، فقال: « فقيل: «الله» وهو عربي، خلافاً للبلخي في تعريبه من السريانية^(٥). ومن ذلك قوله أيضاً في معرض حديثه عن الجملة

(٣) القواعد الحسان: ق ٦٤.

(١) القواعد الحسان: ق ٤٩.

(٢) القواعد الحسان: ق ٥٣.

(٣) القواعد الحسان: ق ٤٧.

(٤) القواعد الحسان: ق ٤٧.

الاعتراضية: « ويجوز الاعتراض بأكثر من جملة خلافاً لأبي علي الفارسي »^(١).

سادساً : موقفه من لهجات العرب :

كانت لابن النجار عناية بلغات العرب ولهجاتها في كتابه، فقد وجه من خلالها بعض وجوه القراءات التي وردت في ألفاظ الفاتحة، كما أبان أن لبعض الألفاظ أكثر من لغة.

فمن أمثلة الأمر الأول توجيهه لقراءة فتح همزة (إياك) بأن ذلك لغة مسموعة، ولمن قرأها (هياك) بقلب الهمزة هاء، بأن ذلك شائع في كلامهم^(٢). وكذلك توجيهه لقراءة فتح النون الأولى من قوله تعالى (نستعين) وكسرهما، بأن الفتح لغة قريش، والكسر لغة تميم، وأسد، وقيس، وربيعه^(٣). وكذا (الصراط) بالصاد، إذ ذكر أن ذلك لغة قريش^(٤). ومن ذلك أيضاً قوله: «وقرىء ﴿ولا الضالين﴾ بهمزة مفتوحة، وهي لغة فاشية في كلام العرب..»^(٥).

ومن أمثلة الأمر الثاني: ذكره أن في كلمة (اسم) خمس لغات^(٦)، وفي (رُبَّ) عدة (رُبَّ) عدة لغات^(٧)، وفي كلمة (أمين) لغتان^(٨)، وفي (الذي) أربع لغات^(٩)، وفي (حاشا) ثلاث لغات^(١٠).

(٥) القواعد الحسان: ق ٦٠.

(١) ينظر: القواعد الحسان: ق ٦٤.

(٢) ينظر: القواعد الحسان: ق ٦٨.

(٣) ينظر: القواعد الحسان: ق ٧٠.

(٤) القواعد الحسان: ق ٧٤.

(٥) ينظر: القواعد الحسان: ق ٤٧.

(٦) ينظر: القواعد الحسان: ق ٥٣.

(٧) ينظر: القواعد الحسان: ق ٧٥.

(٨) ينظر: القواعد الحسان: ق ٧١.

(٩) ينظر: القواعد الحسان: ق ٥٢.

المبحث الثالث

موازنة بين منهج ابن النجار في كتابه، وما كان مثله في باب

سبقت الإشارة في التمهيد إلى أن جملة من المعربين اعتنوا بإعراب الفاتحة، فأفردوا لها كتباً مستقلة، حفظت لنا الأيام، بإذن الله، بعضها، وكان مما تقتضيه طبيعة هذه الدراسة الوقوف على ما وصل إلينا منها، لعقد مقارنة بينها، لنرى موضع كتابنا منها، فتقصيت أخبارها، وطلبتها في مظانها، فيسر الله صوراً من بعضها، فكانت هذه الفقرة الموجزة المختصرة، التي آمل أن يوفقني الله لجعلها بحثاً مستقلاً، يوفي هذه الكتب حقها من الإيضاح والبيان، كما آمل أن يوفقني لإخراجها إلى عالم الذكر، وطىّ صفحة النسيان.

ويحسن هنا أن نبدأ بما هو أقدم منها فنقول:

أولاً : كتاب (إعراب أم الكتاب) :

لابن المنفلوطي الديباجي، ولي الدين أبو عبد الله، محمد بن أحمد الديباجي الشافعي (ت: ٧٧٤هـ). مخطوط^(١).

مؤلف هذا الكتاب أخلاه من المقدمة التي من شأنها أن تفصح عن هدفه من تأليفه، وتكشف النقاب عن بعض ملامح منهجه، ولكن ذلك لا يمنعنا من تشخيص هذه المعالم، من خلال مادة الكتاب نفسه، إذ طالما هو بين أيدينا، والحمد لله، وعليه أقول إن منهج الديباجي في كتابه هذا يتلخص بالأمور الآتية^(٢):

- امتاز الكتاب بالعرض المركّز لأهم موضوعات النحو وما يندرج تحتها من

(١) ينظر: وصفه في التمهيد.

(٢) ينظر: إعراب أم الكتاب ق ١ وما بعدها.

عناوين رئيسة وفرعية، من غير ولوج في المسائل الدقيقة، أو المسائل الخلافية التي لا تخدم طالب العلم غير المختص.

- قصر المؤلف كتابه على علم النحو حسب، فلم يذكر فيه شيئاً من مسائل الصرف أو البلاغة أو القراءات أو غيرها. بخلاف كتاب ابن النجار الذي عرض في كتابه الكثير من هذه المسائل.

- اقتفى المؤلف منهج النحاة في عرض مادة كتابه، إذا بدأ كلامه بأقسام الكلام التي هي الاسم والفعل والحرف، خلافاً لما فعله ابن النجار الذي اتخذ من ألفاظ الفاتحة سبيلاً لقول ما يود قوله من مسائل النحو والصرف، والبلاغة والصوت، ووجوه القراءات.

- خلا الكتاب من التعليل والتحليل وإبداء وجهات النظر، وأقوال العلماء وعرض آرائهم، بخلاف كتاب ابن النجار الذي اشتمل على الكثير من هذه المسائل.

- خلا الكتاب من اللغة الحوارية بين المؤلف والقارئ، بخلاف كتاب ابن النجار الذي كثيراً ما يحاور القارئ عن طريق السؤال والجواب.

- إن مما يؤخذ على هذا الكتاب عدم التوافق بين مادة الكتاب وعنوانه، فهو لا يعدو كونه كتاباً مختصراً يعرض أهم أبواب النحو في تركيز شديد، ولا يكاد القارئ يقف على ألفاظ سورة الفاتحة فيه، بخلاف كتاب ابن النجار الذي جعل من ألفاظ سورة الفاتحة محوراً رئيساً تدور حوله مادة الكتاب.

هذه أهم الفروق المنهجية التي برزت بين الكتابين، أما ما اتفقا فيه فهو الآتي:
- اتفقا في الفكرة وهي أن كلاهما حاول عرض علمه في هذا الباب من خلال إعراب سورة الفاتحة.

- حاول كلٌّ منهما أن ينفذ إلى أبواب النحو من خلال ما تثيره ألفاظ الفاتحة نفسها، إلا أن ابن النجار كان أكثر انطلاقةً من ابن المنفلوطي، الذي لم يستطع أن ينفك عن منهج النحاة المعروف المؤلف في كتبهم.
- ثانياً : كتاب (فاتحة الإعراب وإعراب الفاتحة)
- للإسفرائيني، محمد بن محمد بن أحمد، (ت: ٦٨٤هـ)^(١).
- أهم الميزات المنهجية التي امتاز بها هذا الكتاب:
- قدم له مؤلفه بمقدمة طويلة تقع في ورقتين وزيادة، تحدث فيها عن أهمية علم النحو، ومكانته بين العلوم ونشأته، وبين الفرق بينه وبين علم اللغة، ولم يفصح فيها - كما جرت العادة - عن معالم منهجه، ولا عن سبب تأليفه. بخلاف كتاب ابن النجار الذي بدأ بداية طبيعية مألوفة.
- امتاز الكتاب بالتعليل النحوي، وما وقع في كثير من مسائله من خلاف بين البصريين والكوفيين، فهو كتاب مكتوب للعلماء وليس للمبتدئين.
- امتاز بالإطالة والإسهاب، بحيث لا يشعر القارئ أنه يطالع في كتاب مختص بإعراب الفاتحة. بخلاف كتاب ابن النجار الذي لا ينفك يذكر القارئ بأنه في صدد الحديث عن ألفاظ الفاتحة.
- بدت فيه شخصية المؤلف واضحة جلية فهو يعلل ويحلل، وينقد ويقرر، ويعبر عن النحاة البصريين بالأصحاب، وعلى هذا فهو بصري الهوى. بخلاف ابن النجار الذي لم يظهر ذلك.
- قصره على النحو حسب، فلم يورد فيه مسائل صرفية أو بلاغية، أو صوتية، وقد أشار إلى ذلك صراحة فقال «...وغرضي من هذا الكتاب علم الإعراب

(١) تقدم التعريف بهذا الكتاب في التمهيد.

وحده، وقد جمعت فيه معظمه...»^(١). بخلاف كتاب ابن النجار الذي جمع فيه جملة من المعارف النحوية واللغوية، والصرفية والبلاغية.

- وضع ملخصاً في خاتمته ذكر فيه جميع الأبواب التي تناولها في كتابه ومواضعه، كي يهتدي إليها القارئ.

ثالثاً : ملاحظات على منهج ابن النجار في كتابه :

إن مما يؤخذ على منهج المؤلف في هذا الكتاب، من وجهة نظري، على ما فيه من الحسن، جملة من الأمور، وهي:

- نسب كتاب (الواضحة في إعراب الفاتحة) لغير مؤلفه، إذ نسبها لابن معط، وهو لعبد اللطيف البغدادي، كما بيناه في التمهيد.

- عدم العناية بنسبة الشواهد الشعرية التي استشهد بها لقائلها، إلا في موضعين اثنين، من أصل ثمانية وعشرين شاهداً.

- لم يلتزم التزاماً تاماً بنسبة أقوال العلماء لأصحابها.

- عدم نسبة وجوه القراءات لقارئها إلا في أربعة مواضع فقط، من أصل سبعة وثلاثين وجهاً.

- عدم العناية بالاحتجاج بالحديث الشريف العناية التي يستحقها، إذ لم يستشهد به إلا في ستة مواضع ولم يعن بالرواية ولا بدقة اللفظ في بعضها.

- الخروج عن منهجه خروجاً مفرطاً في موضعين، إذ خرج في أحدهما من حقل علوم اللغة العربية، إلى علوم الفقه، وذلك عند حديثه عن حروف القسم، إذ انتهى به الحديث إلى بيان آراء الفقهاء في حرمة الحلف بغير الله^(٢). وخرج في الثاني

(١) فاتحة الإعراب وإعراب الفاتحة.

(٢) ينظر: القواعد الحسان: ق ٥٤-٥٥.

إلى حقل تاريخ الأدب، إذ نسب بيتاً من الشعر لجرير، ومن عاداته عدم نسبة الأشعار لقائلها، إلا أنه في هذا الموضوع خرج عن منهجه وراح يتحدث مطوّلاً عن سبب تسمية أم جرير له بهذا الاسم^(١).

- عدم التصريح بأسماء الكتب التي استقى منها أقوال العلماء وآراءهم إلا في موضعين.

(١) ينظر: القواعد الحسان: ق ٥٠.

الخاتمة

وفي نهاية هذه الجولة العلمية التي رامت البحث في حياة ابن النجار الدمشقي، وهدفت إلى كشف النقاب عن معالم منهجه في أثر من آثاره النحوية التي لم تنشر بعد، ولم يتسنّ لكثير من الباحثين القدامى والمحدثين الاطلاع عليه، وهو (القواعد الحسان في إعراب القرآن)، يسرُّنا أن نلخص للقارئ الكريم أهم ما يسره الله لنا الوقوف عليه من الفوائد، وما منَّ به علينا من التناجح، فنقول بعد الاتكال عليه، وردّ كل فضل إليه:

١- كان من ثمار هذه الدراسة أنها فتحت لنا باباً من أبواب العلم على جملة من مخطوطات إعراب الفاتحة، التي هدفت إلى عرض النحو العربي من خلال إعراب سورة الفاتحة، كلُّ حسب طريقته ومنهجه.

٢- كشفت هذه الدراسة عن نسخة مخطوطة ثالثة من كتاب (فاتحة الإعراب وإعراب الفاتحة)، لم يطلع عليها المحقق، كانت منسوبة لغير مؤلفها، وتحمل غير عنوانها الأصلي.

٣- كشفت هذه الدراسة النقاب عن نسخة مخطوطة ثانية تامة وجيدة، من كتاب (إعراب أم الكتاب) لابن المنفلوطي، (ت: ٧٤٤هـ)، كانت مجهولة المؤلف، وتحمل غير عنوانها الصحيح.

٤- أكدت هذه الدراسة صحة نسبة كتاب (فاتحة الإعراب وإعراب الفاتحة) للإسفراييني، بعد أن تبين للباحث أن ثلاث نسخ خطية من هذا الكتاب تحمل كل منها عنواناً يختلف عن الأخرى، ومؤلفاً آخر. وأن محقق فاتحة الإعراب لم يوثق هذه المسألة.

٥- كشفت هذه الدراسة بعد البحث والتقصي، عن وجود مخطوطة، رجحت نسبتها لابن رجب الحنبلي، وهي في تفسير سورة الفاتحة، وكان السبب وراء تقصي

هذه المسألة أن بعض الباحثين ذكر أن لابن رجب كتاباً في إعراب الفاتحة، ولم يوثق ذلك.

٦- أثبتت هذه الدراسة أن ابن النجار قد تتلمذ على شمس الدين ابن الجزري، (ت: ٨٣٣هـ)، علامة عصره في القراءات، وهو أمر لم يذكره الباحثون الذين حققوا بعض كتبه.

٧- أحصت هذه الدراسة لابن النجار تسعة عشر تلميذاً، وهذا الرقم لم يتوصل إليه قبل هذه الدراسة أحد من الباحثين.

٨- أشارت هذه الدراسة إلى أن وفاة ابن النجار كانت سنة سبع وستين وثمان مئة، وليس سنة سبعين وثمان مئة، كما أثبتته السخاوي، وتبعه الباحثون.

٩- كشفت هذه الدراسة النقاب عن أثر جديد من آثار ابن النجار الدمشقي، لم تذكره كتب التراجم، ولا فهارس المخطوطات، ولم يطلع عليه أحد ممن سبقني لتحقيق بعض كتبه.

١٠- بينت هذه الدراسة مدى تمكن ابن النجار من علوم اللغة العربية، نحوها، وصرفها، وبلاغتها، وصوتها، فضلاً عن تمكنه من علم القراءات الذي به عُرف واشتهر.

١١- بينت هذه الدراسة أن ابن النجار قد اعتمد على الشاهد القرآني أكثر بكثير من الشاهد الشعري. خلافاً لكثير من النحاة الذي يعتمدون على الشعر أولاً.

١٢- بينت هذه الدراسة أن ابن النجار كان قليل العناية بالحديث الشريف والآثار.

١٣- وكان من ثمار هذا البحث، أنه نبهني لإعادة النظر في ربط النحو بالقرآن، في الحقل التعليمي، ذلك لأن النحو لأجله نشأ، وفي أحضانه نما عوده واتسق، فهو الميدان العملي الخصب لتطبيق قواعد النحو العربي وإتقانها.

١٤ - وفي رأيي فإن هذا الكتاب خطوة مهمة على طريق تيسير تعلّم النحو العربي، وأرى أنه لو طبّق منهجه في ميدان التعليم لأعطى ثماره المرجوة، والله أعلم. هذا آخر ما يسر الله لنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

كتبه د. عمار أمين الددو

قائمة المصادر

- ١- أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، محمد سمير اللبدي، دار الكتب الثقافية الكويت، ط١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٢- أثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي: د. مزيد إسماعيل نعيم، ورفائيل أنيس مرجان، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث، مجلد ٢٨، العدد ١/٢٠٠٦م.
- ٣- أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي: د. عفيف دمشقية، معهد الإنشاء العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٨م.
- ٤- أخبار النحويين البصريين: أبو سعيد السيرافي، الحسن بن عبد الله، تحقيق: محمد إبراهيم البناء، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.
- ٥- الأدب المفرد: البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م.
- ٦- أصول النحو العربي: د. محمد خير الحلواني، جامعة تشرين، اللاذقية، ١٩٧٩م.
- ٧- أصول النحو عند السيوطي بين النظرية والتطبيق: عصام فهمي أبو غربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ٢٠٠٦م.
- ٨- إعراب أم الكتاب (مخطوط): ابن المنفلوطي، ولي الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف العثماني الديباجي، ت ٧٤٤هـ. مصورتي.
- ٩- الأعلام: الزركلي، خير الدين، (ت ١٣٩٦هـ)، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ١٠- الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط: سبط ابن العجمي، إبراهيم بن محمد بن خليل الشافعي، ت ٨٤١هـ، تحقيق: علاء الدين علي رضا، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.
- ١١- الإفهام شرح باب وقف حمزة وهشام على الهمز: ابن النجار الدمشقي، محمد بن أحمد بن داود، ت ٨٦٧هـ. تحقيق: أحمد ميان التهانوي، إدارة تعليم القرآن والسنة، كراتشي، باكستان، بدون تاريخ.
- ١٢- الاقتراح في علم أصول النحو: جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ، تحقيق: حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٣، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ١٣- إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، جمال الدين علي بن يوسف، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م.

- ١٤- بدائع الزهور في وقائع الدهور: ابن إياس، محمد بن أحمد، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٥- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ت ٩١١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.
- ١٦- تحفة الأريب في نحاة معني اللبيب: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ، تحقيق: الدكتور حسن الملح، والدكتورة سهى نعمة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ١٧- تفسير سورة الفاتحة: ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن الحسن بن محمد، ت ٧٩٥هـ، (مخطوط) مصورة عن نسخة مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض.
- ١٨- تفسير سورة النصر: ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن الحسن بن محمد، ت ٧٩٥هـ، دار الصميعي، الرياض. بدون تاريخ.
- ١٩- البلغة في تاريخ أئمة اللغة، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٢م.
- ٢٠- الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم: محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق: د. علي حسين البواب، دار ابن حزم، الطبعة: الثانية، لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٢١- الحديث النبوي في النحو العربي: محمود فجال، أضواء السلف، ط٢، ١٤٧١هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٢- حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران: ابن الحمصي، أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري، ت بعد ٩٢٤هـ، تحقيق: عبد العزيز فياض حروفش، دار النفائس، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٣- دراسات في العربية وتاريخها: الشيخ محمد الخضر حسين، المكتبة الإسلامية، ومكتبة دار الفتح، دمشق، ط٢، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
- ٢٤- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عزيمة، دار الحديث، القاهرة.
- ٢٥- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، ت ٨٥٢هـ، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
- ٢٦- الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين: الدكتور أحمد مكّي الأنصاري دار المعارف، مصر، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ٢٧- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد: أبو الطيب الفاسي، محمد بن أحمد بن علي، ت ٨٣٢هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ٢٨- الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن الحسن بن محمد، ت ٧٩٥هـ،

- تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- ٢٩- الرد المستقيم على ما تفعله بعض الأعاجم من تحريك الميم: ابن النجار الدمشقي، محمد بن محمد بن داود، ت ٨٦٧هـ، تحقيق: الدكتور عطية أحمد محمد، لم ينشر بعد.
- ٣٠- سر صناعة الإعراب، ابن جني، عثمان، ت ٣٩٤هـ، تحقيق: د. حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- ٣١- سير أعلام النبلاء: أبو عبد الله الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وجماعة، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ٣٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي، عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ)، مكتبة القدس، القاهرة، ١٩٥٠م.
- ٣٣- الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه: الدكتورة خديجة الحديشي، جامعة الكويت، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ٣٤- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤١٤ - ١٩٩٣م.
- ٣٥- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر): البخاري، محمد بن إسحاق أبو عبد الله الجعفي، ت هـ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٣٦- صحيح مسلم (الجامع الصحيح): مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ت هـ، دار الجيل بيروت.
- ٣٧- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد، ت دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- ٣٨- طبقات الحنابلة: أبو يعلى محمد بن محمد، ت ٥٢٦هـ، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعارف، بيروت.
- ٣٩- طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر، ت ٨٥١هـ، تحقيق: عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- ٤٠- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، عبد الوهاب بن علي، ت ٧٧١هـ، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، ومحمود الطناحي، مطبعة الباي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤ - ١٩٧١م.
- ٤١- طبقات القراء: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ، تحقيق: الدكتور أحمد خان، مركز الملك فيصل، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- ابن النجار الدمشقي وكتابه القواعد الحسان في إعراب أم القرآن د.عمار أمين الددو
- ٤٢ - طبقات النحاة واللغويين، ابن قاضي شهبة، محمد بن أحمد الأسدي، تحقيق: محسن غياض، مطبعة النعمان، النجف ١٩٧٤ م.
- ٤٣ - ظاهرة تخطئة النحويين للفصحاء والقراء: عبد الجبار علوان النائلة، مجلة المجمع العلمي العراقي، جمادى الآخرة، ١٤٠٦ هـ - آذار ١٩٨٦ م.
- ٤٤ - علم إعراب القرآن تأصيل وبيان: الدكتور يوسف بن خلف العيساوي، دار الصميعة، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- ٤٥ - غاية المراد في معرفة إخراج الضاد: ابن النجار الدمشقي، محمد بن أحمد بن داود، ت ٨٦٧ هـ. تحقيق: الدكتور طه محسن، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج ٢، المجلد ٣٩، ١٤٠٨ - ١٩٨٨.
- ٤٦ - غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، محمد بن محمد، ت ٨٣٣ هـ، تحقيق: برجستراسر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٣ م.
- ٤٧ - فاتحة الإعراب في إعراب الفاتحة: تاج الدين الإسفرايني، محمد بن محمد بن أحمد، ت ٦٨٤ هـ. تحقيق: الدكتور عفيف عبد الرحمن، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨١ م.
- ٤٨ - الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مؤسسة آل البيت، عمان، الأردن، ١٩٨٧ م.
- ٤٩ - في أصول النحو العربي: الشيخ سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٥٠ - فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح: محمد بن الطيب الفاسي، ت ١١٧٠ هـ، تحقيق: الدكتور محمود يوسف فجال، دار البحوث دبي، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٥١ - القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة علي جراح الصباح، الكويت، ط٢، ١٩٧٨ م.
- ٥٢ - القواعد الحسان في إعراب أم القرآن: ابن النجار، محمد بن أحمد بن داود الدمشقي، ت ٨٦٧ هـ، مخطوط. مصورتي.
- ٥٣ - الكشاف عن حقائق غوامض التزييل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، محمود بن عمر، ت ٥٣٨ هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٥٤ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، ت ١٠٦٧ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- ٥٥ - الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: نجم الدين الغزي، تحقيق: د. جبرائيل سليمان منصور، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩ م.

- ٥٦- متعة الأذهان من التمتع بالأقران بين تراجم الشيوخ والأقران: محمد شمس الدين بن طولون الصالحي، ت ٩٥٣هـ، وابن المبرد، يوسف بن عبد الهادي، ت ٩٠٩هـ، انتقاء الحصكفي، أحمد بن محمد، ت ١٠٠٣هـ، تحقيق: صلاح الدين خليل الشيباني الموصلي، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.
- ٥٧- مجموعة مؤلفات ابن النجار (مجموع مخطوط)، مصورة عن مكتبة جامعة برنستون، في أمريكا، رقم (٤٣٤٦).
- ٥٨- اخور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية): ابن عطية، عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم، محمد الشافعي الصادق العناني، وزارة الأوقاف في قطر، ط ٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٥٩- مراتب النحوين: أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة النهضة، مصر، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٤م.
- ٦٠- المستنير في القراءات العشر: ابن سوار البغدادي، أحمد بن علي بن عبيد الله، ت ٤٩٦هـ، تحقيق: الدكتور عمار أمين الددو، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٦١- مصطلح الإشارات في القراءات الزوائد المروية عن الثقات: ابن القاصح علي بن عثمان بن محمد، ت ٨٠١هـ، تحقيق: الدكتور عطية أحمد محمد الوهبي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٦٢- معجم القراءات: د. عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، دمشق، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ٦٣- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، ت ١٩٨٧م، دار إحياء التراث، بيروت.
- ٦٤- مفردة الحسن البصري: أبو علي الأهوازي، الحسن بن علي بن إبراهيم، ت ٤٤٦هـ، تحقيق: الدكتور عمار أمين الددو، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد الثاني، السنة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٦٥- موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث: د. خديجة الحديثي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م.
- ٦٦- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إساعيل باشا البغدادي، إستانبول، ١٩٥٥م.

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
٢٨٩	الملخص
٢٩٠	المقدمة
٢٩٣	التمهيد
٢٩٨	الفصل الأول : دراسة حياة ابن النجار
٢٩٨	المبحث الأول: اسم المؤلف ونشأته، ومكانته العلمية
٣٠٢	المبحث الثاني: شيوخه، وتلاميذه، ووفاته، وآثاره
٣١٠	الفصل الثاني : دراسة الكتاب
٣١٠	المبحث الأول: وصف الكتاب، وتوثيق عنوانه ونسبته، وأسباب تأليفه
٣١٣	المبحث الثاني: أهم موضوعات الكتاب، ومصادره، وقيمه العلمية
٣١٩	الفصل الثالث: دراسة منهج ابن النجار
٣١٩	المبحث الأول: منهجه في عرض المادة، وشخصيته العلمية، وأبرز سمات منهجه
٣٢٩	المبحث الثاني: موقفه من الشواهد واعتماد الدليل
٣٤٣	المبحث الثالث: موازنة بين منهج ابن النجار في كتابه، وما كان مثله في باب
٣٤٨	الخاتمة
٣٥١	قائمة المصادر



ثانياً: الفهارس والكشافات



فهرس مقالات مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

من العدد الأول إلى العدد العاشر^(١)

م	الموضوع	عنوان المقال	الكاتب	العدد	الصفحات
١	علوم القرآن	اختيارات السيوطي وترجيحاته في علوم القرآن: جمعاً ودراسة / لعلي بن عبد الرحمن بن إبراهيم النجاشي (عرض رسالة جامعية)	التحرير	٤	٤٠٥-٤٠٢
٢		علوم القرآن: تاريخه وتصنيف أنواعه	د. مساعد بن سليمان الطيار	١	١٣٩-٧٧
٣	نزول القرآن	تنزيل القرآن وعدد آياته واختلاف الناس فيه لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة المقرئ (دراسة وتحقيق)	أ. د. غانم قدوري الحمد	٢	٢٩٦-٢٣١

(١) يمكن الاطلاع على الأعداد في موقع معهد الإمام الشاطبي على الشبكة www.shatiby.edu.sa ،

علماً بأن تواريخ نشرها كالتالي :

- ع١ ، ربيع الآخر ١٤٢٧هـ = مايو ٢٠٠٦ م .
 ع٢ ، ذو الحجة ١٤٢٧هـ = ديسمبر ٢٠٠٦ م .
 ع٣ ، جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ = يونيو ٢٠٠٧ م .
 ع٤ ، ذو الحجة ١٤٢٨هـ = ديسمبر ٢٠٠٧ م .
 ع٥ ، جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ = يونيو ٢٠٠٨ م .
 ع٦ ، ذو الحجة ١٤٢٩هـ = ديسمبر ٢٠٠٨ م .
 ع٧ ، جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ = يونيو ٢٠٠٩ م .
 ع٨ ، ذو الحجة ١٤٣٠هـ = ديسمبر ٢٠٠٩ م .
 ع٩ ، جمادى الآخرة ١٤٣١هـ = يونيو ٢٠١٠ م .
 ع١٠ ، ذو الحجة ١٤٣١هـ = نوفمبر ٢٠١٠ م .

فهرس مقالات مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

٨٨-٤٥	١٠	د. محمد شرعي بن سليمان أبو زيد	الوقف على تاء تأنيث الاسم بين اللغة والرواية وخط المصاحف العثمانية	رسم المصحف	٤
٢٧٢-٢١٣	٣	أ.د. أحمد خالد شكري	الترجيح والتعليل لرسم وضبط بعض كلمات التنزيل		٥
٣٧٧-٣٧٣	١٠	التحرير	المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار لأبي عمرو الداني: دراسة وتحقيق: بشير بن حسن بن علي الحميري (عرض رسالة جامعية)		٦
٢٠٤-١٥٣	١	د. عبد الرحيم بن عبد السلام نبولسي	نظرات في بعض ما انحذف - حشواً - من الألفات		٧
٢٤٢-١٩٣	٩	أ.د. غانم قدوري الحمد	الإشمام في اللغة: حقيقته وأنواعه	التجويد	٨
٢١٠-١٦٣	٥	أ.د. غانم قدوري الحمد	علم التجويد قبل كتاب الرعاية وكتاب التحديد من (الكتاب الأوسط) للعماني		٩
٢٥٧-١٨٧	٤	أ.د. غانم قدوري الحمد	فكرة الصوت الساذج وأثرها في الدرس الصوتي العربي		١٠
٣٦٨-٢٩١	٩	أ.د. عمر يوسف عبد الغني حمدان	رسائل في الوقوف المفروضة وبيان ألفاظ الكفر في القرآن الكريم (دراسة وتحقيق)	الوقف والإبتداء	١١

٤١٨-٣٢٥	٣	(دراسة وتحقيق) خالد حسن أبو الجود	تحفة الإخوان في الخُلف بين الشاطبية والعنوان لابن الجزري	القراءات	١٢
٣٨-١١	٩	د.عبدالرحيم بن عبدالله بن عمر الشنقيطي	حالات الشاطبية مع التيسير		١٣
٤٠٠-٣٢٣	٤	إياد سالم السامرائي ويعقوب أحمد السامرائي	الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة لعثمان بن عمر الناشري (١٤٤٨هـ) (دراسة وتحقيق)		١٤
٣٧٤-٣٧١	١٠	التحرير	القصيدة الطاهرة في القراءات العشر: دراسة وتحقيق (عرض رسالة جامعية)		١٥
٤٥١-٤٤٧	٥	التحرير	قواعد نقد القراءات : دراسة نظرية تطبيقية / لعبد الباقي بن عبد الرحمن سيسي (عرض رسالة جامعية)		١٦
١٢٨-١٣	٨	د. سامي بن محمد سعيد عثمان عبد الشكور	ما زاده الإمام الشاطبي في حرز الأمني على التيسير للإمام الداني بين القراءة والمنع		١٧
٦٥-١١	٧	د. عبد الله بن حمّاد بن حميد القرشي	القراءات الشاذة وأثرها في التفسير		القراءات الشاذة
٤٠٣-٣٠١	٦	أ.د. عمر يوسف عبدالغني حمدان	أجوبة يوسف أفندي زاده على عدّة مسائل فيما يتعلّق بوجوه القرآن (دراسة وتحقيق)	القراءات توجيه	

فهرس مقالات مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

٢٠٧-٢٦٦	١	د. عبد العزيز بن حميد الجهني	توجيه الإمام ابن القيم - رحمه الله - للقراءات القرآنية		٢٠
١٣٥-٢٢٦	٢	د. عبد الله بن عويقل السلمي	التوجيهات النحوية لقراءة أبي السَّال العدوي (ت ١٦٠هـ)		٢١
١٠٩-٢١١	٧	د. عبد الله بن محمد بن عيسى المسلمي	القراءات القرآنية وتوجيهها في كتاب العين: جمع ودراسة		٢٢
٢٥٩-٣١٩	٤	أ.د. عمر يوسف عبد الغني حمدان	ظاهرة المنامات في كتب القراءات وتراجم القراء	القراء	٢٣
٣٣٣-٣٨٠	١	أ.د. غانم قدوري الحمد	الألفات ومعرفة أصولها لأبي عمرو الداني (دراسة وتحقيق)		٢٤
٢٤٣-٢٨٨	٩	د. مصطفى فؤاد أحمد محمد	تقارض (إلا) و (غير) في اللغة وفي القرآن الكريم	لغة القرآن	٢٥
٢٧٣-٣٢٢	٣	د. محمود أحمد الأطرش	الفروق اللغوية بين ألفاظ العلم ومراتبه ووسائله في القرآن الكريم		٢٦
٢٨٧-٣٥٦	١٠	د. عمار بن أمين بن محمد الددو	ابن النجار الدمشقي وكتابه "القواعد الحسان في إعراب أم القرآن" دراسة منهجية نقدية		٢٧
٢١١-٢٩٣	٥	د. حصة بنت زيد بن مبارك الرشود	اقتران خبر المبتدأ بالفاء: دراسة نحوية تطبيقية من خلال القرآن الكريم	نحو القرآن	٢٨
٢٦٩-٣٢٨	١	د. أحمد بن محمد القرشي	كيف الاستفهامية في الدراسات النحوية وأوجه إعرابها في القرآن الكريم		٢٩

٣٨-١١	١٠	د. فيصل بن جميل الغزاوي	ما يجوز لغة ولم يقرأ به : دراسة تأصيلية	بلاغة القرآن	٣٠
٣١٢-٢٥٣	٨	د. مصطفى فؤاد أحمد	(هيهات): أحكامها النحوية وتوجيه قراءاتها		٣١
١٨٦-٧٧	٤	د. محمد بن محمد بن عبد العليم الدسوقي	أثر الابتداء بحروف المعاني والوقف عليها في بلاغة المعنى القرآني واتساعه		٣٢
١٩٢-١٢٧	٩	د. عبد الرزاق حسين أحمد اليوسف	الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم: مفهومه - أغراضه - عناية المفسرين به		٣٣
٣٢٨-٢٨٩	٧	د. عويض بن حمود العطوي	خطاب امرأة عمران في القرآن: دراسة بلاغية تحليلية		٣٤
٢٨٦-١٩١	١٠	د. عبد الرحمن بن رجاء الله السلمي	دعاء الأنبياء في القرآن الكريم: دراسة بلاغية تحليلية		٣٥
٣٧٣-٣١٥	٨	د. ظافر بن غرمان العمري	المجاز في القراءات القرآنية ودلالاته البيانية		٣٦
٢٣٥-١٥٧	٦	د. ظافر بن غرمان العمري	مجازات النداء وحقيقته وأغراضها في الخطاب القرآني		٣٧
٢١٢-١٣٥	٣	رشيد الحمداوي	وحدة النسق في السور القرآنية: فوائدها وطرق دراستها		٣٨

فهرس مقالات مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

٢١١-١٠٩	٧	د. عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم العويد	المسائل الأصولية المستدل لها بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢)	أحكام القرآن	٣٩
١٢٦-٤١	٩	د. علي بن جريد بن هلال العنزي	هداية الحيران فيما قيل: ليس له مفهوم مخالف من القرآن		٤٠
٧٤-١٣	٥	د. صالح بن يحيى صواب	أثر الاكتشافات العلمية في تفسير القرآن الكريم		٤١
٦٧-١١	٢	د. أحمد بن محمد البريدي	تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تأصيلية		٤٢
١٣١-٧١	٢	د. مساعد بن سليمان الطيار	تصحيح طريقة معالجة تفسير السلف في بحوث الإعجاز العلمي	أصول التفسير ومناهجه	٤٣
٦٤-٩	٣	د. الشريف حاتم بن عارف العوني	تكوين ملكة التفسير		٤٤
٤١٨-٤١٥	٦	التحرير	مؤتمر التعامل مع النصوص الشرعية (القرآن والحديث) عند المعاصرين		٤٥
٣٩٢-٣٨٣	٢	التحرير	مؤتمر مناهج تفسير القرآن وشرح الحديث الشريف		٤٦
٧٥-١٣	٤	نايف بن سعيد بن جمعان الزهراني	معالم الاستنباط في التفسير		٤٧

٢٥٠-١٨٧	٨	د. يحيى بن عبد الله الشهري البكري	مفهوم السنة وعلاقتها بالقرآن		٤٨	
٨١-١١	٦	د. عصام بن عبد المحسن الحميدان	الآيات القرآنية التي استشهد بها النبي صلى الله عليه وسلم ودلالات استشهاده بها (أحاديث الصحيحين)	التفسير	٤٩	
٤٥٤-٤٥٢	٥	التحرير	أقوال عطاء الخراساني في التفسير جمعاً ودراسة مقارنة من أول سورة الكهف إلى نهاية سورة الناس / لمحمد بن عبد الجواد الصاوي (عرض رسالة جامعية)		٥٠	
٤١٠-٤٠٦	٤	التحرير	أقوال الوزير ابن هبيرة في التفسير: جمعاً ودراسة (عرض رسالة جامعية)		٥١	
٧٤-١٧	١	د. أحمد بن عبد الله الزهراني	تأملات قرآنية من نبأ موسى وفرعون		٥٢	
١٤٩-١٣٣	١	عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر	التفسير الإذاعي للقرآن الكريم		٥٣	
٤١٠-٤٠٧	٦	التحرير	مؤتمر (فهم القرآن : مناهج وأفاق)		٥٤	
١٨٤-١٣١	٨	د. محمد بن عبد العزيز المسند	التعامل مع المنافقين: دراسة موضوعية قرآنية		الموضوعي التفسير	٥٥

فهرس مقالات مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

١٦٢ - ٧٥	٥	د. محمد ولد سيدي عبد القادر	حديث القرآن عن وسائل فهمه: دراسة موضوعية	التفسير الموضوعي	٥٦
١٠٨ - ٦٧	٩	أ.د. ذو الكفل بن الحاج محمد يوسف بن الحاج إسماعيل	السنن الإلهية: حقيقتها وإدراكها في ضوء القرآن الكريم		٥٧
١٣٩ - ٨٩	١٠	د. هدى بنت دليجان بن عبد الله الدليجان	سورة الصف: دراسة موضوعية		٥٨
١٣٤ - ٦٥	٣	أ.د. عبد الفتاح محمد أحمد خضر	عادات عربية في ضوء القرآن الكريم		٥٩
٣٨٦ - ٣٧٧	٩	التحرير	مؤتمر "التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: واقع وآفاق"		٦٠
٤٢٨ - ٤٢٥	٣	التحرير	معالم التربية القرآنية في جزء عم / لخالد بن محمد بابطين (عرض رسالة جامعية)		٦١
٢٩٨ - ٢٣٧	٦	أ.د. صالح بن إبراهيم الصنيع	أثر حفظ القرآن الكريم على الصحة النفسية	خصائص القرآن	٦٢
٤٣٢ - ٤٢٩	٣	التحرير	خواص القرآن الكريم: دراسة نظرية تطبيقية / لتركبي بن سعد الهويمل (عرض رسالة جامعية)		٦٣
٤٤٩ - ٤٤٣	٣	التحرير	مؤتمر العلاج بالقرآن		٦٤
١٥٦ - ٨٣	٦	د. ناصر بن محمد المنيع	حديث أبي بن كعب <small>رضي الله عنه</small> في فضائل السور وموقف المفسرين منه	فضائل السور	٦٥

١٩٠-١٤١	١٠	د. أحمد بن عمر بن سالم بازمول	الأحاديث النبوية الواردة بقراءة سورتي الإخلاص في الصلاة جمع ودراسة	مباحث قرآنية	٦٦
٤٢١-٤١٩	٦	التحرير	مؤتمر (الإعجاز العددي في القرآن الكريم)		٦٧
٤٧٨-٤٦٩	١	التحرير	مؤتمر إعجاز القرآن بجامعة الزرقاء بالأردن		٦٨
٤٢٦-٤١٥	٢	التحرير	المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة		٦٩
٤٦٢-٤٥٧	٥	التحرير	ندوة القراءات القرآنية والإعجاز		٧٠
٤١٤-٤٠٣	٢	التحرير	ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشرافية		٧١
٣٩٤-٣٩٠	١٠	التحرير	مؤتمر (القرآن الكريم ومقومات النهضة)		٧٢
٣٨٦-٣٧٧	٨	التحرير	ندوة القرآن الكريم والتقنيات المعاصرة (تقنية المعلومات)		٧٣
٤٠١-٣٩٩	٤	التحرير	إسهامات حلقات تحفيظ القرآن في تحقيق أمن المجتمع: دراسة ميدانية من وجهة نظر أولياء الأمر بالمدينة المنورة / لنايف محمد المغذوي (عرض رسالة)	تعليم القرآن	٧٤

فهرس مقالات مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

٤٢٤-٤٢١	٣	التحرير	إقراء القرآن الكريم منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه / لدخيل بن عبد الله الدخيل (عرض رسالة جامعية)	تعليم القرآن	٧٥
٤٢٤-٤١٣	٤	التحرير	تقرير عن معهد الإمام الشاطبي		٧٦
٣٨٩-٣٨١	١٠	التحرير	المؤتمر العالمي الأول لتعليم القرآن الكريم (تعليم القرآن الكريم: تعاون وتكامل)		٧٧
٣٩٨-٣٩٣	٢	التحرير	المؤتمر القرآني الأول (نحو جيل قرآني)		٧٨
٣٩٠-٣٨٧	٩	التحرير	ملتقى (التعليم القرآني للصغار: واقع وآفاق)		٧٩
٤١٤-٤١١	٦	التحرير	ملتقى (نحو مرجعية عالمية لتعليم القرآن الكريم)		٨٠
٤٩٥-٤٧٩	١	التحرير	الملتقى الثاني لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم بالمملكة (أساليب وتقنيات تحقيق الريادة)		٨١
٤٤٢-٤٣٥	٣	التحرير	الملتقى الثالث للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن (الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن والمجتمع)		٨٢
٣٣٧-٣٢٩	٧	التحرير	الملتقى الرابع لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم : (جمعيات تحفيظ القرآن ودورها في تحقيق الأمن)		٨٣

٤٠٢-٣٩٩	٢	التحرير	الملتقى العلمي الثالث : حافظ القرآن الكريم بين الواقع والمرتبجى	٨٤
٤٤٤-٢٩٧	٥	أ.د. عمر يوسف عبدالغني حمدان	إعلام أهل البصائر بما أورده ابن الجزري من الكنوز والذخائر (دليل مفهرس لكتب علوم القرآن الواردة في غاية النهاية)	٨٥
٣٨٠-٣٠١	٢	فؤاد بن عبده أبو الغيث	دليل كتب علوم القرآن المسندة المطبوعة حتى عام ١٤٢٧هـ	٨٦
٤٦٥-٣٨٥	١	د. خالد بن يوسف الواصل	كشاف المقالات والبحوث القرآنية في المجالات السعودية المحكّمة خلال المدة من ١٣٨٩ إلى ١٤٢٥هـ	٨٧

كشّاف الكُتّاب

التحرير ١، ٦، ١٥، ١٦، ٤٥، ٤٦، ٥٠، ٥١	أحمد بن عبد الله الزهراني ٥٢*
٥٤، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٦٩	أحمد بن عمر بن سالم بازمول ٦٦
٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧	أحمد بن محمد البريدي ٤٢
٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤	أحمد بن محمد القرشي ٢٩
حصة بنت زيد بن مبارك الرشود ٢٨	أحمد خالد شكري ٥
خالد حسن أبو الجود ١٢	إياد سالم السامرائي ١٤

* يعقب اسم الكاتب رقم مقاله في فهرس المقالات .

خالد بن يوسف الواصل ٨٧	فيصل بن جميل الغزاوي ٣٠
ذو الكفل بن الحاج محمد يوسف ٥٧	محمد بن عبد العزيز المسند ٥٥
رشيد الحمداوي ٣٨	محمد بن محمد عبد العليم الدسوقي ٣٢
سامي بن محمد سعيد عبد الشكور ١٧	محمد شرعي بن سليمان أبو زيد ٤
الشريف حاتم بن عارف العوني ٤٤	محمد ولد سيدي عبد القادر ٥٦
صالح بن إبراهيم الصنيع ٦٢	محمود أحمد الأطرش ٢٦
صالح بن يحيى صواب ٤١	عبد الرحمن بن رجاء الله السلمي ٣٥
ظافر بن غرمان العمري ٣٦، ٣٧	عبد الرحيم بن عبد السلام نبولسي ٧
عبد الفتاح محمد أحمد خضر ٥٩	عبد الرحيم بن عبد الله الشنقيطي ١٣
عبد الله بن حماد بن حميد القرشي ١٨	عبد الرزاق حسين أحمد اليوسف ٣٣
عبد الله بن عويقل السلمي ٢١	عبد العزيز بن حميد الجهني ٢٠
عبد الله بن محمد بن عيسى المسلمي ٢٢	عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر ٥٣
عصام بن عبد المحسن الحميدان ٤٩	عبد العزيز بن محمد العويد ٣٩
علي بن جريد بن هلال العنزي ٤٠	مساعد بن سليمان الطيار ٢، ٤٣
عمار بن أمين بن محمد الددو ٢٧	مصطفى فؤاد أحمد محمد ٢٥، ٣١
عمر يوسف عبد الغني حمدان ١١، ١٩، ٢٣، ٨٥	ناصر بن محمد المنيع ٦٥
عويض بن حمود العطوي ٣٤	نايف بن سعيد بن جمعان الزهراني ٤٧
غانم قدوري الحمد ٣، ٨، ٩، ١٠، ٢٤	هدى بنت دليجان الدليجان ٥٨
فؤاد بن عبده أبو الغيث ٨٦	يحيى بن عبد الله الشهري البكري ٤٨
	يعقوب أحمد السامرائي ١٤